سبتمبر ٢٠٢٥
السنة الثالثة
العدد ١٤

مجلة القلم

خير الدين باربا روس
اسم لا يزال حياً في ذاكر أمواج المتوسط

أسطورة الكارما والتناسخ

غادة السمان...
أنثى تمشي على حبرها نحو الحرية..
فتترك أثراً لا ينمحي

تقدير اللحظة الحالية في الفلسفة الرواقية

راسبوتين
الشر.. في صورة رجل دين

أثر الكاتب والأديب في الوعي الإنساني والتطور المجتمعي

14
9 772004 710001

القلم

مجلة القلم الثقافية

مجلة ثقافية دورية مستقلة تصدر من مملكة السويد بالتعاون مع الاتحاد العالمي للمثقفين العرب

مسجلة في مملكة السويد بالرقم

2004-710X

Utgivarens; Digitize the arabic book
Sweden, Falköping, Wetterlinsgatan
17D, 52134

الاتحاد العالمي للمثقفين العرب
اتحاد عربي عالمي ثقافي
مسجل كمنظمة رسمية في مملكة السويد
برقم:٨٠٢٥٣٤-٥٧٠٦

www.wfai.se

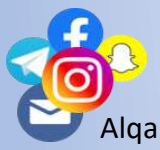

Qalammag
Alqalam.mag@gmail.com

سمير عالم
رئيس التحرير

غلا المالكي
عضو

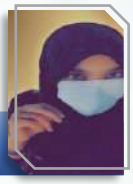

زينب الجهني
مسئولة الحوارات الصحفية

هدى الشيبه
محررة القسم الثقافي

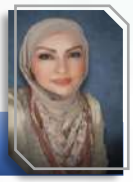

هديل الواوي
محررة قسم الأساطير المؤثرة في الحضارات

تغريد بومرعي
مسئولة قسم ركن الترجمة

آلاء علي
أحاديث فلسفية

دانا علي
محررة قسم شخصية العدد

زينة امهز
قسم همس الرمال

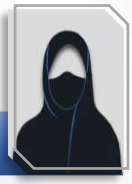

سحر علي النعيم
قسم الحوار الثقافي

كرم الصباغ
قسم رؤى نقدية

هدى المطيري
محررة بالقسم الثقافي

مشروع ثقافي يطمح إلى تعزيز دور الثقافة والمثقف ومكانتهما، ويفسح المجال للأقلام الرصينة لطرح رؤيتها وأفكارها، للارتقاء بالفكر من خلال الالتزام بالكلمة الراقية. والانفتاح على ثقافات العالم، وتقديم نموذج أدبي يحترم ذائقة القراء.

مجلة القلم.. الكلمة الراقية لفكر أكثر رقياً

6 كلمة العدد
مقال بعنوان (الشبهيّات)
بقلم رئيس التحرير: سمير عالم

8 شخصية العدد
مقال بعنوان (غادة السمان.. أنثى تمشي على حبرها نحو الحرية.. فتترك أثراً لا يمحى)
إعداد: دانا علي

15 كتّاب القلم
16 من القلب
زاوية الكاتبة: همسة قدومي
مقال بعنوان (يا للقسوة العظمى!)
18 نوافذ
زاوية الكاتبة: سلافة سمباوة
مقال بعنوان (لماذا عاد..؟)
20 قلم نابض
زاوية الكاتبة: ندى نسيم
مقال بعنوان (متعة الراحة الداخلية)
21 آدم وحواء
زاوية الكاتبة والإعلامية: ناريمان علوش
مقال بعنوان (رسالة من كل امرأة.. إلى رجل تحبه)
23 ارتواء الفكر
زاوية الكاتبة: أروى المزاحم
مقال بعنوان (سر التوقيت)
24 رحلتي مع القلم
زاوية الكاتب: سمير لوبه
مقال بعنوان (هؤلاء علموني)

28 نافذة ثقافية
29 راسبوتين.. الشر في صورة رجل دين
إعداد: سمير عالم
36 خير الدين باربا روس.. اسم لايزال حياً في ذاكرة أمواج المتوسط
إعداد: سمير عالم

43 وجهة نظر (مقالات الرأي)
44 مقال (الاستلاب في سياق العولمة)
للكاتب: حامد الحضيري
46 مقال (رحمة الحجب الإلهي.. حين تلطف القرءان في وصف المآسي)
للكاتبة: د. منال ممدوح يوسف
48 مقال (الخلوة.. والصوت الصامت)
للكاتبة: سلوى سبزالي
49 مقال (الاكتئاب العربي.. حين يصبح الحزن عادة)
للكاتب: يوسف آيت بران
51 مقال (الذكاء الاصطناعي آفاق جديدة لأداء الذكاء البشري)
للكاتب: عادل غنيم
53 مقال (على أرصفة القراء)
للكاتبة: هديل الواوي

55 سلسلة الأساطير المؤثرة في الحضارات القديمة
أسطورة الكارما والتناسخ
إعداد: هديل الواوي

60 أحاديث فلسفية
تقدير اللحظة الحالية في الفلسفة الرواقية
إعداد: آلاء علي

66 زاوية رؤى نقدية
النفي والاغتراب في قصة (صورة جماعية لرجل وحيد)
للقاص شعيب الحربي.. المنشورة في العدد ١٣ من مجلة القلم
للناقد: كرم الصباغ

69 تراجم
مالك بن نبي

70 مقالات حرّة
71 مقال (الأنانية سبقت التشجيع)
للكاتبة: صبرينة بالرابح
72 مقال (السم الخفي للنساء)
للكاتبة: فاطمة الزهراء العسالي
74 مقال (خوفك من الموت.. قد يكون دافعك للموت)
للكاتبة: حسيبة عزاوي
76 مقال (الحضن الذي نحتاجه.. يسكن فينا)
للكاتبة: وجنات صالح ولي

70 مقالات حرّة
77 مقال (حين تقسو الحياة.. تفتح الأعين من جديد)
للكاتبة: فاطمة عثمان
79 مقال (ماذا لو أصبحت حشرة..؟)
للكاتبة: مروة وناسي
80 مقال (الغدر المعسول)
للكاتبة: لما عزالدين

82 حوار ثقافي
أثر الكاتب والأديب في الوعي الإنساني والتطور المجتمعي
إعداد رئيس التحرير
سمير عالم

94 خربشات منسية
زاوية الكاتبة: فاطمة الحوسنية
نص بعنوان (خديعة العبور)

95 مقال: ملامح النضج في (ممرات بيضاء لغزالة وحيدة) لقاص كرم الصباغ.. الجزء الثاني
للكاتب: د. أحمد صلاح هاشم

الحوارات الصحفية

إعداد: زينب الجهني

101 حوار صحفي مع الكاتبة فاطمة غوغو

105 حوار صحفي مع الكاتبة والإعلامية منال الربيعي

111 قراءات أدبية

112 مقال (الغريب.. انكسارات الأنسان بين العبث والاغتراب)
للكاتبة: تغريد بومرعي

116 مقال (عندما تكون الأبوة وطناً بديلاً.. قراءة في المجموعة القصصية (نص خارج الرقعة) للأديبة: د. خولة سامي سليقة)
للكاتب: حسام القاضي

119 مقال (ما بين انعكاسين.. قراءة في قصيدة (انعكاس) للشاعرة اللبنانية: رولا ماجد)
للكاتب: طارق يسن الطاهر

122 مقال (الفاجعة الشخصية ودلالاتها في إبداع فتحي غانم و(كنزابور أوي))
للكاتب: وفيق صفوت مختار

125 مقال (على عتبات الغرام: قراءة وجدانية بين (طوق الحمامة) وشعر الغزل المعاصر)
للكاتبة: ربا رباعي

127 مقال (الكتابة النسوية في كوابيس بيروت لغادة السمان.. الجزء الأول)
للكاتبة: د. منال بوحرب

129 ركن الترجمة

ترجمة وتقديم: تغريد بومرعي

130 خاطرة (لا لعد النجوم بعد الان)
للكاتبة: زانثي هوندرو

131 خاطرة (حقول الرياح)
للكاتب: رفيق مارتينوفيتش

132 خاطرة (كان جميلاً)
للكاتبة: روزاليا الكساندروفا

133 خاطرة (الميزان المحطم)
للكاتب: دومينيكو بيسانا

134 خاطرة (النصف الآخر من اللهيب)
للكاتبة: ماريلا كورديرو

135 خاطرة (العالم)
للكاتب: فرناندو ريندون

136 خاطرة (مفتش الدائرة)
للكاتب: بالاجاندران ناير

137 خاطرة (الحقيقة)
للكاتبة: إليزا ماتشيا

138 خاطرة (زوار قلوبنا)
للكاتب: ديميتريس ب. كرانيوتيس

139 خاطرة (الثواني المتدحرجة)
للكاتبة: راجاشري موهابترا

141 معزوفة قلم (القسم الأدبي)

142 خاطرة (حول جيد الأمنيات)
للكاتبة: نهاية عبدالرحمن

143 خاطرة (قلب متعب)
للكاتبة: رغد حميد

144 خاطرة (روبا فيكيا.. قصيدة لعراة العالم)
للكاتبة: مجيدة محمدي

145 خاطرة (ليلتي إلهام)
للكاتبة: وسيمة أكدي

141 معزوفة قلم (القسم الأدبي)

146 خاطرة (شموخ)
للكاتبة: سميرة عبدالهادي

147 خاطرة (عطر الياسمين)
للكاتب: منير راجي

149 قصص قصيرة

150 قصة بعنوان (امرأة الأسرار)
للكاتبة: زينب الجهني

154 قصة بعنوان (قضية أغسطس.. الجزء الثاني)
للكاتبة: إنصاف دغش

159 قصة بعنوان (ملح.. كذر الرماد)
للكاتب: أحمد فاروق بيضون

161 قصة بعنوان (في العربة الأخيرة)
للكاتب: سمير لوبه

163 قصة بعنوان (قتلت بلا دماء)
للكاتبة: أم الخير النجار

165 قصة بعنوان (جنين القلب)
للكاتبة: د. فتحية الفرارجي

167 قصة بعنوان (حين أكل البحر اسمه)
للكاتبة: ترتيل أحمد

169 قصة بعنوان (ظل ديسمبر)
للكاتب: يوسف آيت بران

172 قصة بعنوان (عجوز الصباح)
للكاتب: محمد هلالي

175 قصة بعنوان (البيدق يترقى)
للكاتب: محمد محمد السنباطي

178 قصة بعنوان (الأم زمرد)
للكاتبة: آية مصدق

149 قصص قصيرة

179 قصة بعنوان (قطع غيار)
للكاتب: شعيب الحربي

182 قصة بعنوان (امرأة تحترف الانتظار)
للكاتبة: لبنى الطيبي

184 قصة بعنوان (الحوض المرصود)
للكاتب: طارق الشناوي

186 قصة بعنوان (يوم آخر في حياتي)
للكاتبة: ميسون سعيد

187 قصة بعنوان (صاحب المنزل)
للكاتب: مهاب حسين

189 سينما
إعداد: زينب الجهني

192 أخبار ثقافية

193 رحلة الأسرار المدفونة: رواية تاريخية يمنية تعيد تشكيل فهم التعايش وتستقطب الاهتمام الأكاديمي الجزائري

194 الكلمة جسر الإبداع نحو العالم

195 مؤسسة عبدالحميد شومان تعلن عن أسماء الفائزين في القصة القصيرة

196 مكتبة الإسكندرية تعلن عن تنظيم مسابقة كتابة سيناريو فيلم روائي قصير

كلمة العدد

الشبهيّات

بقلم رئيس التحرير
سمير عالم

ربما أعُد نفسي من الأشخاص المحظوظين، من حيث أن ذكريات طفولتي محفوظة وموثقة بالكثير من الصور ذات اللونين الأبيض والأسود، مع القليل من تدرجات اللون الرمادي الذي يرسم الظلال المريحة للنظر لتمنح الصورة عمقاً وروحاً، وذلك لأن والدي رحمه الله كان يتقن فن التصوير (الفوتوغرافي)

الصورة في حقيقتها هي محاولة للإمساك باللحظة، وتخليدها داخل إطار محدد الأبعاد، تجميد لشعور أو فكرة في لحظة ما كانت تنشط داخل الشخوص الموجودين ضمن حيز هذا الإطار، مع خلفية تمثل جزءاً من عالم أوسع، لا تسمح مساحة الصورة باحتوائه.

طبيعة الصورة ذات اللونين الأبيض والأسود، تمنحنا القدرة على التركيز على ما كان يسعى ملتقط الصورة إلى توثيقه، سواء أكانوا أشخاصاً أو أماكن، دون التشتت الذي يخلفه لنا تأمل صورة تعج بألوان مختلفة متجانسة أو متنافرة، لتتحول أحياناً إلى مشهد سريالي مليء بالتفاصيل المتداخلة، يصعب معها الفصل بين لون وآخر.

الأفكار، القيم، الآراء، وجهات النظر، التوجهات، العبثية، العدمية، الوجودية، الرجعية، التقدمية، المحافظة، التنوير.. إلخ، كل ذلك يتداخل اليوم داخل مشهد عصري واسع، ترتسم ملامحه أمامنا، نسمع ضجيجه المرتفع عبر شاشات التلفزيون والهاتف المحمول، وكأنها مطارق تطرق داخل عقولنا، محاولات للإقناع والاستقطاب، وكسر القواعد، ونزع القداسة عن رموز، وخلق رموز جديدة، عبث بالثوابت، ومحاولة تشكيل أنماط أخرى مختلفة لثوابت أكثر حداثة، والنتيجة هي تلاشي ذلك الفاصل ما بين ألوان كثيرة لا يمكن أن تجتمع داخل مشهد واحد، لتخلق صورة ذات تفاصيل متجانسة.

أصبحنا نُتبع كل قناعة شخصية نصرح بها.. بكلمة، ولكن..؟ وتسبق أي حقيقة نميل لتصدقيها.. كلمة ربما..؟! وكل لون ننظر إليه ونراه لوناً صافياً؛ ما تلبث أحد الألوان وأن تتسلل إليه وتمتزج به مستغلة حالتها السائلة القابلة للامتزاج، لتضعنا أمام تدرجات لا نهائية من ذات اللون.

هناك اليوم شبه العالِم، وشبه المُتعلم، وشبه المثقف، شبه رجل، وشبه امرأة، وشبه علاقات زوجية، هناك اليوم شبهيّات كثيرة متلونة ومتغيرة، عديمة الظلال بحيث لا يمكن التقاطها في صورة، وتأمل تفاصيلها.

لدينا اليوم شبه القناعات، وشبه الحقائق، وشبه الأكاذيب، لم يعد هناك في صور اليوم، ذاك اللون الرمادي الذي يجسد الظلال ليمنح كل جسم يظهر فيها عمقاً وشكلاً بأبعاد متعددة؛ بل تحول الرمادي إلى لون فاعل داخل الصورة، يعمل على تشويش الرؤية وتمويه التفاصيل.

لم يعد اللون الأسود.. أسودَ فاحماً، ولم يعد الأبيض.. أبيضَ ناصعاً؛ بل تعددت تدرجات اللونين، فأصبح لدينا شبه الأسود، وشبه الأبيض، وشبه قدرة على الرؤية، وشبه قدرة على التمييز.

وحين أعود اليوم بعد كل تلك السنوات لأتأمل أحد صور طفولتي؛ أرى فيها براءة طفل يشبهني.. ولكنه ليس أنا.

شخصية العدد

غادة السمان...

أنثى تمشي على حبرها نحو الحرية.. فتترك أثراً لا ينمحي

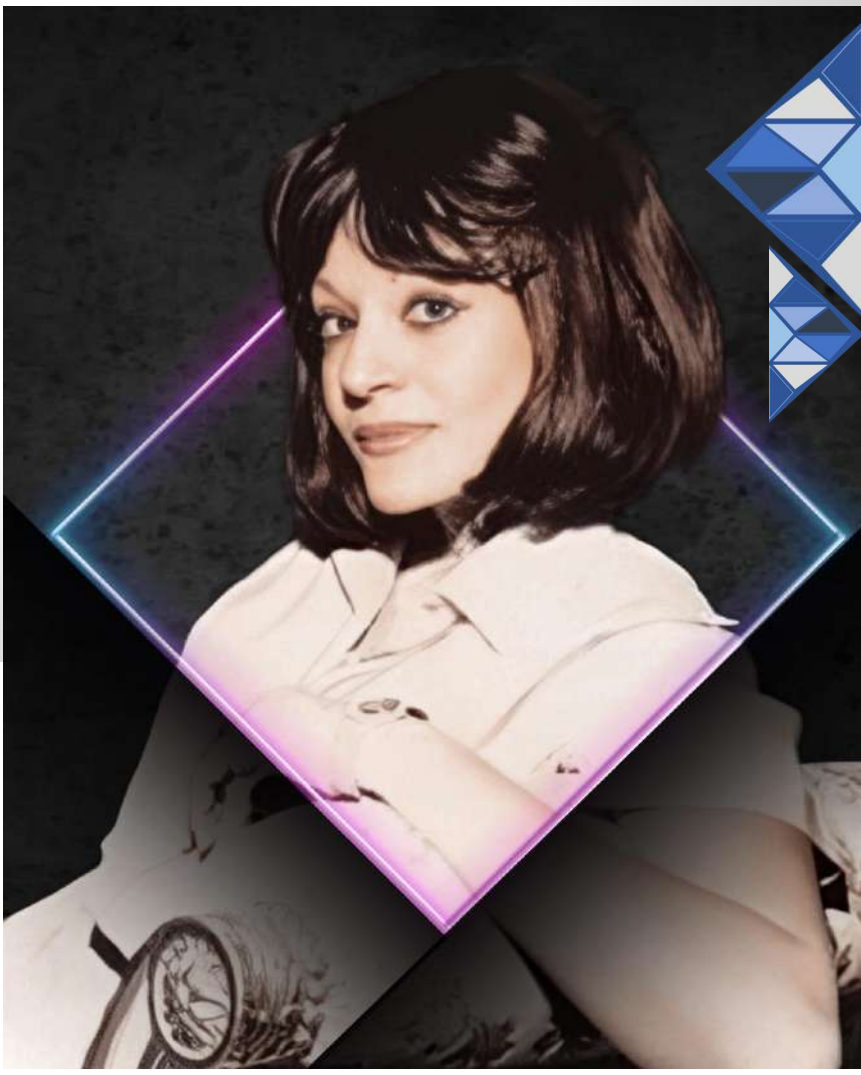

إعداد
دانا علي

في زحام الحكايات التي تعبُر الزمن، تقف غادة السمان كجبلٍ لم تَلِنْ، وكسيدةٍ لم تتخلَّ عن صخبها الداخلي كي تنال رضى الخارج.

امرأةٌ لم تكتب لتعجب أحداً؛ بل كتبت لتنقذ نفسها من الغرق.

كانت الكلمات زورقها في بحرٍ هائج، وكانت الكتابة عندها أجرأ من الحب، وأشد من الحرب، وأصدق من التاريخ.

في مدنٍ تهدمُ الحرف وتعبد الصمت، جاءت غادة كناقوس إنذار.

امرأة تكتب لتكسر، تكتب لتفضح، تكتب لتُولد من جديد.

كانت تدرك أن "الكتابة ليست طوق نجاة؛ بل حريقٌ نُشعل به طريق الهاربين" وهي لم تهرب؛ بل واجهت، بكلماتٍ تنزف لا تزخرف، وبحبرٍ يُشبه دم القلب لا حبر المكاتب.

كتبت: "أنا أُحب الحرية، لذلك أكره القيود، حتى لو كانت من حرير" وكتبت أيضاً: "ولدتُ من رحم الحرب، وسأموت من أجل الحبر"

بين السطور، كانت غادة تنظر إلينا، لا تطلب إعجابنا؛ بل تطلب وعينا.

فهل وعينا..؟

البداية من دمشق – غادة الطفلة التي شربت الحبر.

ولدت غادة السمان في دمشق عام ١٩٤٢، لكن لا شيء فيها يشبه الولادة العادية، جاءت كأنها وُلدت من فوهة بركان، ابنة لمدينة تخبئ القصائد خلف ستائر الخوف، ولأبٍ زرع في قلبها بذور المعرفة والكرامة والحرية.

كان والدها، أديب السمان، قاضياً ومثقفاً، علّمها أن تكون حرة قبل أن تكون أنثى، لكنه رحل مبكراً، وتركها في مواجهة العالم بلا درع، وبلا سقف سوى الحرف.

كتبت لاحقاً: "مات أبي باكراً... فعرفت أن كل الرجال معرضون للموت، ولم أعد أثق بظل أحد" فقدُ الأب لم يجعلها تضعف؛ بل علّمها أن تنهض وحدها، لم تكتب من هامش الحكاية؛ بل دخلت إلى النصّ كما تدخل الحياة بشغف وخوف، بنزيف وتمرد.

درست الأدب في دمشق، وسافرت إلى باريس لتحصل على الماجستير، لكنها كانت تكتب بأسلوب لا يشبه أحداً، لا الشرق ولا الغرب.

كانت تكتب بأسلوبها، وبألمها، وبأصابعها التي تفتش عن ذاتها بين السطور.

في تلك السنوات الأولى، لم تكن غادة تكتب لتصبح كاتبة، كانت تكتب لتبقى على قيد الحياة.

قالت ذات مرة: "حين أخاف، أكتب.

حين أحب، أكتب.

حين أنهار، أكتب.

الكتابة صمتي الذي يصرخ"

الحب كقنبلة موقوتة – رسائل غسان كنفاني وغادة السمان.

لم تكن غادة السمان يوماً عاشقة عادية، ولم يكن غسان كنفاني حبيباً عابراً.

كان لقاؤهما اصطدام نجمين، لا ليُنجبا نوراً فقط؛ بل ليفتحا في السماء صدعاً لا يُرمم.

في رسائله إليها، كان غسان رجلاً يتقشر أمامها من فرط الحب، بينما هي، كانت امرأة تعرف كيف تحتضن النار دون أن تحترق بالكامل.

كتب لها: "أنتِ امرأة ترفض أن تكون ظلاً، وأنا رجل يتعب من شمسكِ ولا يهرب" لكنها لم تَمنح قلبها كما تمنحه النساء في القصص.

> "درست الأدب في دمشق، وسافرت إلى باريس لتحصل على الماجستير"

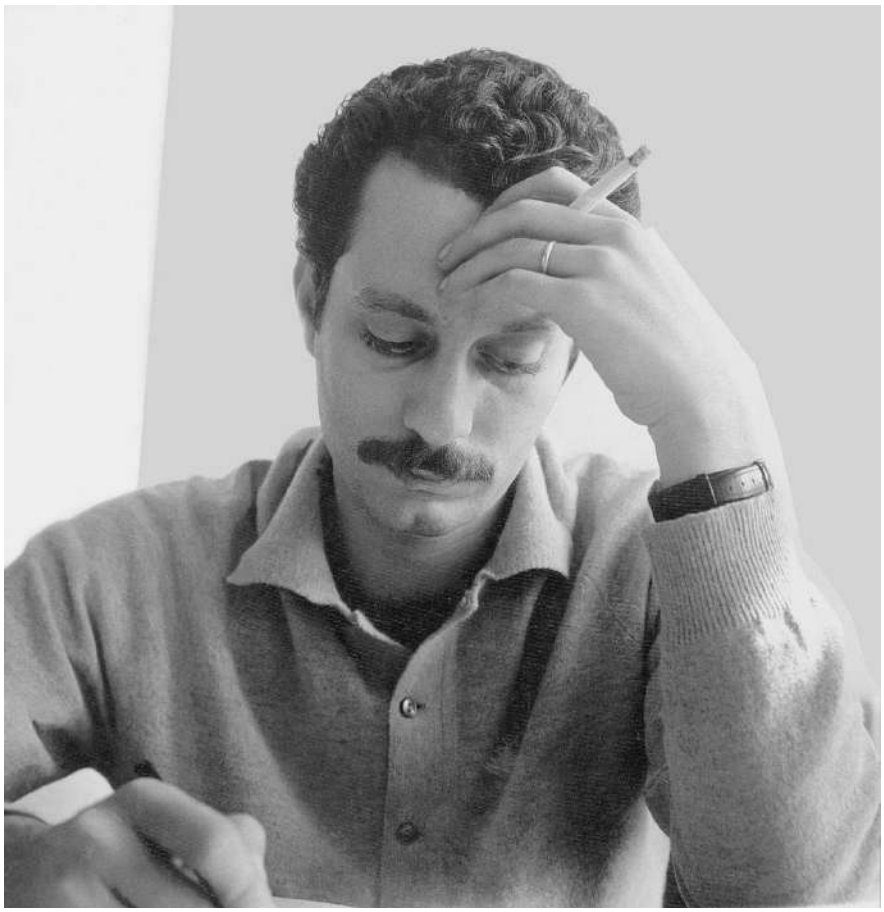

غسان كنفاني

كانت تُحِبّ كأنها تكتب، وتكتب كأنها تحب، لا مساومة، لا تنازل، ولا مكان للضعف المغلف بالورود.

في رسائلها، كانت أقرب إلى البركان منها إلى الأنثى التقليدية، كتبت: "أنا امرأة لا تعرف أن تكون نصف شيء، إما أن أكون كل شيء أو لا أكون"

غادة لم تُخفِ حبها، لكنها لم تخن حريتها أيضاً.

> نشرت رسائل غسان لأنها رأت فيها وثيقة لإنسانٍ عاش التمزق

حين نشرت رسائل غسان إليها بعد وفاته، أثارت جدلاً لم يُطفأ حتى اليوم، البعض رآها خيانة، والبعض الآخر رآها تحريراً للحب من قوالبه المعلّبة.

لكنها كانت واضحة حين قالت: "نشرتُها لأقول إننا لا نحب بلا ثمن، وإن الحرية – حتى في الحب - لا تُمنح؛ بل تُنتزع"

ذلك الحب لم يكن فضيحة؛ بل شهادة حية على أن العشق لا يُلغي الفكر، وأن المرأة التي تكتب لا تخشى أن تُحب، ولا أن تُغادر، ولا أن تُعلن ألمها بصوتٍ مرتفع.

لكن ما أثار الجدل أن غادة السمان لم تنشر رسائلها إلى غسان كنفاني لأنها - كما فسرت في أكثر من مناسبة - كانت ترى أن تلك الرسائل لا تخص أحداً سواها، وأن نشرها لن يكون فعل حرية؛ بل فعل فضحٍ للحميمية التي تخصها وحدها.

هي امرأة كتبت بكل الجرأة، لكن كانت تعرف تماماً متى تضع حداً للانكشاف، قالت ذات مرة: "رسائلي إليه كانت لحظات ضعف، وأنا لا أحب أن أبدو ضعيفة حتى أمام نفسي"

وغادة السمان، برغم تمردها وشجاعتها، كانت حريصة على كرامة الحب بقدر حرصها على حريتها.

نشرت رسائل غسان لأنها رأت فيها وثيقة لإنسانٍ عاش التمزق، وعَبَّرَ عن الحب بعين المقاومة، لكنها لم ترى أن العالم بحاجة أن يقرأ ردودها.. فقد كانت ردودها - في نظرها - تخص اللحظة، والسكوت، والدمعة، وربما الخيبة.

هي التي كتبت: "ليس كل ما يُكتب يُنشر، فبعض الحروف عارية أكثر من الجسد"

وقد تكون تلك الرسائل ما زالت محفوظة في درجٍ قديم، أو ربما أحرقتها كما أحرقت نسخاً من نفسها القديمة.

لكن الأكيد أن سكوتها عن ردها كان ردًّا بليغاً، رداً فيه كبرياء امرأة تعرف متى

تتكلم، ومتى تصمت.

زواج بلا أقفاص.. ولقاء بحجم الذهول.

في حياة غادة السمان، لم يكن الحب نهاية الحكاية، ولا الزواج تتويجاً كما في الروايات الباهتة.

كانت تؤمن أن الحب الحقيقي لا يُخضع، وأن الزواج الحقيقي لا يُقصّ أجنحة الطيران.

ولذلك، حين اختارت الزواج، تزوجت على طريقتها، بلا ضجة، بلا تنازلات، وبكامل حرّيتها.

تزوجت من الدكتور بشير الداعوق، صاحب دار الطليعة للنشر، وأحد مثقفي بيروت المعروفين، لم يكن زواجها صكَّ عبودية؛ بل مساحة شراكة أدبية وفكرية.

ومع ذلك، بقيت غادة تحتفظ باسمها كامرأة حرة، لا تتبع رجلاً، ولا تذوب في لقبه، لم تُلغِ ذاتها، ولم تكتب يوماً (غادة الداعوق)

كانت ببساطة: غادة السمان، كما اختارت أن تبقى.

أما لقاؤها بغسان كنفاني، فقد كان مصادفة كونية، التقت فيه النار بالنار، لا لتُطفئ إحداهما الأخرى؛ بل لتشتعلا معاً.

التقيا في بيروت أواخر الستينيات، في جو أدبي مُحمّل بالثورة، والحرف، والخذلان العربي.

هو، الفلسطيني الممزق بين وطنٍ مفقود ومخيمٍ بارد، وهي، السورية التائهة بين الأنثى التي تُحب والكاتبة التي ترفض الذوبان.

كانت اللقاءات الأولى مشتعلة بالفكر أكثر

من العاطفة، ثم تسللت بين السطور شرارةٌ لا تُروى.

كتب لها غسان في إحدى رسائله: "أخاف أن أحبك كثيراً، لأنني كلما أحببت شعرت أنني أضعف.. وأنا لا أريد أن أضعف أمامك؛ بل أريد أن أكون الوطن الذي تأوين إليه" لكن غادة لم تكن تبحث عن وطنٍ خارجي؛ بل عن مساحة تشبهها في الداخل.

ولذلك، لم تمنح قلبها بسهولة، ولم تكتب (نعم) لغير الحبر.

ومع ذلك، بقي غسان رجلاً نادراً في دفترها العاطفي، رجلاً لم يروِ القصة؛ بل كان هو القصة.

"بيروت التي اشتعلت في قلبها... والنفي الذي كتب ملامحها"

حين اندلعت الحرب اللبنانية، لم تكن غادة السمان مجرد شاهدة من خلف الزجاج؛ بل كانت وسط الركام، تكتب على أنقاض البيوت، وعلى جدران الخوف، وتوقّع

"التقت غادة بغسان في بيروت أواخِر السِتينيات، في جو أدبي محمل بالثورة"

نصوصها بدم بيروت.

لم تغادر فوراً، ولم تبكِ كالمعتاد؛ بل حملت دفاترها وراحت تكتب، لا عن الحرب فقط؛ بل عن الإنسان الذي تشوّه، عن الطفل الذي كبر قبل أوانه، عن المرأة التي تصرخ دون أن يُسمع صوتها.

كتبت: "لقد متُّ آلاف المرات وأنا أعيش في بيروت، لكنني كنت أكتب لأنجو، لأن النطق بالصمت أصعب من الموت تحت الأنقاض"

غادرت بيروت لاحقاً، لا هرباً من الحرب؛ بل خوفاً على حرّيتها من أن تموت تحت الركام.

عاشت في باريس، وعرفت ألم الغربة، ذلك الألم الذي لا وطن له، لا عدو ظاهر له، ولا دواء له سوى الورق.

> "غادرت بيروت في زمن الحرب وعاشت في باريس"

ومع ذلك، لم تكفّ عن الكتابة، كتبت المنفى كما لم يكتبه أحد، قالت: "الغربة ليست بعد المكان؛ بل بعد الإحساس.

حين لا يعود لوجهي ظلٌّ في قلب أحد، أعرف أنني أصبحت غريبة"

كانت بيروت تسكنها، حتى وهي في أقاصي العالم.

بيروت الحرب، وبيروت الحبر، وبيروت الحبيب الغائب.

في نصوصها، لم تكن المدينة مجرد مدينة؛ بل كائناً حياً تُحبه وتلعنه وتشتاق إليه وتخافه.

لم تغفر للحرب أنها شتّتها، لكنها غفرت لبيروت لأنها احتضنتها قبل أن تسقط.

غادة السمان.. أيقونة أنثوية تكسر المرايا.

غادة السمان لم تكن مجرد كاتبة تُزيّن المكتبات بعناوينها؛ بل كانت امرأة تكتب لتكسر المرايا التي فرضها المجتمع على النساء.

في زمنٍ كانت فيه المرأة العربية إما صوتاً هامساً خلف الستار، أو صرخة تدفع ثمنها باهظاً، جاءت غادة لتقول إن الأنثى تستطيع أن تكتب عن الحب، والجسد، والوطن، والهزيمة، دون أن تطلب إذناً من أحد.

كتبت: "أنا لستُ حواء، ولن أكون ضلعاً مكسوراً لأحد"

كانت لغتها مزيجاً من الحميمية والجرأة الفكرية، تحدثت عن الحب بلا تزييف، وعن الخيانة بلا تجميل، وعن الحرية كحق فطري، لا كمنحة تُمنح أو تُسحب.

ولم تكن جرأتها صاخبة فقط؛ بل عميقة ومُحكمة، تُصدمك بالحقيقة ثم تتركك تُفكّر طويلًا.

كثيرات من الكاتبات اعترفن لاحقاً أنهن وجدن في نصوص غادة السمان نافذة يتسللن منها إلى الكتابة بلا خوف.

كانت تُشبه المفتاح السري الذي يفتح أبواباً كثيرة أُغلقت على أنوثة ناقصة أو صوتٍ مبحوح، لكن غادة لم تكتب لتكون (رمزاً نسوياً) بالمعنى الضيق؛ بل كتبت لتكون امرأة حرة، والحرية لا تعرف التصنيفات.

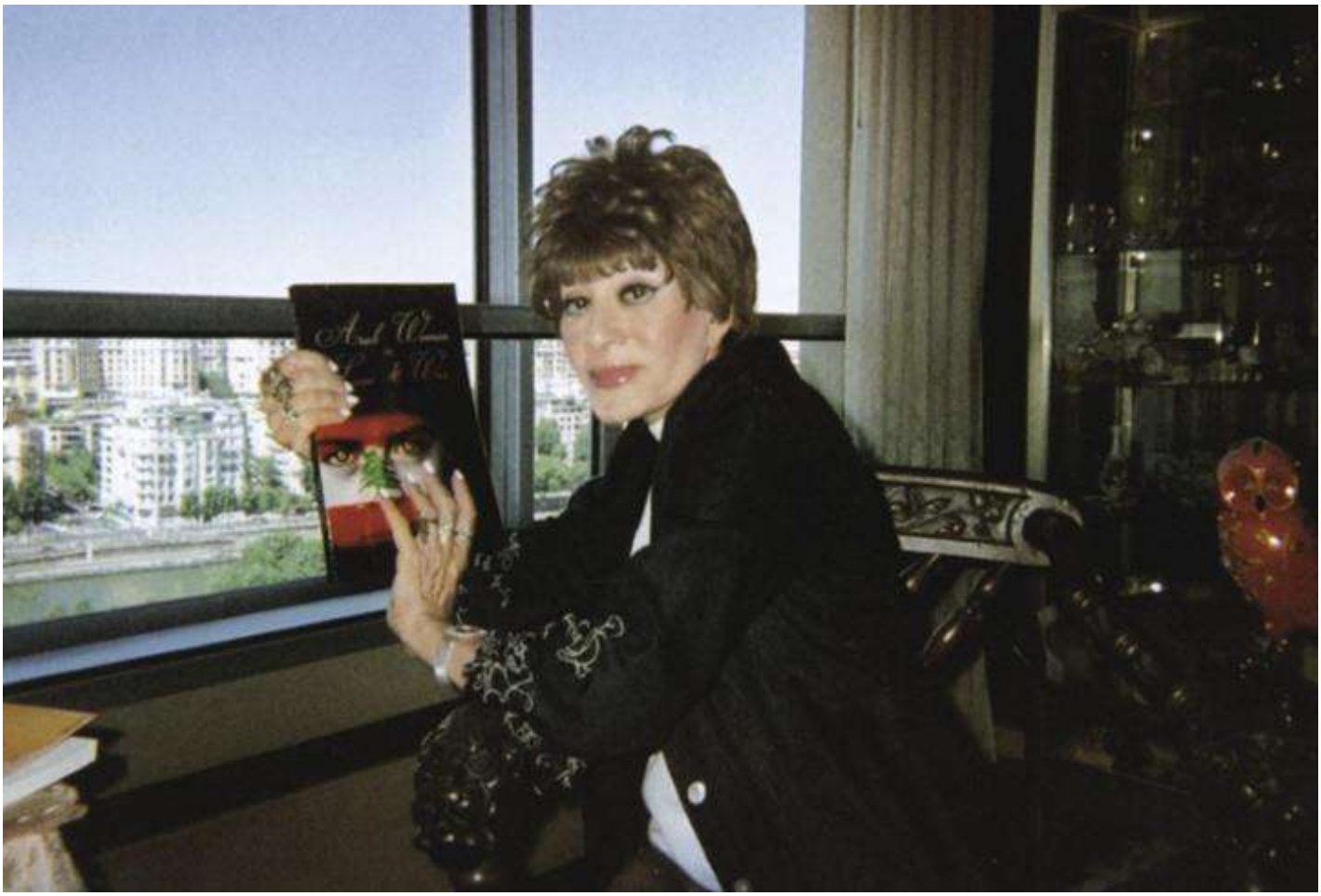

قالت في إحدى مقالاتها: "لا أريد أن أكون أيقونة، أريد أن أكون امرأة تُكمل حياتها بلا قيود"

لقد منحت النساء شيئاً أعمق من الجرأة.. منحتْهن شرعية أن يكنَّ أنفسهن، حتى لو كانت تلك (الأنفس) مرفوضة اجتماعياً.

حين تصير المرأة كتاباً مفتوحاً بين يَدَي الريح.

غادة السمان ليست سطراً في كتاب، ولا فصلاً في رواية، ولا حتى حكاية تنتهي بآخر صفحة.

هي كتابٌ مفتوح في ريح عاصف، تتقلب أوراقه بين دمشق وبيروت وباريس، بين الحب والحرب، بين المنافي الداخلية والمنفى الكبير.

كانت طفلة فقدت والدها مبكراً؛ فعرفت أن الحياة لا تمنح ضمانات، وعاشقة أحبت كأنها تقود ثورة، وكاتبة خاضت الحرب بالكلمات بدل الرصاص.

كتبت بيروت وهي تحترق، وكتبت المنفى كأنها تعيشه في كل لحظة، وكتبت الحب كحقل ألغام لا ينجو منه أحد، لم تكن رسائل غسان كنفاني إليها مجرد وثائق حب؛ بل مرايا تكشف قلبين عاشا خارج القوالب.

لكنها لم تمنحنا رسائلها له، ربما لأنها أرادت أن تترك بعض الأسرار في منطقة الظل، حيث يحق للحب أن يحيا بعيداً عن الأرشيف.

اليوم، وبعد عقود من الكتابة، تبقى غادة السمان شاهدة على أن الكلمة قد تكون أحياناً أشد من الرصاصة، وأن الحرية ليست شعاراً؛ بل أسلوب حياة.

هي التي كتبت: "أكتب لأني أرفض أن أموت وأنا صامتة" وربما هذا هو سرها الحقيقي.. أنها لم تكتب لتنال إعجابنا؛ بل كتبت لتنجو، فأصبحنا نحن ننجو معها.

كتّاب القلم

- همسة قدومي
- سلافة سمباوة
- ندى نسيم
- ناريمان علوش
- أروى المزاحم
- سمير لوبه

من القلب

همسة قدومي

يا للقسوة العظمى..!

بعد أن أمضينا أعواماً مديدة في العجز، والحزن، والقهر، والقمع، والسهد، والزهد، وكل ما يمت للرماد بِصِلَة.

وبعد أن أصيبت ذاكرة النظر بالهذيان.. أصبح لزاماً علينا أن نسلخ الجلود المهترئة.. ولكن كل شيء يتوقف هنا.. إلا الخوف فإنه يتكاثر.. فَكُلُّه قائم على هذا الخوف، وتلك الهنيهات بمصاحبة الأحلام.. مجرد أفيون يُمكّنك من السير في ممرات القصور المهجورة.

أنت جنديٌّ مطيع حتى يتم إبطال السحر.

يَعتبر البعض أن القدرة على الوقوف أمام كل تلك القباحة هو نوعٌ من أنواع الثبات والقوة، ويعتبره البعض نوعاً من أنواع الضعف، بينما يعتبره البعض الآخر شيء من السياسة الممنهجة للوصول إلى الهدف، متناسياً أو حتى متجاهلاً أنه عندما يصل سوف يكون قد فقد طعم حلاوة الحلم.

وهنا سؤال يطرح نفسه.. هل كل هذا الصبر والثبات.. عقيدة أم اضطرار..؟

وهل إن صبرت؛ ستحصل على الجائزة الكبرى، كزاويةٍ خاصةٍ بك على ضفة نهرٍ صافٍ..؟ أو كبقعةٍ صغيرة فوق قمة جبلٍ منعزل..؟

أم أن الشياطين سيسلبون منك استحقاقك، ويبيعون حقوقك وحياتك وأفكارك وعقيدتك؛ بل وحتى هدوءك وانعزالك.. للحمقى..؟

يا للقسوة العظمى..! لقد فعلوا ذلك بالفعل.

لكن، من الذي ثبَّت أقدام الشياطين على الأرض..؟ وجعل قاماتهم تطول عنان السماء، ونفخ صدورهم، وكان سبباً في ضخامة رؤوسهم الجوفاء، من سلَّمهم تيجان الحياة..؟ وصنع عروشهم..؟

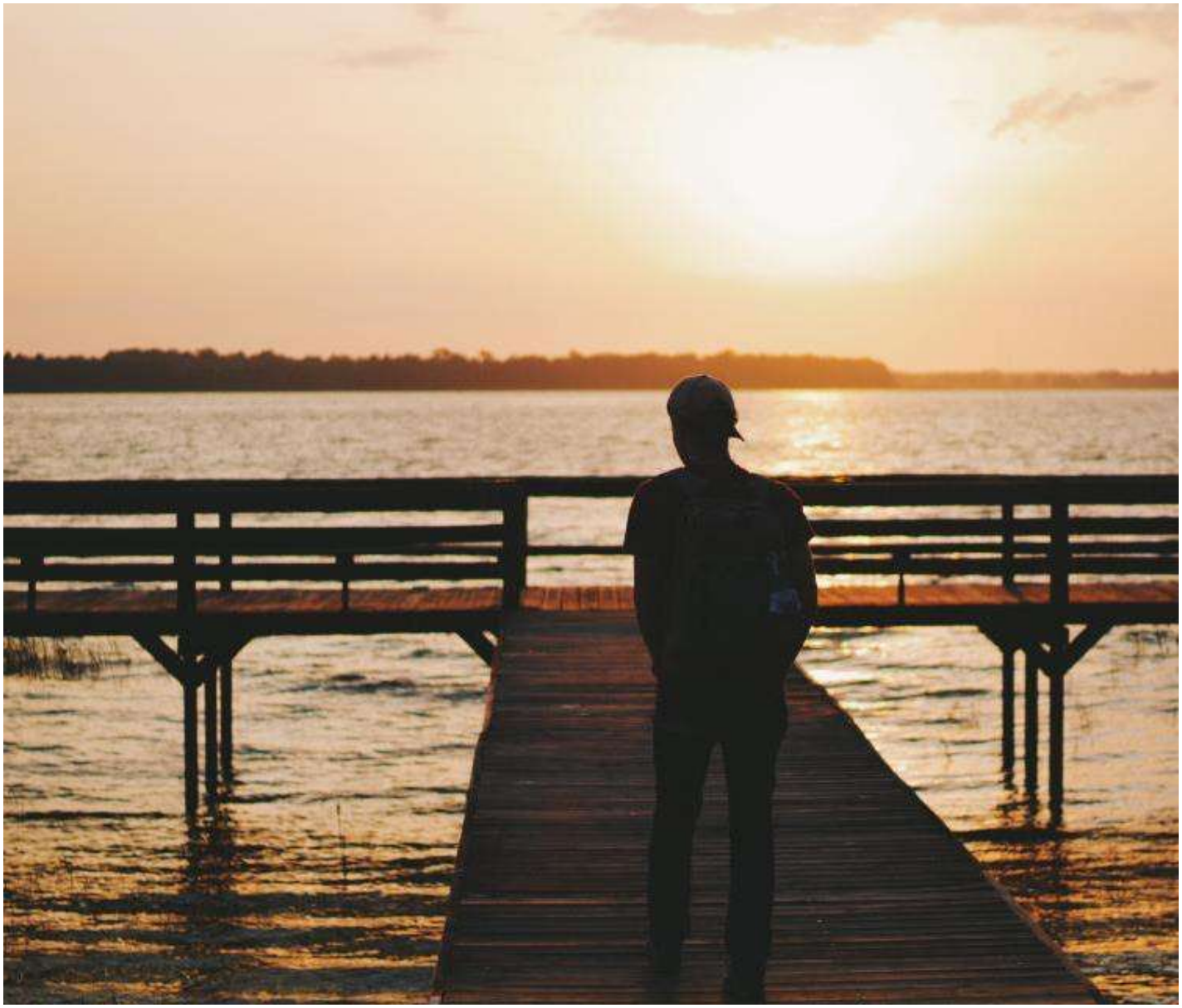

من جعل قسوتهم لامعة وهمجيتهم ساطعة..؟ بينما قامات من سواهم هزيلة حزينة يائسة..؟ هل هو دهاء الشياطين..؟ أم اهتراء أرواح الصابرين والصامتين..؟

نحن ننتظر كألواح خشب جافة خشنة، امتصت خيبات الحياة كل رطوبتها، وننظر.. ننتظر.. وننظر باتجاه رقصات الموت المخيفة، تتراءى أمامنا الأجساد كالأشباح، وتحلق الأرواح فوقنا كنجمات فضية، وداخل قبة المستقبل يبدو كل شيء رمادي اللون، كل شيء.. الأشخاص والجدران والأشجار؛ بل وحتى الأرض من تحتنا.

ونحن كما نحن، لا نُبالي، إذ لا طاقة لنا للمبالاة، وأحياناً لا نقدر على الاعتراف بالمأساة والتحدث عنها، فالحديث عنها يذكّرنا بعجزنا وقلة حيلتنا، أو لأننا لا نستحق كبشر أن نحمل تلك الأمانة، أمانة المساعدة والمواجهة.

ورُبَّما لأننا نعيش بأكثر من روح في الحياة، ربما من أجل ذلك نحن لا نُبادر، لأننا إن أردنا أن نتحول من مجرد لوح خشب إلى إنسانٍ متحرك؛ علينا أن نكون بِروحٍ ثابتة على منهجٍ واضح وعقيدةٍ راسخة، ولكن إرادتنا تصارع كل ما حولها، تهب عليها الرياح العاتية من كل اتجاه، حول كياننا كله، ونحن اضطربنا وتقوقعنا، وادَّعيْنا الحكمة.

يا للقسوة العظمى..!

نوافذ

بعد ١٧ عاماً من الانفصال، عادت العلاقة بينهما إلى سابق عهدها، وبهذه العودة، فتح الحبيبان القديمان الباب أمام سيل منهمر من الحنين للماضي، ولا يمكن تجاهُل عودة العلاقة بينهما إلى ما كانت عليه.

سلافة سمباوة

لماذا عاد..؟

السؤال الجوهري: لماذا عادوا..؟ ما المغزى من العودة..؟ لماذا لم يغلق الباب القديم جيداً..؟

كل القصص لعودة الأحباء تشبه رواية (الحب في زمن الكوليرا- لغابريل غارسيا ماركيز) أو مثل فيلم (the note book) أو عودة (جينفر لوبيز وبن افليك)

هل العودة لحبيب قديم جاذبة..؟ أم هو محض فضول..؟

الناس العاديون، أكثر ما يجذب انتباههم في مثل هذه القصص هو رؤية قدرة الحب على جمع مشتتين بعد سنوات من الفراق.

والحقيقة أن استعادة الذكريات مع حبيب سابق تثير مشاعر متباينة في نفوس البشر؛ فالبعض يحذر التقليب في دفتر ذكرياته، بينما يرى آخرون في الأمر ذاته مغامرة تستحق الخوض؛ بل وهدفاً يستحق المغامرة.

وتنسج خيوط العودة إلى حبيبٍ قديم ثوبَ قصة رائعة الجمال في معظم الأحوال، وتشهد بيانات الأبحاث العلمية بأن نحو ٥٠ في المئة من الأحبة المفترقين قد عادوا إلى بعضهم بعضاً مجدداً.

ومن العجب أن يسهم أي نوع من الاضطرابات في تعجيل عودة البعض، في ظل أزمة ما، ومعاناة من الوحدة، وإغلاقات بلا علاقات، حتى وجد كثيرون أنفسهم في ظل ذلك مدفوعين دفعاً إلى التفكير في الحبيب السابق على أمل لقياه والعيش السعيد في جواره.

إن عودة الحبيبين السابقين إلى بعضهما يمكن أن تجلب معها نفعاً كبيراً، لكن ذلك يتوقف على مدى استعداد الطرفين لعمل الكثير والتحلي بعقلية متفتحة.

ما الذي يجذب في الأحبة السابقين..؟

أشياء كثيرة قد تجذب المرء إلى حبيب سابق، لكن أقواها على الإطلاق هو معرفته بما هو مقبل عليه.

هناك مستجدات قد تطرأ على الشخصية يتعين على الراغب في

العودة أن يقف عليها، لا سيما إذا أراد لهذه العودة أن تعمّر، إن كل علاقة تحمل في طياتها نقاط اختلاف قائمة، تكون بذاتها شرراً للصدامات.

وحتى الأزواج السعداء لديهم تلك الاختلافات؛ ذلك أن أية علاقة هي في جوهرها رابط بين اثنين مختلفين في الشخصية والرؤية.

وتمثل المشكلات العالقة -تلك التي تحترق خيوطها في بطء- سُمًّا يقتل روح العلاقة بين كل حبيبين، وليس الأمر كذلك في حالات الصدام الآنّي أو لدى التعرض لحادث مفاجئ مهما كان كبيراً.

في الثلج لا في النار، تنطفئ العلاقات بين الأزواج أو الأصحاب يتجنب البعض الحديث عن الخلافات، ومن ثم العمل على حلّها حتى تتسع المسافات بينه وبين شريكه؛ فيغدو كلاهما كما لو كانا شريكين غريبين في غرفة واحدة وليسا متحابين.

وعندما يشرع المرء في علاقة جديدة؛ يطمع في أن تكون أفضل من سابقتها، وإذا كنت في علاقة وتفكر في الافتراق، فاحذر، لأنك مقدم على استبدال ٦٩ في المئة من الاختلافات القائمة بـ ٦٩ في المئة أخرى مع شخص جديد، أما عندما ترجع إلى شريك قديم، فأنت على الأقل تعرف ماهية تلك الاختلافات بدلاً من البداية من الصفر.

ومن هنا، تأتي رغبة البعض في العودة إلى شريك قديم، أو على الأقلّ التشبث بالشريك الحالي.

إنك إذ تعود إلى قديمك؛ تبدأ من حيث انتهيت، والوقوف على المستجدات، ويعدّ الفضول من الأشياء التي تجذب المرء إلى البحث عن حبيبه القديم أو شريكه السابق؛ والوقوف على ما استجد في شخصيته خلال فترة الافتراق.

وقد لا يجد المرء في نفسه هذا الفضول عندما يقابل شخصاً جديداً لم يعرفه من قبل، ذلك لأنه لا يعرف شيئاً عن نشأة هذا الشخص ولا تطوّره مع الأيام، بخلاف الشريك السابق الذي يعرف عن ماضيه الشيء الكثير.

إن أحد أهم دوافع العودة لحبيب قديم يتمثل في ذلك (الشعور بالنضج) ذلك أن تجريب المراحل التي تتطور بها المشكلات مع شخص معين من خلال العيش معه زمناً؛ يمنح المرء بصيرة يستطيع بها استقراء ما سيحدث؛ فيكون بذلك أكثر تحكماً في مسار الأمور.

إن المرء بحاجة إلى الوقوف على المشكلات التي كانت تستعصي على الحل والتفاوض قبل الانفصال، والنظر بجدية وبأمانة فيما إذا كانت الأمور قد اختلفت الآن أو أنها لا تزال على حالها، وقبل الشروع في طريق العودة إلى الحبيب القديم؛ على المرء أن يسأل نفسه أولاً لماذا هو مقبل على ذلك..؟ لأن كثيرين يجانبهم الصواب.

إن التشوق إلى الراحة في جوار الشريك القديم قد يضلل المتشوقين، لا سيما في أزمنة الاضطراب، إن الدافع في تلك الحالات إنما يكون شعور المرء بأنه بلا غد ينتظره، ومن ثم ينقّب في الماضي عن حب قديم أو بالأحرى عن شعور بالأمان بات يفتقده في زمن موسوم بالاضطراب والخوف.

هناك ضرورة لتحليل العلاقة القديمة وكيف انتهت قبل طرق باب العودة الذي قد يأتي بردّ سلبي، لا سيما إذا كانت العلاقة قد انتهت على نحو سيء.

كثيرون بيننا قد يجدون أنفسهم في حالة حنين إلى حب ضائع، وإذا حاولوا البحث عنه بطريقة واقعية وصحية؛ فقد يجدون ما كان قد ضاع منهم شريطة أن يكون البحث مشتركاً، والعمل المشترك على إبقاء الحب مشتعلاً ودافئاً بحوار ناضج من الطرفين، والعمل كفريق لإنجاح العلاقة بقلب صادق.

أما تلك العودة التي لا تكون فها الرؤية واضحة والهدف والرسالة والمغزى، فهي محض هراء نابع من الفراغ وقلة الوعي.

لا تعد لشيء لا تنوي حقاً في انجاحه أو العمل على إصلاحه بطريقه صادقة وصحية وصحيحه، كونوا واعيين لماذا عاد أحبائكم..؟

قلم نابض

من منا لا يحب تغيير الجو والخروج في رحلات للترفيه وقضاء وقت ممتع بعيداً عن ضوضاء المهام والالتزامات التي لا تنتهي..!

لعل أغلب رحلاتنا تكون خارجية، مرتبطة بالمحيطين بنا، ولكن قد ننسى أحياناً متعة رحلتنا الداخلية التي يفترض أن نعيشها ونحلق فيها كثيراً خلال مسيرتنا الحياتية.

أنا هنا أتحدث عن متعة الاستفاقة التي تطال الأفكار والمشاعر، ومن ثم تترجم إلى سلوك.

أتحدث بالتحديد عن متعة التشافي الذاتي الذي نحتاجه لتطهير أرواحنا من الأوجاع والخيبات والكثير من التحديات.

ما أجملها من رحلة..!

مع يقيني بأننا قد لا نملك جميعاً صلاحية الاستمتاع بها، وذلك لاختلاف تفكيرنا وإيماننا بقدراتنا وذواتنا التي قد تكون سبباً في التعافي.

فالتشافي الذاتي يحتاج إلى ثقافة واسعة، يكون الفكر فيها على أهبّ الاستعداد للتغيير من أجل استثمار ما تبقى في النفس.

إن النظر إلى الذات بقوة يتطلب القوة، والرغبة في التغيير تتطلب الإرادة التي تُعين على خلق واقع جديد برؤية جديدة، مع استثمار الإمكانيات المتاحة.

بل إن الأمل يتطلب حالة من التأمل العميق في التعرف على مواطن الضعف والقوة، كمحاولة لتقوية الجوانب الضعيفة والارتقاء بجوانب القوة في الشخصية.

هذه الرحلة تتطلب وعياً كبيراً، وهي ليست مستحيلة؛ فرُوّاد التطوير والتغيير هم أكثر الأشخاص الذين خاضوا الرحلات الداخلية، أي رحلاتهم مع أنفسهم، وأدركوا عظمة التشافي الذاتي الذي يمكن أن يُشكّل منك نسخة جديدة قادرة على العيش بصورة أفضل وأجمل.

ندى نسيم

متعة الراحة الداخلية

آدم وحواء

رسالة من كل امرأة.. إلى رجل تحبه

ناريمان علوش

أكتب إليك وأنا في تلك اللحظة الحرجة بين الشوق والخذلان، بين الحب كما تمنّيته، والحب كما عشته.

أكتب لا لأشتكي؛ بل لأضع قلبي على طاولتك، كما توضع الكتب العتيقة على رفوفٍ عالية، لا يطالها الغبار؛ بل تظل تنتظر من يقرأها بتأنٍّ وعمق.

هل تدري كم من التعب يختبئ خلف صمتي..؟

وهل تدرك أنني حين أحببتك، لم ألقِ قلبي إليك على استحياء؛ بل وضعتك في مقعده الأول، جعلتك حاضري، واستشرفت بك مستقبلي، وحفرتُ لك في ذاكرتي مدناً كاملة، لم تزرها بعد..؟

أنا لا أكتب إليك اليوم لتغفر لي قلقي؛ بل لتفهمه.

ولا لأُثبت لك أنني امرأة صالحة للحب؛ بل لأُذكّرك أنني لم أطلب منك أكثر من أن ترى ملامحي ببصيرتك، لا بعينيك فقط.

كنت أرجو أن نلتقي على أرض الفهم، حيث لا حاجة للتبرير، ولا لرفع الصوت، ولا لتلك الحرب اليومية التي نخوضها كي نفسّر أنفسنا للذين لا يملكون مفاتيحنا.

أنا لست معادلة تبحث عن حل، ولا سطراً غامضاً في قصيدة عتيقة.

أنا امرأة من لحمٍ ووجع، من نبضٍ وتوق، من ذاكرةٍ لا تسهو، ومشاعر لا تُترجم بالحروف وحدها.

أحببتك لأنك بدوت لي مختلفاً، كما بدا القمر الأول لطفلةٍ لم ترَ من الليل إلّا عتمته.

ظننتُك ستفهمني دون أن أشرح، ستصغي لي حين لا أتكلم، وستقرأني حين أعجز عن الكتابة.

لكنك -ويا للأسف- ظللت تفتّش عني في الأماكن الخطأ.

ظننتَ أنني الحضور الصاخب، بينما أنا الهدوء الذي يسبق المطر.

رأيتني القوية التي لا تنكسر، ولم تلمح الهشاشة في طرف ابتسامتي.

ظننتني أكتفي بالقرب، وأنا كنت أبحث عن الحضور الحقيقي، ذاك الذي يطمئنني بأنني لا أحتاج لأن أبذل جهدٍ حتى ترى ما في داخلي.

كنت أتمنى لو رأيتني وأنا أخاف من المسافة، لا من البُعد الجسدي؛ بل من ذلك الفراغ الذي يتسلل بيننا حين نعجز عن تقريب الفكرة، حتى وإن كنت إلى جواري.

كنتُ أرجو لو قرأت حزني حين أضحك، وسمعت ارتجاف قلبي حين أصمت.

لكنك لم تفعل.

لا لأنك لا تحب؛ بل لأنك لم تتعلم كيف تحب امرأةً مثلي.

أنا لا أحتاج أن أُفهم كمن يطلب الخلاص؛ بل كمن يريد أن يعيش في علاقةٍ لا تُبنى على حسن الظن فقط؛ بل على الإدراك الحقيقي لمعنى المشاركة.

إنني أؤمن أن الفهم هو التجلي الأعمق للحب.

فنحن لا نحب من يبهرنا؛ بل من نفهمه حين ينهار، حين يصمت، حين يتراجع عن الكلام ليحتمي بنا من العالم.

وما الحب، إن لم يكن حصناً نلوذ إليه من ضجيج التفسير وسوء الظن والتأويل..؟

ربما نسيت أنني حين أحببتك، أحببتك بقلب امرأة تقرأ، وتكتب، وتفكر، وتشعر.

امرأة تعي أنّ الحب لا يزدهر في العاطفة وحدها؛ بل يحتاج إلى الوعي، وإلى مساحات من الإنصات، والصدق، والصبر.

أكتب إليك لأنني ما زلت أؤمن أنك قادر، إن أردت، أن تدخل إلى عالمي دون أن تقتحمه.

قادر أن تُمسك يدي حين أرتبك، لا لتقودني؛ بل لتسير إلى جانبي.

وأختم، كما يليق بأرواحٍ تعرف طعم الكلمات، ببعضٍ مما أؤمن به: قال جبران خليل جبران: "إن المحبة التي لا تُتوّج بتفاهم دائم، تصبح عبئًا ثقيلاً"

وقالت غادة السمان: "لا أريد حبًّا يثقلني، أريد حبًّا يفهمني"

وقال نزار قباني: "الحب ليس روايةً شرقيةً بختامها يتزوّج الأبطال، لكنه الإبحار دون سفينة، وشعورنا أن الوصول محال"

أما أنا، فأقول لك بصوت امرأة تجد في الكتابة ملاذاً: دعنا نُحب كما يليق بالأحرار، نفهم أوّلاً، ثم نحتفل بالحبّ كما يحتفل البحر بالمطر.

بك الأمل، وإليك الكتاب.

امرأةٌ تحبّك.

ارتواء الفكر

أروى المزاحم

سر التوقيت

تعد إدارة الوقت اليوم إحدى أهم المهارات التي لا بد على الجميع اتقانها، من خلال تعلم التخطيط الجيد، وتنظيم الأعمال اليومية من الأهم وحتى المهم، لتتحقق الأهداف ويكتمل الإنجاز بجهدٍ وزمن أقل.

فالوقت عامل مهم جداً في زيادة كفاءة الأعمال من خلال تحفيز العقل للتركيز في إنهاء المهمة في الوقت المحدد لها.

ولكن.. ما لذي يعنيه سر التوقيت..؟

يأتي التوقيت بمعنى اللحظة أو الفترة الزمنية الأكثر ملاءمة لاتخاذ قرار أو تنفيذ مهمة ما، إذ لا يمكن لوقتٍ آخر أن يكون ملائماً كهذا الوقت، وسر اختيار التوقيت المثالي هو أحد أهم أسباب النجاح، فهو يلعب دوراً حاسماً في صنع القرار، وانتهاز الفرص، ودق ناقوس النجاح، فالكثير من الأمور والقرارات تنجح أو لربما تفشل بسبب عامل التوقيت الذي قد يكون أهم عنصر في أي مهمةٍ كانت.

تختلف قيمة الخيارات مع مرور الوقت، مما قد يؤدي لضياع الفرص بسبب تأجيل الاختيار أو التسرع فيه، في حين أن التنسيق في اختيار تنفيذه يضمن نجاحه.

علينا تحري اختيار الوقت المثالي في جميع أمور حياتنا، أن نعرف متى نتحدث ومتى ننصت، متى ننام ومتى نصحو، متى نتقدم ومتى نتوقف، وأن نكونَ على دراية بلحظات ذروة طاقتنا وألا ندع تلكَ اللحظات الذهبية تمضي دونَ الاستفادة منها.

ولأن التوقيت المثالي ليس مفهوماً ثابتاً؛ بل يختلف من شخص لآخر، ومن موقف لآخر بحسب حالة الشخص الذهنية والجسدية وإيقاعاتهِ البيولوجية؛ كان لا بد من مراعاة لحظات إرهاقنا أيضاً لنمنح أنفسنا الراحة، وبذلك يتحقق التوازن في حياتنا بينَ بذل الجهد وبينَ الراحة.

ومضة: التوقيت هو اللحظة التي تؤمن فيها أن حتى عين المنع هو عين العطاء، وأن كل ما أنت فيه هو عطاء ولو كنت تظنه منع، فحتى لو تحريت أفضل الأوقات في كل شيء فإنك لن تنجح إلا بتوفيق الله لك أولاً، ثُم بتخطيطك وجهدك.

رحلتي مع القلم

أكتب هذا المقال لأسترجع لحظات تشكلت فيها ملامحي كقارئ أولاً، ثم ككاتب يحاول أن يصغي لما بين السطور.

سمير لوبه

هؤلاء علموني

(هؤلاء علموني) محاولة متواضعة لرد الجميل لمبدعين كبار أناروا لي الطريق، وعلموني أن الكلمة لا تُكتب بالحبر فقط.

هنا أفتح قلبي، وأشارك ما بقي في ذاكرتي من أثر أنطون تشيكوف، وأناقة محمود تيمور، وصرخات يوسف إدريس، وبصيرة نجيب محفوظ، وحنين إبراهيم عبد المجيد.

ربما يجد من يقرأ مقالي نفسه بين السطور كما وجدتُ نفسي ذات يومٍ وأنا أقرأهم للمرة الأولى، ثم للمرة الألف.

•أنطون تشيكوف.. خفة المعنى وعمق الإنسان.

من تشيكوف تعلمت كيف تُكتب القصة دون أن تقول كل شيء، لم يكن يعظ، ولم يكن يكتب بقصد التوجيه أو الإصلاح، تشيكوف يرسم المشهد، يلمّح إلى الألم، ويترك القارئ ينزف.

علمني أن الصمت لغة، وأن البياض بين السطور قد يكون أبلغ من الكلمات، في قصصه القصيرة؛ شعرت أنني أعيش حالات إنسانية دقيقة، منزوعة من الزخرفة، مغروسة في تربة الحياة اليومية، علّمني أن القصة ليست بحاجة إلى خاتمة؛ بل إلى أثر.

تشيكوف كان يعرف أن الإنسان هشّ، وأن أكثر المشاعر رعباً لا يُصرَّح بها؛ فهي تنمو في حنايا النفس.

•محمود تيمور.. أناقة السرد وفن التهذيب.

من محمود تيمور تعلمت اللغة كحديقة مشذبة، لا زهر فيها زائد، ولا شوك مفاجئ، كان كاتباً يعرف كيف يخلق عالماً مصرياً بسيطاً، لكنه مشبع بالذوق الأدبي والتأمل الأخلاقي.

قصصه تأخذ بيد القارئ إلى أماكن مألوفة، لكنها تصقل في النفس حسّ التذوق، فهي دروس في الرقة والسلوك دون وعظ مباشر.

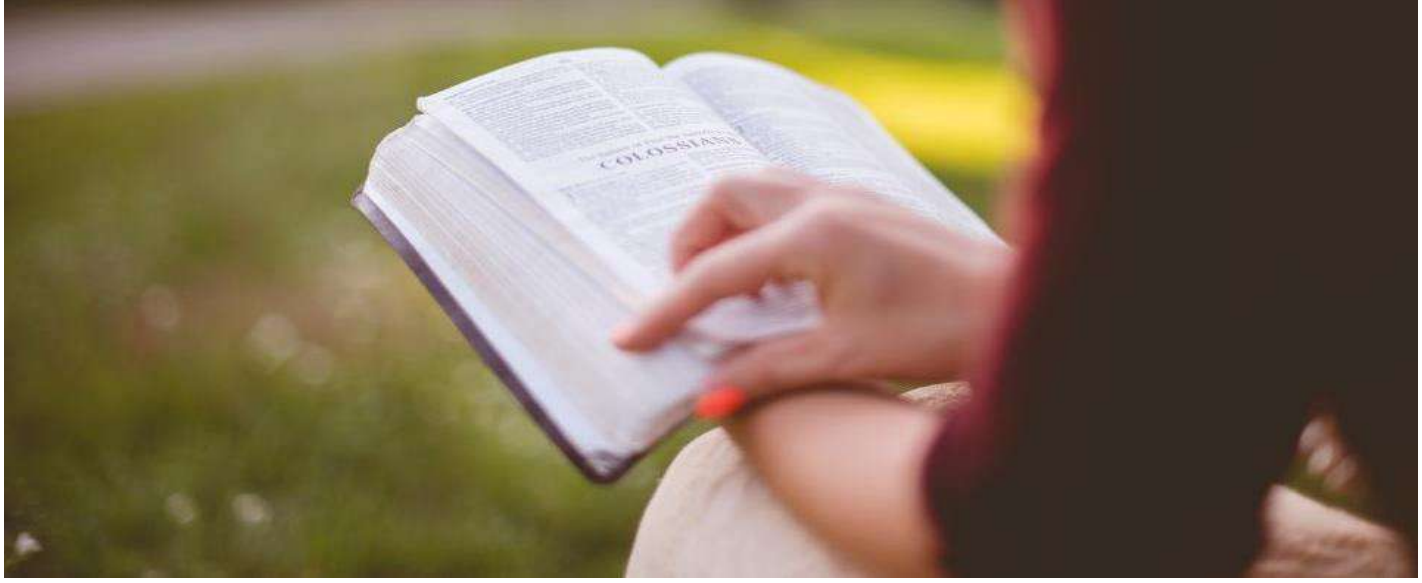

علمني تيمور أن للأدب وظيفة تهذيبية، لغته نظيفة سلسة، ولا تخلو من العمق.

تعلمت منه العناية بالشكل، وأن تكون القصة تحفة صغيرة، لم ينقل الواقع، لقد صنع جمالياته.

•يوسف إدريس.. أن تكتب بدمك.

من يوسف إدريس تعلمت أن أكتب بجسدي قبل قلمي، لم يكن عنده وقت للزينة ولا للتهذيب البارد، كتابته عنيفة تخرج من عرق الجسد، ومن حنجرة العامل أو صرخة الفلاحة.

في قصصه أشعر أنني في قلب المعركة إذ لا مكان للترف فيها.

علمني إدريس أن الواقع أقسى من أن يُجمَّل، وأن الأدب ينبغي أن يحفر في القبح ليضيء الحقيقة، إدريس أول من جعلني أشعر أن الحارة المصرية بطلٌ، وأن العامية ليست لغة متدنية إنما لغة حية تنبض بالحقيقة، تعلمت منه الجرأة، تعلمت أن أكتب كأنني أصرخ لا أخطب.

•نجيب محفوظ.. النظام، والبصيرة، والعبور إلى العالم.

من نجيب محفوظ تعلمت النظام قبل أي شيء، كان محترفاً جاداً، يعرف أن الأدب عمل، وأن العبقرية لا تولد من الفوضى.

في أعماله شعرت أنني أمام روائي مصور يرسم ما وراء العدسة.

علمني أن الواقع مادة خام عظيمة لا بد أن تُصاغ برؤية.

محفوظ يصوغ الشخصيات كمن ينحتها من طين الحياة، ومنه تعلمت التأمل، لا الاكتفاء بالحكي.

•إبراهيم عبد المجيد.. المدن التي تمشي فيك.

من إبراهيم عبد المجيد تعلمت أن المدن أرواح.

الإسكندرية في رواياته كائن حيّ يتنفس، يعشق، ويتألم.

في لا أحد ينام في الإسكندرية، طيور العنبر، والإسكندرية في غيمة، وبيت الياسمين، وغيرها مشيت في شوارع شعرت أنها مرت في حلمي.

علمني عبد المجيد كيف يتحول المكان إلى شريك في الحكاية، وكيف يصبح التاريخ طيفاً يطل على الأبطال من خلف الستار.

إن إبراهيم عبد المجيد يكتب من داخل الروح، ولا ينسى القارئ، لغته سلسة، وصوره لا تُنسى أبداً، ومنه تعلمت أن أكتب عن المكان كذكرى، أن أصور المشي في شارع كأنني أسترجع حياة.

كل من هؤلاء الكبار علموني شيئاً ككاتب وكإنسان أيضاً، لم أخرج من قراءتهم كما دخلت.

تشيكوف فتح لي باب الصمت، تيمور دلني على جمال اللغة، إدريس هزني بجرأته، محفوظ رباني على التأمل، وعبد المجيد وشّح ذاكرتي بالمدن.

ما زلت أتعلم من هؤلاء، لأن الأدب لا ينتهي، إنه حياة تعاد صياغتها مراراً، وهؤلاء الكبار في كل مرة أعود إليهم يعيدونني إلى نفسي، وإلى الكتابة كما يجب أن تكون صادقة، مؤثرة، وأبدية.

الكنارة

للكاتبة
غلا المالكي

مجموعة من النصوص الأدبية صاغها القلب..

خواطر للذين كبروا فجأة، فضاقت بهم سُبل الحياة، واستوقفتهم المواقف، وامتزجت بسواد شعورهم..

خواطر أدبية ما بين القلب والورق، يتسلل الحزن داخلها، ونهرب لتلك المسافات كالأطفال..

نكتب أشجاننا بمدامع الأحرف..

نلتحف الأعوام التي مضت، ونتسلق براءة اللغة، كي نخلق من صمتنا دواء..

من ثغر عاطفة كل إنسان، من رحم المعاناة، والمواقف، والغيابات، انحنى قلمي، وأبْحَرْتُ في كتابة خواطري..

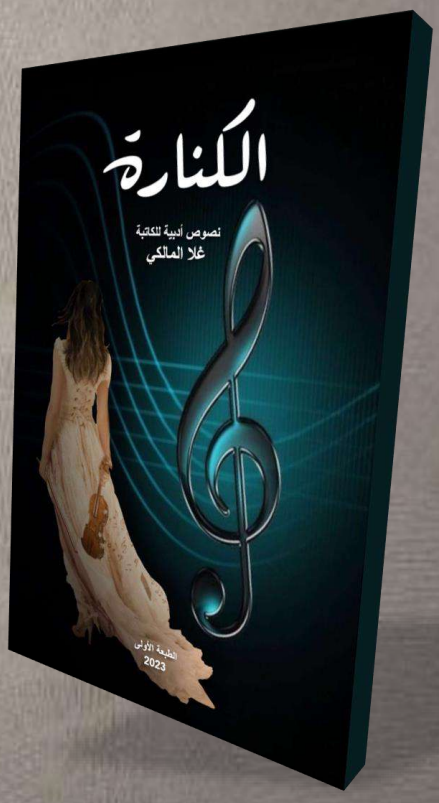

للطلب
متوفر عبر مكتبة اطبع
www.print.sa/bookstore

فلسفة

في خيال من الحب

للكاتبة

هديل الواوي

صادر عن دار تكوين
للطلب
٠٠٩٦٦٥٥٩٩٤٢٠٣٠
Tkween.net.sa

مجموعة قصصية لمشاهد عاطفية، أو اجتماعية، أو خيالية، فيها الكثير من العاطفة لمراحل عمرية متنوعة، بين الصبا والنضوج، وبين العشق والحياة الزوجية، تصل في معظمها لفكرة فلسفية، تخرج من عمق الإحساس الإنساني.

لأن الإنسان ما هو إلا مجموعة من المشاعر المختلفة، التي تُكوّن وجوده وترسم حياته ومسارها.

نافذة ثقافية

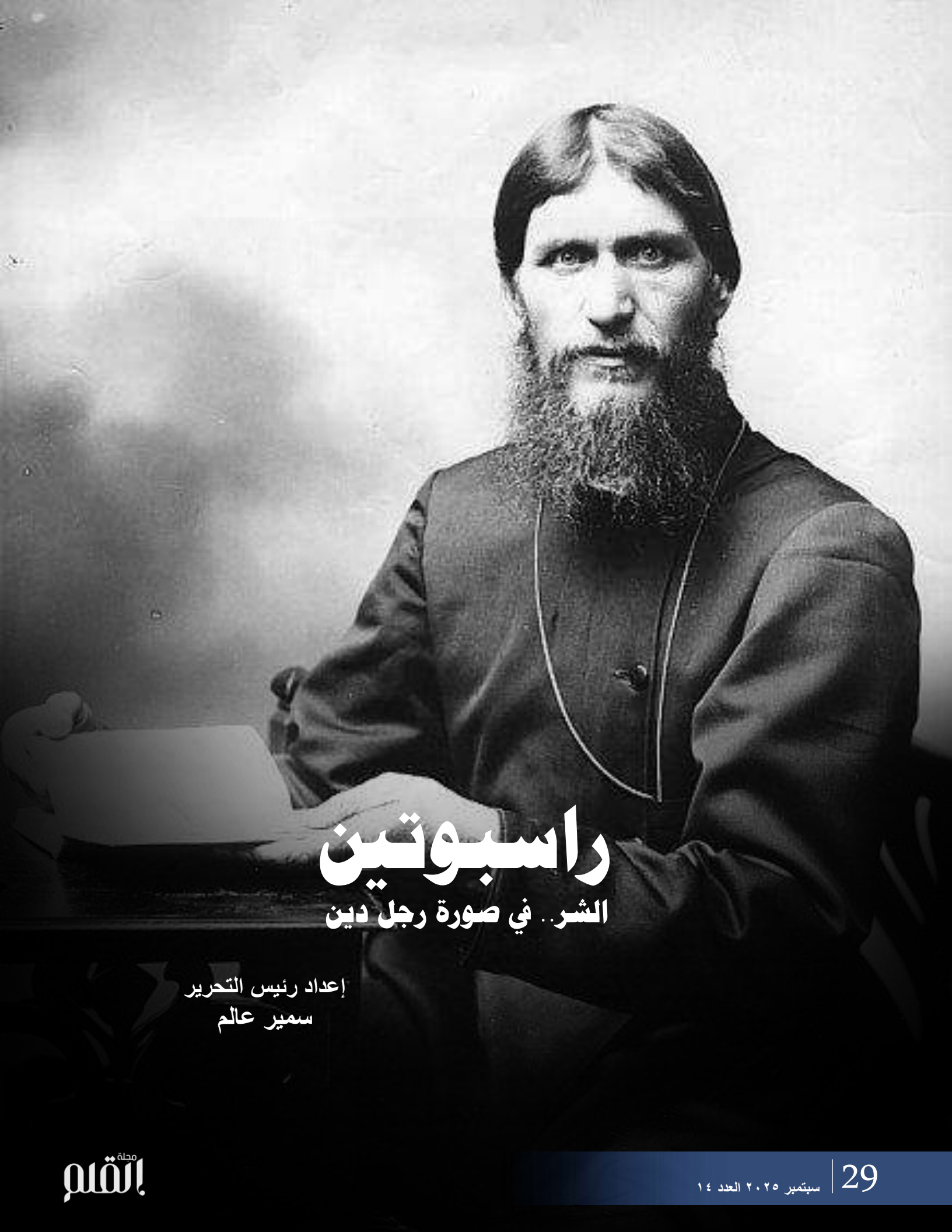

راسبوتين

الشر.. في صورة رجل دين

إعداد رئيس التحرير
سمير عالم

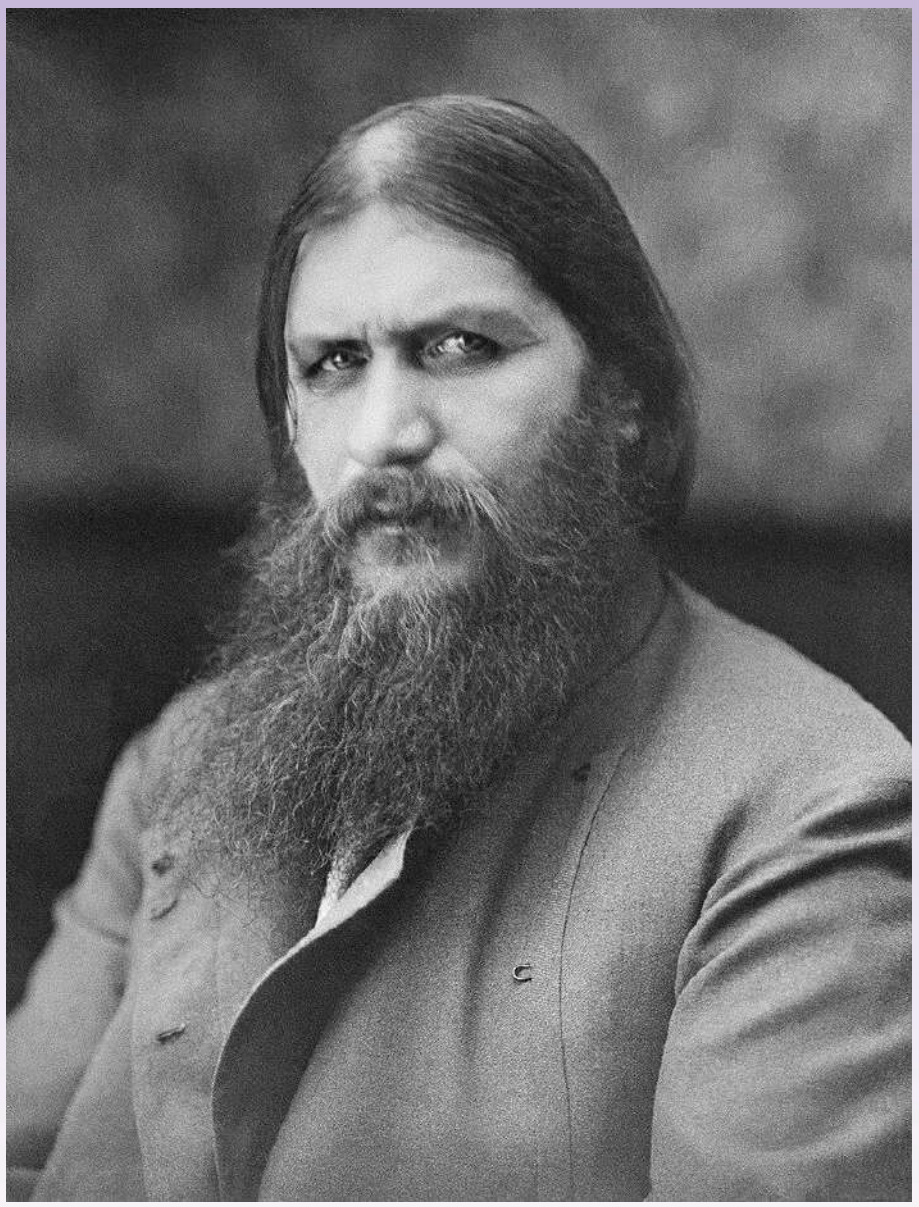

غريغوري يفيموفيتش راسبوتين، الراهب المجهول القادم من سهول سيبيريا، والذي أثار جدلاً واسعاً في تاريخ روسيا القيصرية، ويُعد أحد أكثر الشخصيات إثارة للانقسام في القرن العشرين.

قصته بدأت في قرية نائية لتنتهي في بلاط قيصر روسيا، وقدرته السحرية على التغلغل داخل هذا المجتمع الذي يكاد أن يكون مغلقاً أمام الكثير من الطامحين للسلطة والمكانة؛ بل ليتجاوزها إلى المشاركة والتأثير فيها.

سطع نجمه سريعاً، وبات مؤثراً في حياة البلاط الإمبراطوري، ليمتد أثره إلى النبلاء وكافة الشعب، وربما كذلك مؤثراً في تفاقم الأزمات التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية الروسية في النهاية.

لتنتهي قصته بطريقة دموية ولا تخلوا من الغرابة كذلك.

وُلد راسبوتين عام ١٨٦٩م، في قرية (بوكروفسكوي) في سيبيريا، وهي أحد المناطق النائية والفقيرة في روسيا القيصرية.

كان والداه فلاحين بسيطين، ولم يحظَ راسبوتين بتعليم رسمي؛ مما جعله أمياً في بداية حياته.

في مرحلة شبابه، عُرف بسلوكه المشاغب، حيث كان

يقضي وقتاً طويلاً في الشرب والمشاركة في أعمال شغب صغيرة، مما أكسبه سمعة سيئة في قريته.

إلا أن حياته شهدت تحولاً كبيراً في العشرينيات من عمره، عندما بدأ يظهر اهتماماً بالدين والتصوف، بعد أن تأثر بزياراته للأديرة المحلية وبعض الطوائف الدينية غير التقليدية، مثل طائفة (الخاليستي)

وكانت لهذه الطائفة معتقدات غريبة، حيث كانوا يؤمنون بأن الاقتراب من الله يتم من خلال ارتكاب الخطايا؛ ثم التوبة منها، ويعتقدون بأن ارتكاب الخطايا – خاصة الجنسية – تجعل التوبة أكثر عمقاً، وهي طائفة نشأت في روسيا في القرن السابع عشر، وتعتبر منشقة عن الكنيسة الأرثذوكسية، وممنوعة من طرف الكنيسة والسلطة.

> "التقى راسبوتين بالقيصر (نيكولاس الثاني) وزوجته (ألكسندرا) في عام ١٩٠٥"

راسبوتين مع بعض الرهبان

امتلك راسبوتين كاريزما خاصة، حيث كان يمتلك قدرة على جذب الناس بعيونه الثاقبة وأسلوبه المباشر في الحديث، وادّعى أن لديه قدرات روحانية، بما في ذلك الشفاء والتنبؤ بالمستقبل؛ مما جعله يحظى بشعبية في محيطه الريفي.

قرر في بداية القرن العشرين مغادرة سيبيريا والتوجه إلى (سان بطرسبرغ) عاصمة الإمبراطورية الروسية حينها، وذلك بحثاً عن فرص أكبر.

ومن خلال سمعته التي اكتسبها كرجل دين ومعالج؛ بدأ رحلته نحو النفوذ، وتمكن من كسب ثقة بعض النبلاء والأرستقراطيين.

في عام ١٩٠٥، التقى راسبوتين بالقيصر (نيكولاس الثاني) وزوجته (ألكسندرا) وفي مرحلة كانت فيها الإمبراطورية الروسية تعيش حالة من الاضطرابات السياسية بعد هزيمة روسيا في الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥) وثورة ١٩٠٥؛ مما أضعف موقف السطلة الإمبراطورية.

كان الأمير (أليكسي) هو الابن الوحيد للقيصر والوريث الشرعي للعرش، والذي كان يعاني من (الهيموفيليا) وهو مرض نادر يسبب نزيفاً حاداً، ويُعتبر غير قابل للعلاج في ذلك الوقت، وفشل الأطباء في السيطرة على حالة الأمير؛ مما جعل زوجة القيصر (ألكسندرا) تبحث عن حلول

غير تقليدية.

ومن خلال سمعة راسبوتين التي انتشرت؛ تم تقديمه إلى العائلة الإمبراطورية من خلال أحد النبلاء.

والغريب أنه في إحدى الزيارات، تمكن راسبوتين وبطريقة غامضة، من تهدئة الأمير (أليكسي) أثناء نوبة نزيف حادة.

ويعتقد بعض المؤرخون أن راسبوتين تمكن من ذلك من خلال إحداث تأثير نفسي، حيث كان يهدئ (ألكسندرا) ويقلل من توترها؛ مما ساعد في تحسين حالة الأمير بشكل غير مباشر، بينما آخرون يرون أن راسبوتين قد استخدم تقنيات مثل التنويم المغناطيسي أو الأعشاب الطبية.

هذه الحادثة جعلت من راسبوتين شخصية لا غنى عنها في نظر (ألكسندرا) التي بدأت ترى فيه (رجل الله) الذي أرسله لحماية ابنها الأمير (أليكسي)

مع مرور الوقت، أصبح راسبوتين مستشاراً غير رسمي للعائلة الإمبراطورية، وخاصة (ألكسندرا) والتي كانت بدورها تفتقر إلى الخبرة السياسية، كما أنها كانت تعاني من عزلة اجتماعية، وذلك بسبب أصولها الألمانية، وبدأت تعتمد بشكل كبير على نصائح راسبوتين، خاصة في الشؤون السياسية.

خلال الحرب العالمية الأولى والتي اندلعت ما بين (١٩١٤-١٩١٨) اضطر القيصر (نيكولاس الثاني) لمغادرة العاصمة لقيادة الجيش والتواجد على جبهات القتال، وأوكل إدارة الشؤون الداخلية لزوجته (ألكسندرا) التي كانت بدورها تعتمد على راسبوتين.

وبالاعتماد على هذه الثقة؛ بدأ راسبوتين التدخل في تعيين الوزراء وإقالتهم، مما تسبب في فوضى كبيرة في الإدارة الحكومية، حيث كان يوصي بأشخاص غير أكفاء أو من يدعمون مصالحه الشخصية؛ الأمر الذي بدأ يثر غضب النخبة السياسية في الإمبراطورية.

نيكولاس الثاني وزوجته إلكسندرا

هذا التدخلات جعلت من راسبوتين خصماً للكثيرين، وبدأ يُنظر إليه كقوة خفية تسيطر على العرش، وأثار استياء عدد لا بأس به من النبلاء، والذين شعروا بأن فلاحاً أمياً بدأ يتجاوز حدوده.

شكل راسبوتين بالنسبة للنبلاء، رمزاً لانتهاك النظام الاجتماعي التقليدي، وكانوا يرون فيه فلاحاً متطفلاً لا يملك المؤهلات للتدخل في شؤون الدولة، إلى جانب سلوكه الفاضح، مثل إدمانه على الكحول، وفضائحه التي انتشرت حول علاقاته

> تدخلات راسبوتين في شئون الحكم جعلت منه خصماً للكثيرين، وأثار استياء النبلاء

الغرامية مع عدد كبير من نساء الطبقة الأرستقراطية؛ الأمر الذي زاد من حقدهم وازدرائهم له.

وبلغت تلك الشائعات ذروتها، لتطال زوجة الإمبراطور ذاتها، وتتحدث عن علاقة غرامية تجمعها براسبوتين، الأمر الذي غذى غضب النبلاء، والذين رأوا في ذلك إهانة للعرش.

كل ذلك بينما كانت روسيا تعاني من أزمات اقتصادية واجتماعية حادة خلال الحرب العالمية الأولى، وكانت الأوضاع المعيشية تزداد سوءاً، مع نقص في الغذاء وارتفاع الأسعار، بينما كان الجيش يعاني من هزائم متتالية.

> تحول راسبوتين إلى رمز لكل ما هو فاسد في النظام

راسبوتين

لتنتقل حمى الكراهية تجاه راسبوتين إلى طبقات الشعب، والذي رأى فيه رمزاً للفساد والفوضى في البلاط، خاصة مع انتشار الشائعات حول تأثيره الكبير على قرارات (ألكسندرا) مستحضرين في ذاكرتهم أصولها الألمانية، مما جعل البعض يتهمها بالخيانة، ويثير الشكوك حول إمكانية أن يكون راسبوتين جاسوساً ألمانياً.

بدأ الشعب يرى في القيصر (نيكولاس الثاني) حاكماً ضعيفاً غير قادر على إدارة البلاد، بينما بدأ النبلاء من جهتهم يخشون أن يؤدي نفوذ راسبوتين الآخذ في الازدياد إلى زعزعة النظام القائم؛ مما دفع البعض إلى التفكير في التخلص منه نهائياً.

ربما لم يكن راسبوتين هو المتسبب الأكبر في انهيار الإمبراطورية؛ إلا أن وجوده في البلاط وفي هذا الوقيت الحرج؛ شكل عاملاً مساهماً في تفاقم الأزمات وتسارع الأحداث التي أدت في النهاية إلى اندلاع الثورة الروسية عام ١٩١٧.

فالإمبراطورية الروسية كانت تعاني من مشاكل هيكلية عميقة، بما في ذلك الفجوة بين الطبقات، والفساد الإداري، والخسائر الكبيرة في الحرب العالمية الأولى.

وفي حين كانت السلطة الحاكمة للبلاد بأمس الحاجة إلى ثقة الشعب وتضامنه؛ أدت تدخلات راسبوتين في الشئون السياسية إلى إضعاف مصداقية القيصر نيكولاس الثاني، وبدأ يُنظر إلى القيصر كحاكم متردد، يعتمد على نصائح رجل مثير للجدل.

وتحول راسبوتين إلى رمز لكل ما هو فاسد في النظام، مما زاد من السخط الشعبي والنخبوي ضد السلطة.

قرر مجموعة من النبلاء، بقيادة الأمير (فيليكس يوسوبوف) والدوق الأكبر (ديمتري بافلوفيتش) و(فلاديمير بوريشكيفيتش) التخلص من راسبوتين لإنقاذ سمعة العائلة المالكة.

وكانت الخطة أن تتم دعوة راسبوتين لحضور احتفال في قصر (يوسوبوف) وهناك حاولوا تسميمه بسم (السيانيد) المخلوط بالطعام والشراب.

لكنه، بشكل مثير للدهشة، لم يتأثر بالسم، مما زاد من غموض شخصيته.

لجأ النبلاء المتآمرون بعدها إلى إطلاق النار عليه عدة مرات، لكنه استمر في المقاومة رافضاً الاستسلام، إلى أن حملوه وألقوا بجثته في نهر (نيفا) المتجمد، في شهر ديسمبر ١٩١٦، وعُثر على جثته لاحقاً، لتظهر التقارير أنه مات غرقاً، مما عزز الأسطورة حول قوته الخارقة.

راسبوتين، بدأ حياته كفلاح سيبيري بسيط، ليصبح بعدها أحد أكثر الشخصيات تأثيراً في الإمبراطورية الروسية، ويتحول إلى رمز صارخ للفساد وسوء الإدارة.

نال مكانته في البلاط الإمبراطوري، بفضل قدرته المزعومة على شفاء الأمير (أليكسي) فقط، لتحوله إلى شخصية محورية في السياسة الروسية.

وبالرغم من أن راسبوتين لم يكن السبب الوحيد لانهيار الإمبراطورية، إلا أن دوره كان حاسماً في تعميق الأزمات بين البلاط والشعب، والتي أدت في النهاية إلى الثورة، والتي نتج عنها إسقاط الإمبراطور، وبنهاية مأساوية ملطخة بالدم، بعد أن تمت تصفية الإمبراطور وكل أسرته على يد البلاشفة الذين سيطروا على الحكم، والذي امتد حتى مطلع التسعينات من القرن الماضي.

صورة تجمع راسبوتين ببعض الرهبان

الإمبراطور نيكولاس الثاني وزوجته
إليكسندرا

الإمبراطور نيكولاس الثاني وعائلته
زوجته ألكسندرا، بناته الأميرة أولغا نيكولايفنا، الأميرة تاتيانا نيكولايفنا، ماريا نيكولايفنا، أناستاسيا نيكولايفنا، والأمير ألكسي رومانوف
والذين تم إعدامهم جميعاً بعد الثورة البلشفية

خير الدين باربا روس

اسم لا يزال حياً في ذاكر أمواج المتوسط

إعداد رئيس التحرير
سمير عالم

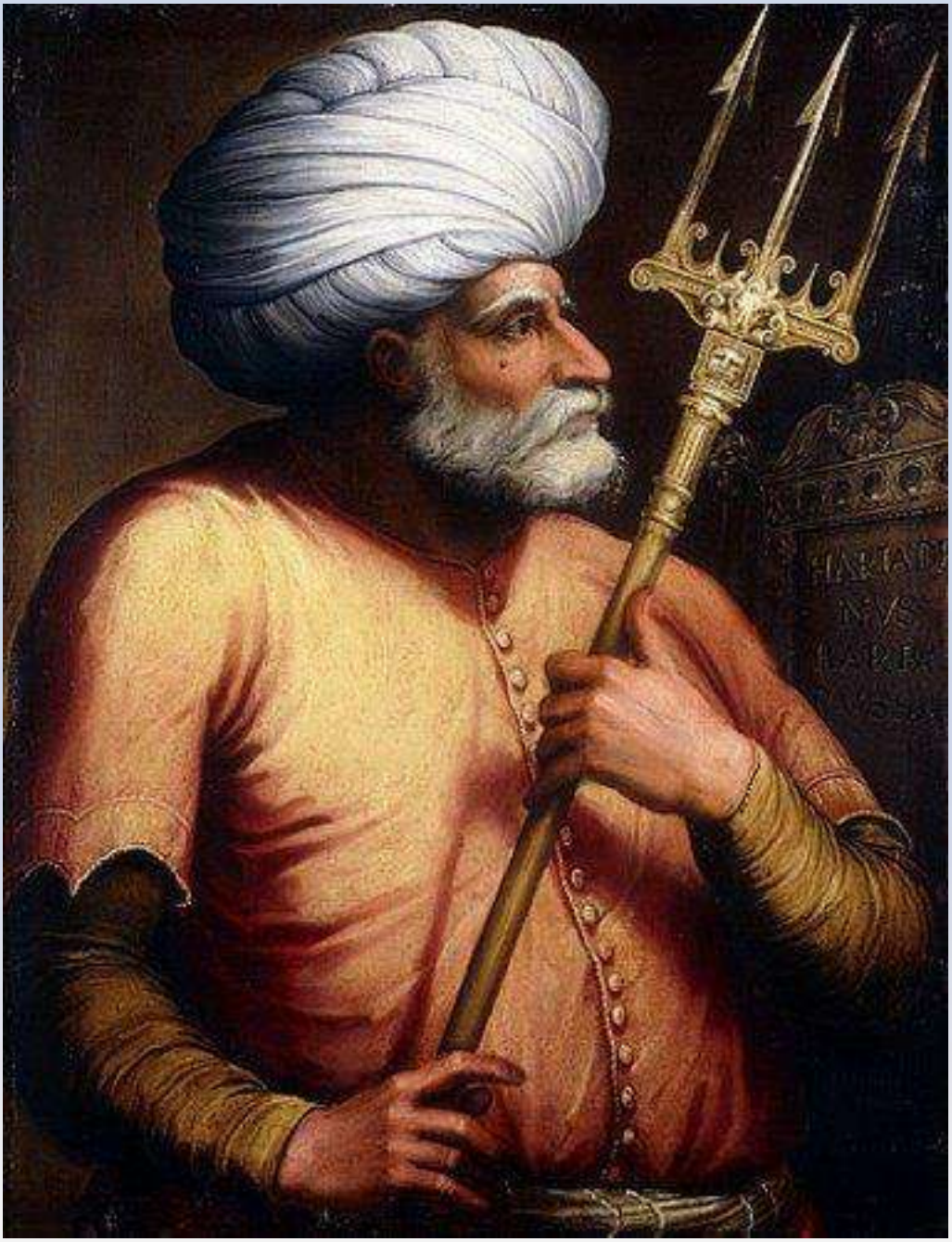

خير الدين بارباروس، أو خير الدين باشا، هو أحد أبرز القادة البحريين في التاريخ الإسلامي والعثماني بالأخص، كونه شخصية أسطورية تركت بصمتها التي لا تُمحى في تاريخ البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي.

قائد بحري بارع، إضافة إلى أنه سياسي محنك، ورجل دولة ساهم في تعزيز قوة السلطنة العثمانية وتوسيع نفوذها البحري.

خضر بن يعقوب، أو كما يعرف في التاريخ باسم خير الدين بارباروس، لُقّب بـ (بارباروس) والتي تعني اللحية الحمراء، وتحولت إلى لقب يعرف به بسبب لحيته الحمراء.

وفي هذا المقال؛ سنستعرض معكم حياة خير الدين، وإنجازاته، وكذلك إرثه الذي تركه في تاريخ العالم الإسلامي.

وُلد خير الدين بارباروس نحو عام ١٤٧٨م، في جزيرة

ميديلي -لِسبوس حالياً- والواقعة في بحر إيجه، والتي كانت حينها تقع ضمن السيطرة العثمانية.

والده يعقوب آغا، كان جندياً في الجيش العثماني، ويعمل في تجارة الفخار، ووالدته كانت سيدة تعتنق الديانة المسيحية ومن أصول يونانية، ونشأ مع إخوته في بيئة متواضعة.

منذ صغر سنه، أظهر خير الدين وإخوته -وخاصة أخوه الأكبر عروج- اهتماماً كبيراً بالبحر والملاحة، وفي مرحلة شبابه، بدأ خير الدين وأخوه عروج العمل كبحارة، ثم تحولوا إلى القرصنة البحرية في البحر الأبيض المتوسط.

كانت هذه الفترة تشهد صراعات بحرية حامية بين القوى الأوروبية، مثل إسبانيا والجمهوريات الإيطالية، والقوى الإسلامية في شمال إفريقيا والدولة العثمانية.

استغل الأخوان هذا الوضع لشن هجمات على السفن التجارية الأوروبية، وبات الأخوان يُعرفان باسم (الإخوة بارباروس) وتحولا إلى رمز للمقاومة الإسلامية ضد التوسع الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط.

في بداية القرن السادس عشر، بدأ الأخوان بارباروس في بناء إمبراطورية بحرية خاصة بهما، وبدءا في استهداف السواحل الشمالية لإفريقيا، وفي فترة كانت فيها المدن مثل الجزائر وتونس تعانيان من ضعف الحكم المحلي وسيطرة القوى الأوروبية عليهما، وخاصة مملكة إسبانيا.

في العام ١٥١٦م، استولى الأخوان بارباروس على مدينة الجزائر، وطردا القوات الإسبانية منها، وأعلن عروج نفسه سلطاناً على الجزائر، لكن الزمن لم يمهله كثيراً، فاستشهد في معركة ضد الإسبان عام ١٥١٨.

تولى خير الدين قيادة القوات البحرية والبرية في الجزائر بعد وفاة شقيقه عروج، وأدرك خير الدين أن قوته وحدها لن تكفي لمواجهة التحديات الأوروبية، فقرر التحالف مع الدولة العثمانية، والتي كانت في ذروة قوتها حينها تحت حكم السلطان سليمان القانوني.

أعلن خير الدين ولاءه للسلطان العثماني في عام ١٥١٩، لتتحول الجزائر إلى ولاية عثمانية رسمياً.

”

أصبح الأخوان بارباروس رمزاً للمقاومة الإسلامية ضد التوسع الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط

“

السلطان العثماني سليمان القانوني

بلا شك، عزز هذا التحالف من مكانة خير الدين وساهم في تقويته، وعمل على بناء أسطول بحري قوي يهدد الهيمنة الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط.

في عام ١٥٣٣، دعا السلطان العثماني سليمان القانوني، خير الدين إلى إسطنبول، وقام بتعيينه (قبطان باشا) أي قائداً عاماً للأسطول العثماني، وشكلت هذه الخطوة نقطة تحول في حياة باربروس، حيث تحول من كونه قرصاناً محلياً إلى قائد بحري يقود واحدة من أقوى الأساطيل في العالم، وتحت قيادته، أصبح الأسطول العثماني قوة لا تُضاهى، وتشكل تهديداً خطيراً للمصالح الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط.

> تمكنت القوات العثمانية بقيادة باربروس من الانتصار على قوات الحلف المقدس في معركة بروزة

خير الدين باربروس

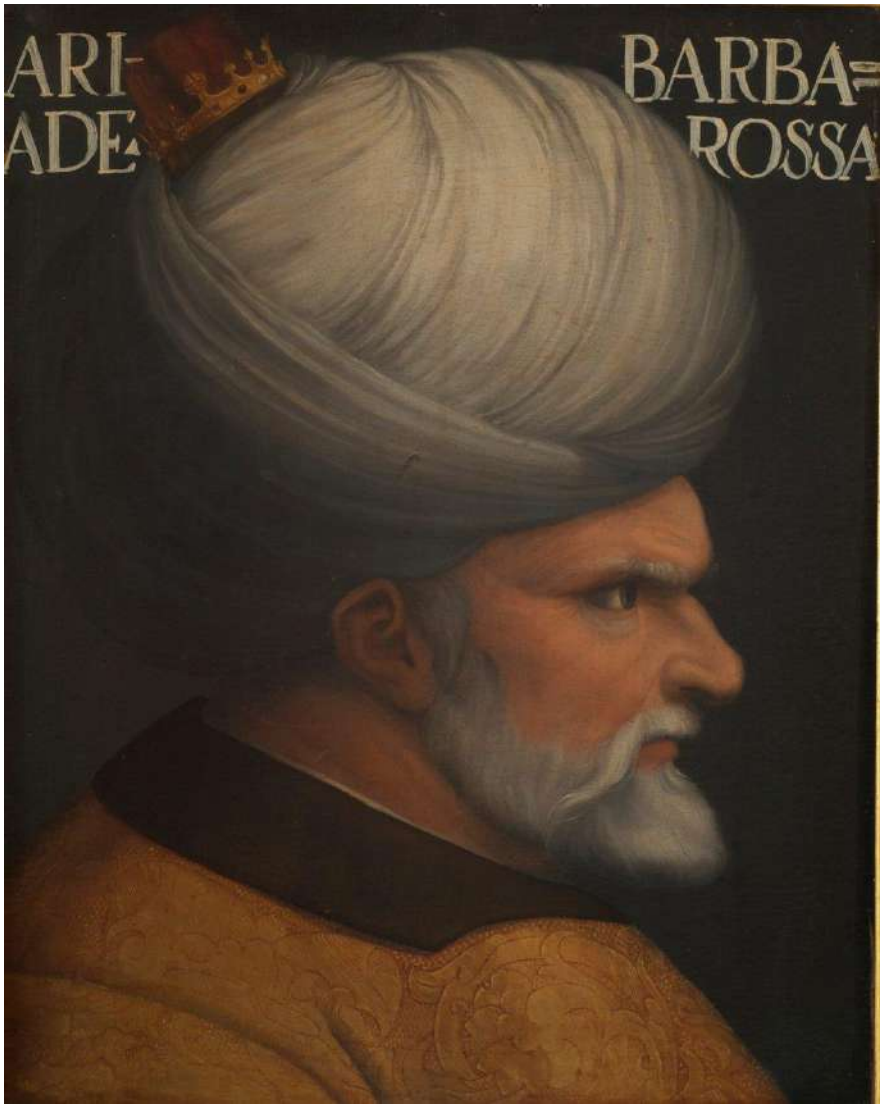

تعد معركة بروزة (Preveza) البحرية والتي وقعت في العام ١٥٣٨م، أحد أبرز إنجازات خير الدين، حيث واجه باربروس في هذه المعركة الأسطول المشترك للحلف المقدس، والذي كان يضم قوات إسبانيا، والبندقية، والدول البابوية، بقيادة الأدميرال (أندريا دوريا) وعلى الرغم من تفوق الحلف المقدس عددياً، إلا أنه استخدم تكتيكات عسكرية بارعة، مستفيداً من معرفته العميقة بالبحر والرياح.

وكانت النتيجة أن انتصر الأسطول العثماني انتصاراً ساحقاً، الأمر الذي عزز من هيمنة العثمانيين على البحر الأبيض المتوسط لعقود قادمة.

وإلى جانب قدراته الفذة التي أظهرها في القيادة والمعارك البحرية، امتلك باربروس حنكة سياسية؛ جعلت منه رجل دولة ذو مكانة.

ففي فترة حكمه للجزائر ما بين الأعوام (١٥١٨-١٥٣٣) عمل باربروس على تنظيم الإدارة المحلية، وتحسين الحركة الاقتصادية، وكذلك سعى إلى تعزيز دفاعاته ضد الهجمات الإسبانية المستمرة.

أسس باربروس نظاماً بحرياً متطوراً يعمل على تدريب البحارة وبناء السفن؛ مما حول الجزائر إلى مركز بحري هام في الشمال الإفريقي والبحر الأبيض المتوسط.

كما ساهم بعد تعيينه قائداً للأسطول العثماني، في وضع استراتيجيات طويلة الأمد لتعزيز القوة البحرية العثمانية، بما

في ذلك بناء أساطيل جديدة إضافة إلى تحديث السفن القديمة.

كما ظهرت موهبته الدبلوماسية أثناء تفاوضه مع قوى أوروبية مثل فرنسا، والتي كانت في تلك المرحلة حليفة للدولة العثمانية ضد إسبانيا والإمبراطورية الرومانية المقدسة.

وفي عام ١٥٤٣، قاد خير الدين بارباروس حملة بحرية مشتركة مع القوات الفرنسية لدعم الملك (فرانسوا الأول) ضد إسبانيا، الأمر الذي أظهر قدرته على التنسيق بين قوى مختلفة لتحقيق أهداف استراتيجية مشتركة.

توفي خير الدين بارباروس في إسطنبول عام ١٥٤٦، تاركاً ورائه إرثاً عظيماً في التاريخ العثماني والإسلامي بشكل عام.

ومن خلال قيادته وخططه تمكن من تحويل الدولة العثمانية إلى قوة بحرية عظمى، وقادرة على منافسة القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، والتي كانت تتفوق عليها في مرحلة سابقة.

كما وساهمت انتصاراته البحرية في تأمين السواحل الإسلامية في شمال إفريقيا، وتأمين الحماية للحركة التجارية للسفن الإسلامية ضد هجمات القراصنة الأوروبيين.

وشكل خير الدين باباروس رمزاً للمقاومة ضد التوسع الاستعماري الأوروبي في سواحل المتوسط.

لقد استمرت سيرته تروى في القصص والأغاني الشعبية والقصص التراثية في تركيا والجزائر، كأحد الأبطال الذين شكلوا علامة فارقة في التاريخ الإسلامي، وتلهم

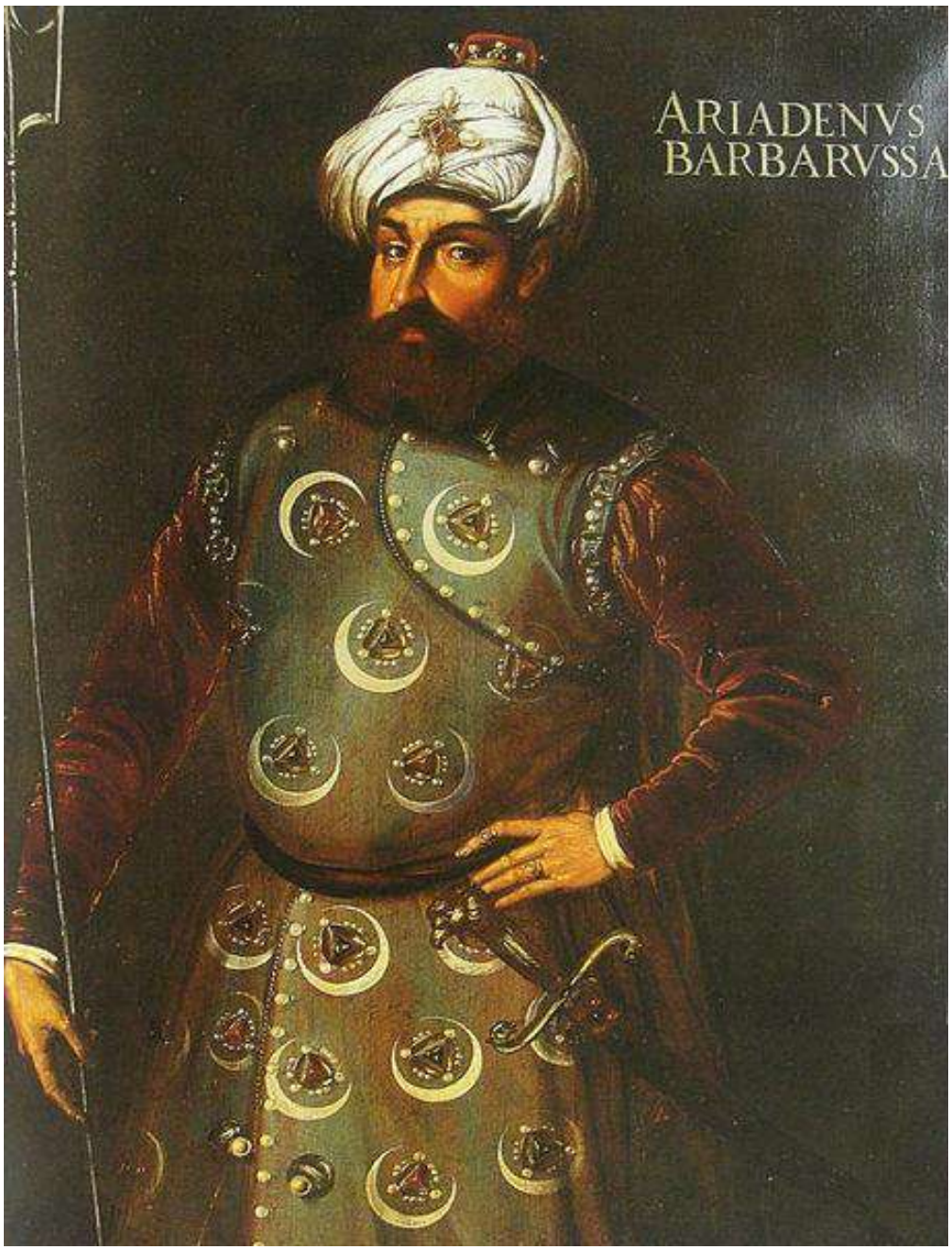

أجيالاً بشجاعته وحنكته.

ضريحه اليوم يقع في إسطنبول وبالقرب من مضيق البوسفور، ويُعد مزاراً تاريخياً للباحثين عن التاريخ والمتتبعين لسيرة رموزه.

لم يكن خير الدين بارباروس، مجرد اسم في كتب التاريخ؛ بل رمزاً للشجاعة، والإخلاص، والبطولة.

ومن طفل لعائلة متواضعة يبيع والده الفخار؛ تحول خير الدين إلى قائد للأسطول العثماني، وجسّد روح المقاومة والطموح، وإلى أحد الأساطير البحرية التي لم تكن إنجازاته البحرية والسياسية محدودة الأثر على عصره؛ بل شكلت مسار التاريخ في البحر الأبيض المتوسط.

إنه القائد الذي تمكن من خلال مهاراته القيادية وإصراره وإيمانه من تغيير وجه التاريخ، ورسم ملامح مستقبل شعوب منطقة البحر الأبيض، وملهماً لها من خلال إرث زاخر بالإنجاز والانتصارات.

عروج وخير الدين بارباروس (الإخوة براراروس)

فرانسوا الأول

معركة بروزة البحرية

وجهة نظر

الاستلاب في سياق العولمة

للكاتب
حامد الحضيري

يُعَدُّ لفظ الاستلاب أكثر المفاهيم استعمالاً في الخطاب الفلسفي المعاصر، ومقابل الكلمة في الإنجليزية هو (Alienation) الذي يرجع إلى اللفظ اللاتيني (Alientatio) وكلمة (الاستلاب) في معاجم اللغة العربية تتشارك مع عدة معانٍ مثل: الانتزاع، والاختلاس، والخطف.

رغم وجود مشكلة دلالية في مفهوم (الاستلاب) بين فلاسفة الغرب، إلَّا أنَّ هاجسنا هو كيفية التخلص من الاستلاب ذاته كتبعية حضارية.

ليس الاستلاب في الحياة هو حالة من الجغرافيا؛ بل هو أعمق مأساة للبشر، فهو أن تكون غير متوافقٍ مع محيطك الاجتماعي فكراً، وشعوراً، وأشخاصاً، أن تعيش في قوقعتك الخاصة رغم اختلاطك مع كثيرين من حولك.

الاستلاب هو شعور الفرد بفقدان السيطرة على حياته، ومحيطه الاجتماعي، وعلاقاته، وعمله.

يمكن أن يشمل هذا الشعور الانسلاخ عن المجتمع وعدم الانتماء له، والشعور بالغربة والوحدة، أو شعور العمال بأنَّهم مجرد ترسٍ في آلة الإنتاج، وفقدانهم السيطرة على نتاج عملهم، أو تبني الأفراد لقيم وعادات وأنماط حياة لا تتناسب مع هُويتهم الثقافية، أو فقدان القدرة على التفكير النقدي، والخضوع لسيطرة أفكار ومعتقدات أخرى، أو اضطرار الفرد لارتداء كثير من الأقنعة؛ لينال الإعجاب أو ليرضى هو عن نفسه ممَّا يفقده جوهره الأصيل، أو شعور الفرد بتحكُّم التكنولوجيا في حياته.

هناك جملة من الأسباب تؤدي إلى الاستلاب، ومنها: تفاقم الفقر والبطالة، وانتشار الحروب والصراعات، والعولمة الثقافية، وغياب الديمقراطية وحرية الرأى والتعبير، وهذا يؤدي بدوره إلى فقدان الثقة بالنفس، والشعور بالقلق والاكتئاب، وفقدان الإنتاجية في العمل والحياة، وفقدان الهُوية الاجتماعية والثقافية، وانتشار حالات العنف.

مع كثرة أضرار الاستلاب على الفرد والمجتمع، أصبحنا في حاجة إلى فهم الاستلاب؛ ليساعدنا على فَهم وتحليل المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وتحديد

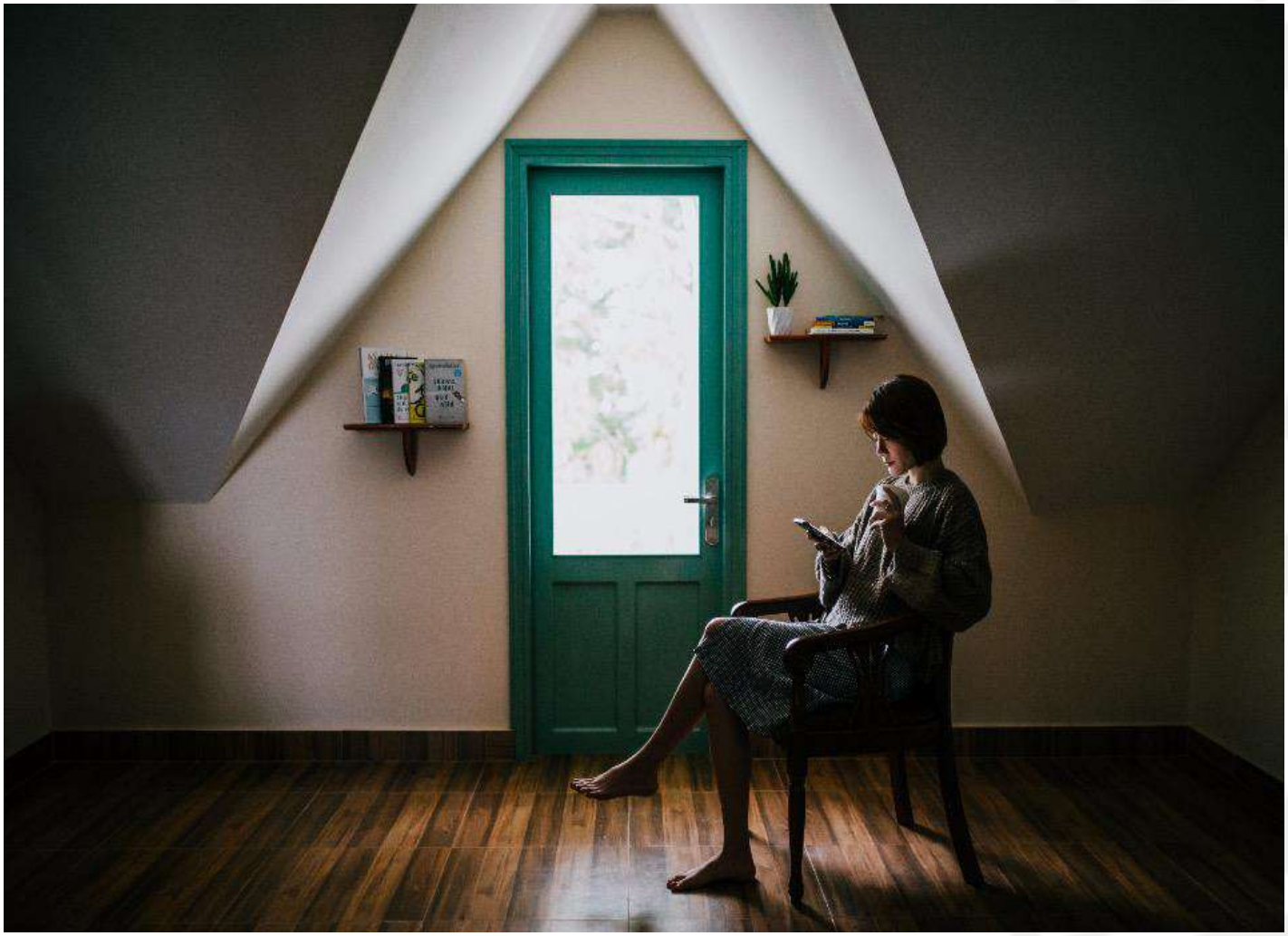

أسبابها، وإيجاد الحلول الجذرية لها، وهذا يؤدي بدوره إلى تعزيز الوعي الذاتي للفرد والمجتمع، واستعادة السيطرة على الحياة والمستقبل.

إنَّ التغلُّب على الاستلاب يتطلب الوعي بالأسباب، والتحرُّك نحو التغيير من خلال فَهم طبيعة الاستلاب وكيفية تأثيره على الافراد والمجتمعات، وترسيخ الانتماء إلى الثقافة المحلية، والاعتزاز بالتراث الثقافي، والتشجيع على التفكير النقدي والإبداع، والمشاركة الفعَّالة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية، وتطوير المهارات الإبداعية، وإتاحة الفرصة لحرية الرأي والتعبير من خلال القوة الناعمة، والعمل على بناء وتعزيز التواصل والتفاعل الاجتماعي، وتبادل الخبرات.

أرى أنَّ هناك العديد من الأمور التي يمكن للفرد القيام بها للتغلب على الاستلاب مثل: سعي الفرد؛ لتحقيق المزيد من السيطرة على حياته من خلال اختيار وظيفة تناسب احتياجاته ورغباته، أو الانتقال إلى بيئة عمل تناسب احتياجاته، أو البحث عن مجموعات أو مجتمعات ينتمي إليها ويشعر بأنَّه جزء حقيقي منها ومن أنشطتها عبر الانضمام إلى فريق أو مجموعة تطوعية، أو الانخراط في أنشطة اجتماعية أو إيجاد معنى في حياته مثل: التطوع لمساعدة الآخرين، أو السعي لتحقيق هدف شخصي يحقق فيه ذاته، وهدف أسمي لجعل العالم أفضل.

ختاماً، أرى أنَّ الاستلاب هو الأكثر قدرة على تفسير مآسينا الفردية والاجتماعية، فقد تمكَّن منَّا ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً؛ لذا، لا بد من الوقفة الجادة الآن وليس غداً نحو تصحيح المسار عبر عملية مستمرة تتضافر فيها كل الجهود الفردية والجماعية؛ لاستعادة الهُوية.

رحمة الحجب الإلهي: حين تلطف القرءان في وصف المآسي

للكاتبة
د. منال ممدوح يوسف

حين نتأمل في كتاب الله تعالى، نجد أن عرض المآسي والفظائع، سواء كانت جرائم أو حروباً، جاء بأسلوب يتّسم بالرحمة والرفق، دون ذكر للتفاصيل المؤلمة التي قد تدمّي القلب وتُثقِل النفس.

وكأن الله سبحانه ـ بلطفه ـ أراد أن يوقظ فينا الوعي دون أن يجرح فينا الشعور.

من أبشع الجرائم التي سُجّلت في التاريخ البشري حادثة أصحاب الأخدود، حين أُضرِمت النيران في خنادق وأُلقى فيها المؤمنون أحياءً، لمجرد إيمانهم بربهم.

هذه الجريمة المروّعة لم تُروَ في القرآن الكريم بتفاصيلها المأساوية؛ بل جاءت بصيغة إخبارية موجزة ومهيبة: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)﴾ (سورة البروج)

لا وصف لصراخ الضحايا، ولا ذكر للدماء أو لهيب النار، وإنما كلمات معدودة تُوقِظ الضمير، وتكتفي بإيصال المعنى دون إسراف في التصوير.

وينطبق هذا الأسلوب الرحيم أيضاً على ما ورد في غزوات النبي ﷺ.

ففي غزوة الخندق ـ وهي من أشدّ الغزوات وأصعبها على المسلمين ـ يصف القرآن حال المؤمنين بلغة تهزّ القلب، فيقول تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (سورة الأحزاب: ١٠)

وما أبلغ هذه الصورة..!

لقد اختزلت حجم الرعب والقلق دون حاجة إلى تفصيل المشاهد الدامية أو صراعات السيوف.

وفي سياق الغزوة ذاتها، تأتي آية أخرى تؤكد هذا المسار القرآني في تصوير الشدائد بكلمات بليغة مختصرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤)

كلمات ثلاث (البأساء، الضراء، الزلزلة) تختصر ما لا تصفه آلاف الصور، وتُجسّد الموقف من غير تهويل.

واليوم، حين نشاهد ما يحدث في غزة من حرب إبادة، ومن مشاهد مؤلمة تُنقل إلينا لحظة بلحظة عبر الشاشات، ندرك الفرق الهائل بين رحمة الحجب الإلهي في النص القرآني، وقسوة الانكشاف الإعلامي في واقعنا.

إنّ ما حجبه الله بلطفه عنّا من تفاصيل مرعبة، بات يقتحم بيوتنا كل يوم في صور الأطفال تحت الأنقاض، وحرق الأحياء، والأمهات الثكالى، والدماء المتدفقة، والدمار الذي لا يُبقي ولا يذر.

لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي ـ التي يفترض أنها مرآة الحقيقة ـ أشبه بمسرح دائم لعرض الألم.

نتابع الحرب كما نتابع الأخبار، نمرّ على المجازر كما نمرّ على الإعلانات، وشيئاً، فشيئاً، نُصاب بما يُشبه (تبلّد الإحساس)

صارت المشاهد تتكرر حتى فقدت وقعها، وأصبح موت الإنسان مشهداً عابراً لا يهزّ النفوس إلا للحظة.. وربما أقل.

والمؤلم أكثر من كل ذلك، هو صمت العالم.

هذا الصمت الذي صار أكثر قسوة من القصف نفسه، إذ تُرتكب المجازر أمام مرأى ومسمع الإنسانية المزعومة، ولا يتحرك ضميرٌ ولا تُرفع راية حقّ.

وكأنَّ الضمير العالمي قد أصيب بالشلل، فلم يعُد يرى، ولم يعُد يسمع، ولم يعُد يعبأ بمن يُبادون كل يوم لأنهم فقط (فلسطينيون)

لقد لطف الله بنا حين صاغ لنا الحقائق بلغة تُوقظ العبرة، دون أن تُغرق النفس في كوابيس الصور.

فهل آن لنا أن نتأمل حكمته..؟ وجاءت (الميديا) كنوع من العقاب الدنيوي لما حجبته رحمة الله بنا، لأننا أمامها نقف وقفة المتفرج العاجز.

الخلوة.. والصوت الصامت

للكاتبة
سلوى سبزالي

إن الضجيج الذي يحيط بنا من حولنا، وحركة الحياة السريعة، وهبوطها، وصعودها، واهتزازاتها، ومواقفها المختلفة، حزناً كانت أو فرحاً؛ تجعلنا نشعر وكأننا في وسط عجلة تدور بنا باستمرار؛ مما يفقدنا السيطرة على مشاعرنا؛ فنصبح كاللعبة في يد الحياة.

فكيف لنا أن نوقف هذه العجلة..؟

الخلوة مع الله، والانعزال عن كل شيء من حولنا بصفاء ذهن، ونقاء قلب، ورقي روحي، والبحث في أعماق الذات عن أسرار ما حولنا وبواطننا؛ هي السبيل لإيقاف تلك العجلة التي تدور بنا بسرعة دون توقف.

فتتفتح عقولنا للتفكر، وتتغذى قلوبنا بالأنوار؛ فتبصر بصيرتنا ما لم نكن نراه بعين البصر؛ فيبدأ الإصلاح الداخلي فالظاهري؛ فيكون التغيير الجذري في حياتنا ومن ثم الحضاري في العالم كله.

إن هناك نقطة توازن بداخل كل منا، وهذه النقطة تصل بنا إلى أقصى درجات الصمت، والتي تسمى (الصوت الصامت)

عندما نقوم بترديد ذكر ما بصوت عدة مرات بمكان خال، ثم نتوقف فجأة؛ سنجد بعدها أن هناك صوتاً يتردد، وذلك بسبب خلوه من أي شيء؛ فيسهل رد الصوت لنا.

على العكس عندما يكون المكان مزدحماً، فبالطبع سيفقد ظاهرة صدى الصوت، وبالمثل الصوت الداخلي عند الخلوة، فهو مثل الصدى، بمجرد أن توقف الأصوات من العقل والقلب والنفس تصل إلى هذه النقطة التي بداخلك، ومنها تصل للانسجام التام.

قال تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) ومعنى تبتيلاً؛ هو الانقطاع إليه انقطاعاً لحوائجك وعبادتك، دون سائر الأشياء من حولك.

وهنا اذكر مقولة قالها أحد الشعراء عن الخلوة مع الله:

خفيتُ عن العيون فأنكرتني ... فكانَ بهِ ظهوري للقلوب
وأوحشني الأنيسُ فغبتُ عنه ... لتأنيسي بعلّام الغيوب
وكيفَ يروعني التفريد يوماً ... ومن أهوى لديَّ بلا رقيب
إذا ما استوحش الثقلان منّي ... أنستُ بخلوتي ومعي حبيب

الاكتئاب العربي: حين يصبح الحزن عادة

للكاتب
يوسف آيت بران

في بعض البيوت، يسكن فيها الحزن في الزوايا منذ سنوات.

يصحو الإنسان من نومٍ ثقيل ولا لشيء؛ بل ليكمل يوماً آخر يشبه الذي قبله، يحمل جسده من السرير إلى الهاتف، ومن الهاتف إلى الفراغ المستمر، ثم يعود لا رغبة ولا هدف ولا لهفة، فقط عبور بارد وسط ضجيج العالم الحزين.

هذا هو الاكتئاب، ليس دموعاً تُسكب؛ بل جفافٌ داخلي.

ليس ضعفاً، بل إنهاكٌ نفسيّ، يستنزف الطاقة حتى من أبسط الأمور، كغسل الوجه أو الرد على رسالة.

ثقافة الصمت والخوف: في العالم العربي، لا يُقال (أنا مكتئب) بسهولة، تُخنق هذه الجملة داخل الحلق، لأن المجتمع لا يتقبلها، أو لا يفهمها.

الاكتئاب هنا لا يُعترف به إلا حين يتحوّل إلى كارثة: محاولة انتحار وانهيار كامل، أو صمت طويل يُفسَّر لاحقاً.

البيئة تُقابل هذا المرض بتهمٍ جاهزة: ضعف إيمان وقلة صبر ودلال مفرط.

يُنصح المريض بالدعاء فقط، أو بالخروج إلى الهواء الطلق، بينما الصراع في داخله لا تهدّئه نزهة، ولا تُنهيه آية دون فهمٍ أو احتواء.

عوامل لا تُرى لكنها تنهك: ليس من الضروري أن يحدث شيء كبير كي يأتي الاكتئاب.

أحياناً يتسلّل دون سبب واضح، وأحياناً يكون السبب أكبر من أن يُقال: فقدان شخص عزيز أو ربما انتقال إلى بيئة جديدة بلا جذور، تراكم خيبات صغيرة لم يُسمح لها بالخروج، خوف من مستقبل ضبابي، أو شعور بالوحدة رغم الزحام.

كثيرون يعيشون في مدن لا تشبههم، بين أشخاص لا يفهمونهم، داخل إيقاعٍ سريع لا يمنحهم وقتاً للشفاء، يضعون قناع الضحك في النهار، ويبكون ليلاً بصمت.

عندما تتحوّل الأيام إلى عبئ: الليل يصبح أطول، والنوم يهرب، يستيقظ البعض عند العصر، ليس لأنهم كسالى؛ بل لأنهم لا يرون فرقاً بين الأمس واليوم، تتكدّس المهام، ويزداد الشعور بالعجز، يشعر المريض وكأنه يخذل الجميع: أسرته وأساتذته وربما نفسه أيضاً.

ويُضاف إلى هذا عبئ التمثيل، التظاهر بأن كل شيء بخير، حتى لا يقلق من حوله أو يُحكم عليه.

لكنّ الصمت يُتعب أكثر من الكلام.

ماذا يحتاج المكتئب حقاً..؟

لا يحتاج المكتئب إلى محاضرة في القوة، ولا إلى مقارنة مع من (هو أسوأ حالاً) ما يحتاجه هو أن يُصدّق، أن يُصغى له دون إصدار أحكام.

أن يُعامل على أنه شخص مريض، لا شخص ضعيف، أن يُمنح الأمان ليقول: "أنا لست بخير"

المساعدة النفسية ليست رفاهية، ولا دليل ضعف، إنـها شجاعة، شجاعة أن تطلب النجدة بدل الغرق في الداخل، والدين لا يتعارض معها؛ بل يدعو إلى طلب الشفاء، بكل وسائله.

نحو وعيٍ جديد: الاكتئاب لا يختار عمراً ولا جنساً ولا طبقة اجتماعية، قد يصيب طالباً في الامتحانات، ربّة منزل، وكاتباً، أو شاباً عادياً في حيّ شعبي، لذلك فإن أول خطوة لكسر العزلة هي الوعي، أن نتحدث عن الأمر، نفتح نوافذ في جدران الصمت، ونفهم أن الصحة النفسية حق.

المدارس بحاجة إلى مستشارين نفسيين، والمنصات بحاجة إلى خطاب حقيقي، والأسر بحاجة إلى ثقافة تستوعب الألم لا تُنكره.

خاتمة: الاكتئاب العربي ليس حالة فردية؛ بل صوت مكبوت في صدورٍ كثيرة، صمتٌ يمرّ بجانبنا كل يوم، في وجوهٍ مألوفة تضحك أكثر مما يجب، وتسهر أطول مما يُفترض، وتكتب أحياناً رسائل لا يُردّ عليها، هذا المقال لا يقدّم حلًّا سحرياً، لكنه يحاول أن يقول: لست وحدك، وما تشعر به حقيقي، وهناك دائماً سبيلٌ للضوء، مهما طال الليل.

الذكاء الاصطناعي آفاق جديدة لأداء الذكاء البشري

للكاتب
عادل غنيم

الذكاء هو القدرة على فهم الأمور ومعالجتها لاستخلاص النتائج، وهو يعتمد كلياً على المعلومات المخزنة في الذاكرة والقدرة على الربط بينها.

الذكاء الاصطناعي هو فرع من علوم الحاسوب معني بتصميم برامج قادرة على التعلم والاستدلال - وغيرها من سمات الذكاء الطبيعي - بشكل خلاق، ويستخدم البيانات الضخمة والسرعة الفائقة في معالجتها وربطها ببعضها في أداء ذلك.

فبدون ذاكرة تحتوي على بيانات، لا توجد معلومات ولا ذكاء اصطناعي أو طبيعي.

وقد ظل البشر لملايين السنين يعتمدون على ذاكرتهم الطبيعية كمخزن للمعلومات المطلوبة في معالجة أمور حياتهم.

وكان الناس يكتسبون خبرة معرفية - أو بلغة الحاسوب معلومات - تتراكم في ذاكرتهم الجماعية مع تكرار المواقف والظروف البيئية.

وهذه التراكمات الكثيرة - عبر مدد زمنية طويلة، ورغم فقدان الكثير منها - كونت الغريزة التي تعمل في الإنسان وباقي الكائنات، والتي تستخدم في حل الأمور المستعصية أو في اجتناب المخاطر، أو حتى في التحليق بالخيال وتحقيق اكتشافات جديدة.

وبعد استخدام الحجارة وجلود الحيوانات والورق في حفظ المعلومات، في النصف الثاني من القرن العشرين اخترع الإنسان ما يعرف بالذاكرة الرقمية، وهي ذاكرة حاسوبية تتكون من شرائح إلكترونية تُقدر سعتها بمليارات من التيرابايت (البايت هو وحدة قياس سعة تخزين حاسوبية، والتيرابايت يساوي مليار مليار بايت) وكل بايت يمكنه أن يخزن بياناً، وبتصنيف وتجميع تلك البيانات تنتج المعلومات.

وعندما تضخمت تلك البيانات وتسارعت بشدة القدرة على تصنيفها وتجميعها؛ نتج عدد كبير من المعلومات، وظهر ما يعرف بالذكاء الاصطناعي القادر على التحليل والاستنتاج وتوليد الأفكار.

ويعتمد عمل الذكاء الاصطناعي بشكل أساسي على البيانات الضخمة، التي هي مجموعة من حزم البيانات الضخمة ذات التنوع الهائل، وهي معقدة بدرجة يصعب التعامل معها من حيث سرعة التخزين والبحث فيها وتحليلها ومشاركتها.

لكن يتاح كل ذلك لنا متى استخدمنا معالجاً فائق السرعة.

وهذه هي كلمة السر لتفعيل أداء الذكاء الاصطناعي: بيانات ضخمة + معالج فائق السرعة.

وقبل مائة عام فقط، كان المرء يبحث طوال حياته - في المكتبات العامة والمتاحف - عن مبتغاه المعرفي، الذي لم يكن واضحاً لديه في كثير من الأحيان.

وكثيراً ما كان يتعرض لتشويش كبير يجعله لا يصل إلى هدفه، وكان يفقد العالم إنتاجه المتوقع وإبداعه إلى الأبد.

لكن الذكاء الاصطناعي حل تلك المعضلة.

الذكاء الاصطناعي – آفاق جديدة للأداء الذكاء البشري – رغم ذلك، توجد عيوب جسيمة لهذا الذكاء، إذ لا يمكن للتحليل الإلكتروني أن يحلل أموراً وجدانية.

والإنسان في جوهره مخلوق وجداني، يلازم عمله وحياته على الدوام فعل الوجدان والشعور.

نجد من يرفض فائدة ما من أجل مبدأ يؤمن به، بينما المعالج الحاسوبي يفهم أن كل فائدة هي مطلب بشري.

يرفض إنسان متعة لأنها محرمة، في حين نجد إعلانات السياحة والمتعة تلازم صفحات أكثر المواضيع أهمية على الإنترنت، وذلك لمجرد أن نقر هذا الشخص على حاسوبه منذ عام على اسم مدينة سياحية.

لذلك، لا بد أن يكون الذكاء البشري عاملاً على الدوام مع نتائج الذكاء الاصطناعي.

كثيراً ما يظهر سؤال في أذهان المراقبين لنمو البشرية المعلوماتي، وهو: هل ستبلغ البشرية الكمال المعرفي وستتضح الحقائق عن كل الأشياء بشكل كامل أمامنا..؟

الإجابة: نعم..! إن كل اجتهادات البشرية على مدار تاريخها تهدف إلى بلوغ هذا الكمال المعرفي، واستخدام الحقيقة لتحسين جودة الحياة وقهر الجهل والظلمة.

والذكاء الاصطناعي من أهم الأدوات التي ستحقق هذه الأهداف في المستقبل المنظور.

على أرصفة القرّاء

للكاتبة
هديل الواوي

هذا زمن الفرص، لك أن تعرض بضاعتك بكل سهوله، ولكلٍ مريدون يتابعون ويتبعون.

في نقاش دار بين البعض كانت هذه الفكرة هي المطروحة بشكل انتقادي لمواقع التواصل الاجتماعي، وسهولة نثر الكلمة أو الفكرة، وكان لي رأيي الخاص الذي أتبناه من وجهة نظري التي أومن بها.

فأنا مؤمنة أن الأبداع مع الجهد المبذول هو أساس، ولا أجد سوءاً من توفر المنصات وتوفر الفرص للعرض، حيث أن هذا كان صعباً جداً في الماضي، ليس فقط في مجال الكتابة، ولكن في كل المجالات، كان طرح الأفكار في أي مجال يكاد يكون (حرباً) لتوصيل فكرتك للناس أو الظهور بمجال معين هو حلمك، واستغلال موهبتك مثلاً أو إبداعك الفردي.

برأيي أن حرية المنصات التي ينتقدها الجميع كوجود سلبي في المجتمع هي ككل الأشياء، سلاح ذو حدين وهذا يعود للإنسان ومستواه العقلي والنفسي، وقيمته الذاتية، وأهدافه التي يراها بذاته ونفسه.

فالإنسان تعامل عبر الزمن مع كل الأشياء بذات الطريقة، طريقة الـ (ذو حدين)

لنعد مثلاً على الكتابة في منصات التواصل، أصبح سهلاً جداً أن تُشارك الجميع بأفكارك، مشاعرك، خواطرك وربما مخاوفك وأشياء أخرى، لكن هل يفهم الجميع بذات الطريقة..؟ بل هل يفهمون حقيقة الفكرة التي بداخلك..؟

برأيي.. كل من يقرأ سيفكر كما يريد هو أن يفكر لا كما في رأسك، وإن كانت كلماتك واضحة لكن شعورك وفكرتك وربما الموقف الذي جعلك تكتب لا يعلمه إلا أنت، وغيرك سيلمسهُ جزءاً منك، ولكن ليس كلك.

لذلك نرى تحت المنشورات على مواقع التواصل العديد والمختلف من أنواع التعليقات، منها المجاملات - فقط - التي لا تحمل شيء آخر، ومنها النقد البناء وأيضاً النقاش ذو المعنى، وهناك الانتقاد اللاذع الذي يوحي لك كم أوجع كلامك هؤلاء.

وهناك شيء مضحك، وهم أولئك ممن لا ناقة لهم ولا جمل، ولم يفقهوا من اللغة شيء، ثم يرمون بعضاً من غبائهم في تعليق ما ويمضون دون اكتراث، هؤلاء بالذات من كانوا مستورين قبل ظهور مواقع التواصل، موجودون دوماً في كل حقبة وزمن، لكن ظهورهم يقتصر على مجتمعهم المحيط.

وهنا على صاحب الكلمة أن ينقح نفسه، لمن يريد أن يسمع..؟ أو بمن يريد أن يتأثر..؟

في نهاية النقاش الممتع؛ شبهت كل هذا بالقدر الذي يغلي على النار..!

مواقع التواصل تغلي يا أعزاءي.

هل راقبت يوماً قدراً يغلي على النار..؟

سوف ينضح بما فيه بالنهاية، بعد أن ينضف محتواه من الزبد (الزفر) إن لم يجد من ينظفه أولاً بأول سوف يُرمىٰ خارج القِدر (المنظومة) عاجلاً أم آجلاً، وفي النهاية ستجد المحتوى الذي كان في القِدر يظهر بقيمته، إما دسماً لذة للقارئين، ذو قيمة أو مجرد شيء لإشباع الشراذم من الجائعين ممن يلوكون الكلام كاللقمة دون طعم ولا قيمة.

اختر من تريد أن تكون لو كنت طارحاً لفكرة أو متلقياً لها.. اختر نوعك، قيمتك، هدفك ومستواك.. فعلى أرصفة القراء كل شيء موجود اختر ما تريد.

الأساطير المؤثرة في الحضارات القديمة

إعداد
هديل الواوي

أسطورة الكارما والتناسخ

العدالة الكونية في الأساطير القديمة في مقارنة فلسفية وتأثيرها على المجتمعات

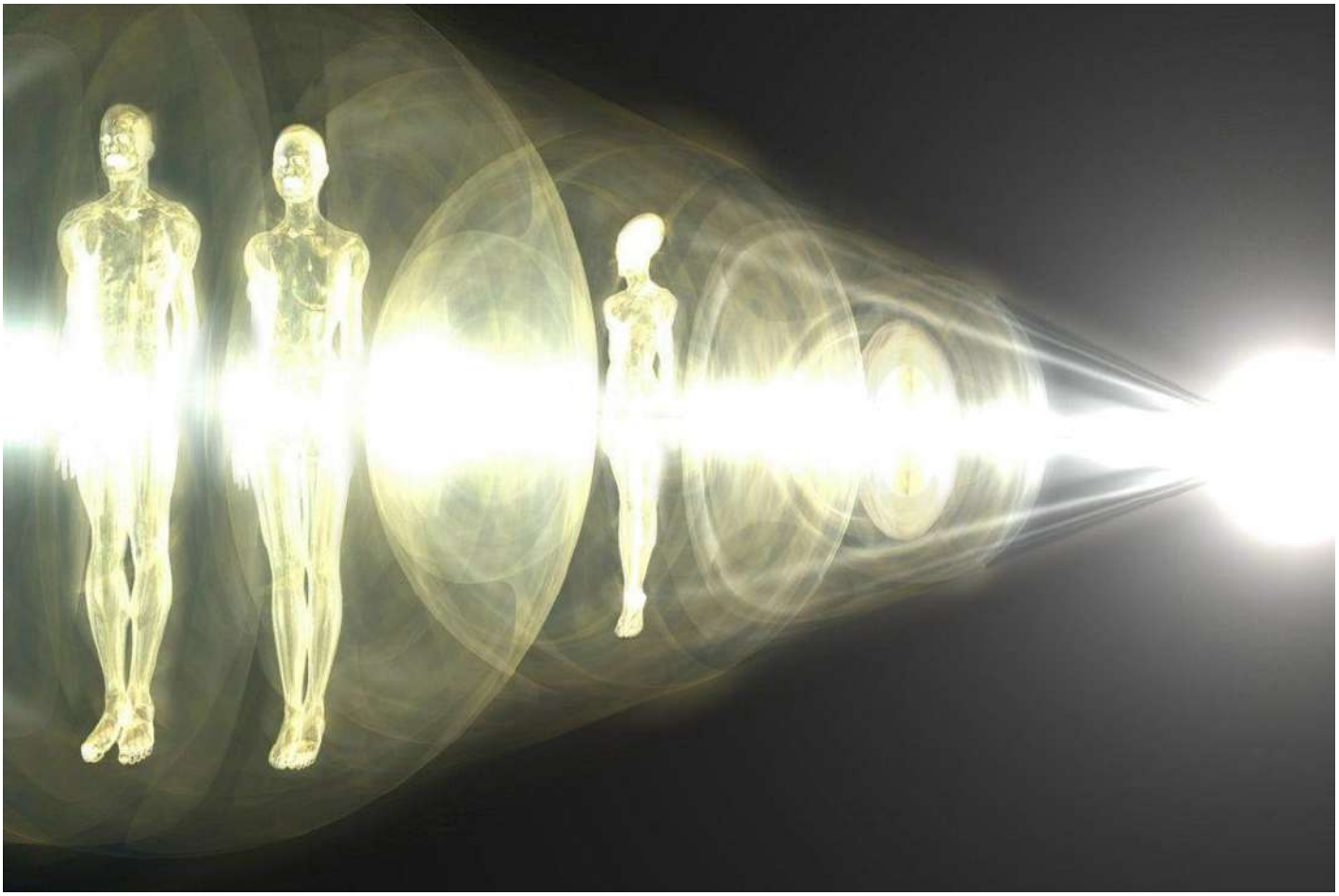

منذ فجر الحضارات، سعى الإنسان لفهم مصيره بعد الموت وتفسير العدالة في هذا العالم، ليس فقط من خلال الفلسفة؛ بل أيضاً عبر الأساطير التي نسجت خيوطها في وجدان المجتمعات القديمة.

في قلب هذه الأساطير، برزت مفاهيم مثل (الكارما) التناسخ، والحساب بعد الموت، مُشكّلة ركائز دينية وفكرية أثّرت في بنية القيم، السلوك، والسياسة.

هذا المقال يستعرض مقارنة فلسفية وثقافية بين الأساطير الهندية، اليونانية/الرومانية، والمصرية القديمة، مركزاً على مفهومي الكارما والتناسخ، مع تحليل لتأثير هذه التصورات على المجتمعات قديماً وحديثاً.

أولاً: الكارما والتناسخ في الأساطير الهندية في قلب الفكر الهندوسي.

تتربع الكارما (Karma) باعتبارها قانوناً كونياً للعدالة، تحكمه الأفعال لا الآلهة.

كل فعل -سواء خيّر أو شرير- يُخلف أثراً يعود على صاحبه، ليس فقط في هذه الحياة؛ بل في حيوات مستقبلية.

هذا يقود إلى مفهوم التناسخ (Samsara) حيث تنتقل الروح من جسد إلى آخر في دورة لا تنتهي، حتى تُحقق التحرر الروحي (موكشا)

تظهر هذه الفلسفة بوضوح في الأساطير الكبرى مثل: (رامايانا، وماهابهاراتا) حيث تمثل الشخصيات الإلهية مثل: (راما وكريشنا) تجسيدات للقيم الأخلاقية العليا، وتقدم نموذجاً للسلوك القويم الذي يقود في النهاية إلى التحرر.

هذه الأساطير لا تكتفي بسرد الأحداث؛ بل توجّه الإنسان نحو وعي أخلاقي دائم، يحفّزه على ضبط رغباته وتحمل المسؤولية الفردية عن مصيره.

ثانياً: الحساب الأخروي في الأساطير اليونانية والرومانية.

على النقيض من الرؤية الدائرية للهندوسية، تبدو

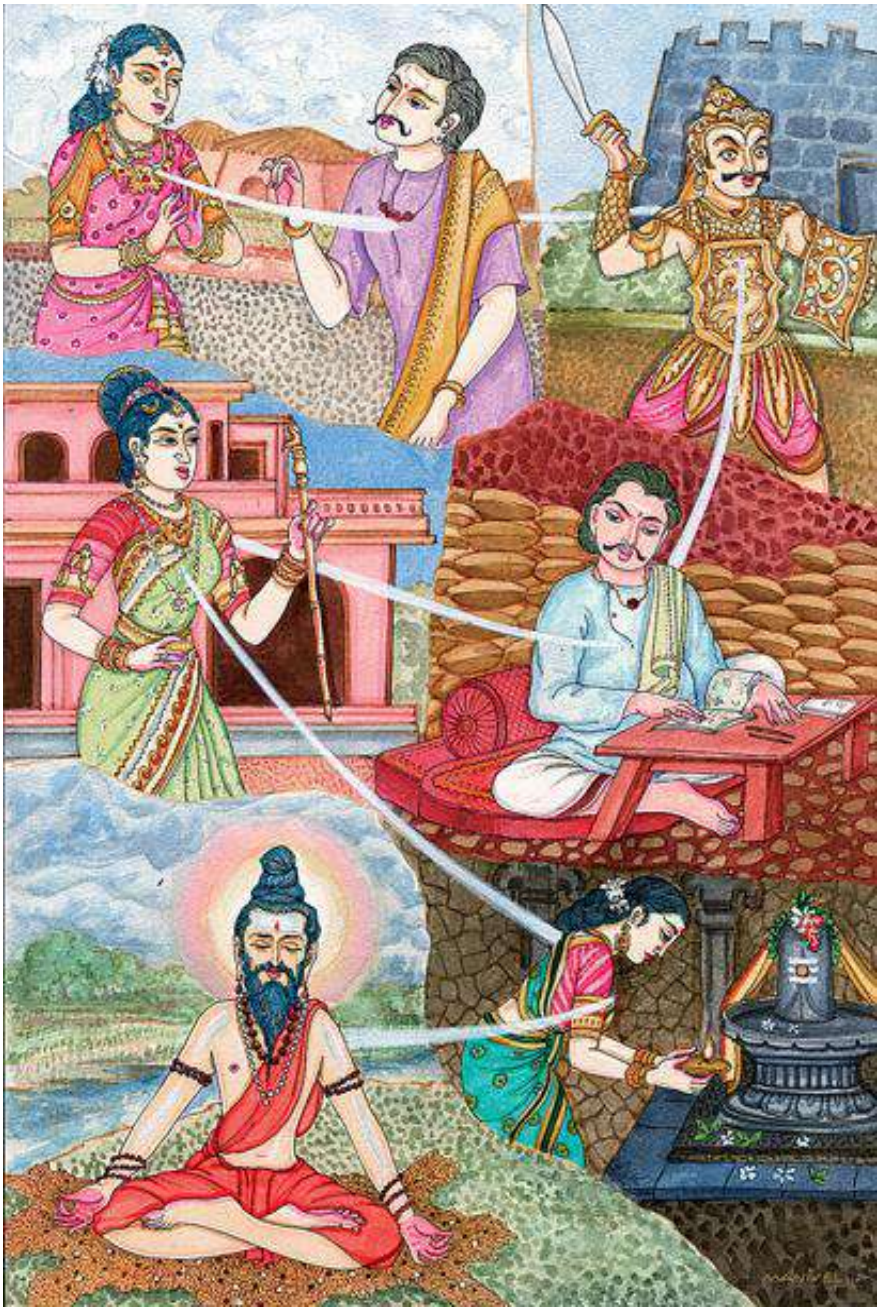

تناسخ الأرواح في الثقافة الهندوسية

ورغم غياب مفهوم الكارما كقانون كوني، إلا أن اليونان لم تخلُ من أفكار التناسخ.

الفيلسوف (فيثاغورس) تبنى مبدأ انتقال الأرواح، بينما صاغ أفلاطون تصوراً فلسفياً لهذا المفهوم في أعماله، معتبراً أن النفس تُولد مراراً وتُحاسب وفقاً لاختياراتها.

إلا أن هذه التصورات بقيت في إطار النخبة الفكرية، ولم تنتشر شعبياً كما هو الحال في الهند، مما جعل العدالة في الميثولوجيا اليونانية مرتبطة أكثر بـ (السلطة الإلهية) منها بـ (القانون الذاتي)

ثالثاً: محكمة الموتى في الأساطير المصرية.

تُقدم الأساطير المصرية القديمة تصوراً مدهشاً للعدالة بعد الموت، أكثر تشخيصاً ودقة.

فبعد الوفاة، تُحاكم الروح أمام الإله (أوزوريس) في (قاعة الحقيقة) حيث يُوزن قلب المتوفى مقابل ريشة العدالة (ماعت)

إن كان القلب خفيفاً ونقياً؛ يدخل الروح الجنة (حقول السلام) وإن كان مثقلاً بالذنوب؛ يُلتهم من قبل وحش (عمعيت) في فناء أبدي.

لا يظهر التناسخ في هذه العقيدة؛ بل كانت الرؤية متجذرة في الاستمرارية بعد الموت: الجسد يُحنّط، والروح تعيش في عالم آخر شبيه بالأرض، لكن أكثر سلاماً.

وقد انعكس ذلك في العمارة (الأهرامات) والطقوس الجنائزية المعقدة التي حاولت ضمان العبور الآمن للروح.

العدالة هنا ليست نتيجة قانون كوني غير الأساطير اليونانية والرومانية أكثر (خطية) في تصورها للوجود.

بعد الموت، تُفصل الروح عن الجسد وتحاكم في العالم السفلي، حيث تحدد الآلهة مكانها: إما (إيليسيوم) كمكافأة للأبطال والمحسنين، أو (تارتاروس) كمصير للمذنبين، أو الحقول الرمادية لمن عاشوا حياة متوسطة.

مرئي كالكارما، لكنها تُفعل من خلال محكمة مقدسة تُخضع الإنسان لحساب فردي دقيق، لا محاباة فيه.

مقارنة فلسفية: عدالة كونية أم سلطة إلهية..؟

تكشف هذه الأساطير الثلاثة عن تصورين مختلفين للعدالة:

-في الهندوسية، العدالة كامنة في الكون ذاته، لا حاجة لآلهة تقرر مصيرك، أنت من يصنع مصيرك بأفعالك، في نظام ذاتي يعيد إنتاج العدل عبر التناسخ.

-في اليونان ومصر، العدالة تُمنح من الخارج، من خلال آلهة تحاسب وتقرر، إنها رؤية قائمة على السلطة والهيبة، حيث المصير ليس دائماً ناتجاً عن الفعل وحده؛ بل أيضاً عن مكانة الفرد أو تدخّل الآلهة.

رسومات إغريقية

التأثير على المجتمعات القديمة

هذه الأساطير لم تكن مجرد خرافات؛ بل أسّست لأنظمة سلوك جماعي:

محكمة الموتى عند قدماء المصريين

-في الهند، زرعت الأساطير مفهوم المسؤولية الفردية عن المصير، وشجعت على ضبط النفس، والخدمة، والتأمل.

-في اليونان، شجعت الأساطير على البطولة والتميز، إذ أن السبيل إلى الخلود ليس الأخلاق؛ بل المجد.

-في مصر، خلقت الأساطير مجتمعاً دينياً يعظّم الطقوس والاستعداد للموت، باعتباره

مرحلة حاسمة لا رجعة فيها.

استمرار التأثير في المجتمعات الحديثة رغم مرور آلاف السنين، لا تزال هذه المفاهيم حية، بأشكال مختلفة: فكرة الكرمة، مثلاً، دخلت الثقافة الغربية، وغالباً ما يُستخدم المصطلح للدلالة على (ما تفعله يعود إليك) حتى خارج السياق الديني.

في المقابل، لا تزال فكرة الجنة والنار والحساب مستمرة في الديانات السماوية، وهي تُشبه إلى حد ما مفاهيم العالم الآخر في الأساطير اليونانية والمصرية، كما أن التصورات الهندوسية عن التناسخ أثرت في الحركات الروحية الحديثة (مثل البوذية الغربية، واليوغا)

الخلاصة نقول: إن دراسة الأساطير المتعلقة بالتناسخ والعدالة بعد الموت لا تُفيد فقط في فهم معتقدات الماضي؛ بل تُسلط الضوء على حاجة الإنسان المستمرة لتفسير العدالة، وتحديد مصيره الأخلاقي.

سواء اعتبرنا العدالة قانوناً داخلياً مثل الكارما، أو نظاماً خارجياً كالحساب الإلهي، تظل هذه المفاهيم مرآة تعكس عمق العلاقة بين الإنسان والمجهول، بين الفعل والمصير، وبين الأرض وما بعدها.

أحاديث فلسفية

تقدير اللحظة الحالية في الفلسفة الرواقية

إعداد الباحثة
آلاء علي

لعلَّنا نقلق كثيراً بشأن اللحظات التالية التي ستحدث في المستقبل، وتستحوذ علينا رغبة عارمة في الخوض بالتفكير والتخطيط الدائم لما نرغب في الحصول عليه، وما نود الوصول إليه.

ولا نكتفي بذلك؛ بل نذهب بأنفسنا إلى جانبٍ آخر قد انقضى وولّى، فنبدأ بترتيب أحداث الماضي شيئاً، فشيئاً، ونستشعر تلك اللحظات وكأنها تحدث الآن.

وفجأة، وبدون مقدمات، نجد أنفسنا في حالة من الندم واليأس على أشياء فرّطنا فيها، أو أهملنا أداءها، أو قراراتٍ اتخذناها دون وعيٍ كافٍ بنتائجها.

ونتيجة إدراكنا بأن تلك اللحظات الماضية لا يمكن إرجاعها ولو لثانية واحدة من أجل تغييرها أو إصلاحها، يحتل وجداننا شعورٌ بالرغبة في البكاء على الأطلال، والمكوث طويلاً دون حِراك أمام الأبواب المغلقة.

هكذا نظلّ مذبذبين بين الغوص في التفكير في أمرين لا نملك أدنى قدرة للسيطرة عليهما: الماضي والمستقبل.

وربما أغلبنا – إن لم يكن معظمنا – إذا تأمّل ذهنه، وجده مشغول البال دائماً بالنظر إلى الوراء أو الخوض في التخطيط لما هو قادم، إلا القليل النادر من أصحاب النفوس الخفيفة، التي تسعد بالحضور في لحظتها

الحاضرة، تاركةً كل ما عداها خلف الستار.

ولأن الأذكياء المنشغلين بأنفسهم في اللحظة الحالية قِلّة قليلة، وخصوصاً في وقتنا هذا الذي أصبحت فيه حياة الجميع مرئية طوال الوقت عبر البرامج ووسائل التواصل الاجتماعي؛ فقد ترسّخت في نفوس الناس رغبة دائمة في الوصول إلى (الحياة المثالية) التي لا وجود لها في الحقيقة.

وهو الحال الذي جعل كثيرين يفقدون اللحظة الحاضرة، سعياً وراء التخطيط للقادم وطمعاً في الوصول إلى الأفضل، تاركين بين أيديهم لحظاتٍ ربما لو عاشوها كما هي، لكانت خيراً لهم من التطلّع إلى ما لا يملكون.

هذا الأمر دفعني لأخوض معكم في حديث يتعلق بكيفية التركيز على لحظاتنا الحالية، وتقديرها، واستغلالها، والوصول إلى السعادة من خلالها.

ولعلنا نجد هذا الأمر مطبقاً بشكل عملي وواقعي في الفلسفة الرواقية، فهي من أكثر المدارس الفلسفية التي أولت هذا الجانب اهتماماً بالغاً.

كما سنوثّق أقوال بعض الفلاسفة البارزين في الفلسفة الرواقية، الذين كانت لهم كلمات بالغة الأثر في تقدير اللحظات الحاضرة.. والله وليّ التوفيق.

<u>التركيز على اللحظة الحالية يقلل التوتر:</u>

إن الحضور في اللحظة، في الوقت الحاضر، في التوّ والثانية التي بين أيدينا، يُعدّ منهج حياةٍ متكاملة وثقافةً ناجحة ينبغي تطبيقها في جميع مراحل الحياة.

كلّ ما علينا فعله هو أن نكون على وعيٍ وانتباه، وأن نحاول أن نعيش الواقع، ونخوضه ونتقبّله بكامل وعينا وفكرنا، فالتركيز على اللحظة الحالية يُمكّننا من تحمّل المسؤولية المُلقاة على عاتقنا مهما كانت ثقيلة، ويجعلنا في حالة تقبّل دائم لمجريات الحياة واستجابة مستمرة لأحداثها، فنصبح نحن الفاعلين بدلاً من أن نكون مجرّد ردود أفعال.

كما أن التركيز على اللحظة الحاضرة يُعزّز من نشاطنا البدني والذهني، ويجعلنا أكثر كفاءة وفعالية واستعداداً للحياة.

وعندما نقول (التركيز على اللحظة الحالية) فإننا نعني التركيز على الذات الحاضرة في الموقف، وعلى الشعور العميق بالامتنان لكل ما يحدث في الواقع، وتقدير الحياة ومعناها في أبسط الأمور والتفاصيل.

فالدخول في الحالة الحاضرة والتعمّق فيها يحقّق السلام الداخلي، ويُقلّل من حدّة التوتر الناتج عن التفكير المفرط في المستقبل، ويزيد من قدرة العقل على الوصول إلى الوعي الكامل والإدراك الشامل للحالة الآنية.

ولا يخفى علينا أن تأمّلنا في نعم الله الكثيرة، من خلال التركيز على اللحظة الراهنة، يزيد النفس طمأنينة وسكينة، ولا يتحقّق ذلك إلا عبر حضورنا الحسيّ والوجداني والذاتي في الحاضر والآن.

كما أن التركيز على اللحظة الحاضرة لا يغيّر هويتنا؛ بل يُقرّبنا من ذواتنا الحقيقية، ويُعيننا على فهمها وإدراكها، مما يمكّننا من إصدار سلوكيات صائبة تُقرّبنا من أهدافنا وتفتح لنا أبواب حياة أكثر اتزاناً وسعادة.

لذلك، علينا أن نكون حاضرين بكامل عقولنا وأرواحنا وأبداننا في الوضع الراهن، فذلك هو ما يساعدنا على فهم الأمور بوضوح.

وبدلاً من التفكير في (ما الذي يجب أن أفعله في المستقبل..؟) يجب أن نسأل: (ما الذي يمكنني فعله الآن..؟)

فالتركيز على الحاضر لا يتعارض مع وجود الأهداف؛ بل هو الطريق الأنجع لتحقيقها، إذ لا بد أن نوجّه طاقتنا ووعينا من التشتّت في احتمالات المستقبل إلى العمل الفعلي في اللحظة الحاضرة.

إننا لا نعلم ما الذي سيحدث في اللحظات التالية: هل سيكون الحظ في صفّنا أم لا..؟ هل ستسير الخطة كما رسمناها أم ستفاجئنا تغيّرات غير متوقّعة..؟

لذا، لا مجال للتسويف أو التأجيل، لأن اللحظة الحاضرة

هي الفرصة الحقيقية الوحيدة للسعي والتحقيق.

خلاصة القول:

- امنح حاضرك كلّ شغفك واهتمامك.

- وجّه إدراكك وتركيزك الكامل إلى اللحظة الراهنة.

- دع كلّ قواك العقلية ووعيك الذاتي تنصبّ على (الآن)

- تحرّر من أوهام الماضي ومخاوف المستقبل، وكن هنا، في اللحظة التي تملكها حقاً.

مفاتيح الرواقية في تقدير اللحظة الراهنة:

من المعروف أن الفلسفة الرواقية نشأت في أثينا في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، ومؤسسها هو الفيلسوف اليوناني المعروف (زينون) وهي فلسفة أخلاقية عملية، مبنية على التأمل والمنطق، تُعلّم الإنسان كيفية الخروج من المحن، والتحلي بالثبات في مواجهة المواقف المختلفة.

كانت الرواقية تنظر إلى الحياة نظرة اعتبارية عميقة؛ إذ اعتبرت أن الحياة قصيرة، ولابد من الاستفادة منها إلى أقصى حد، وبأبسط الطرائق الممكنة.

لذا، عمل الفلاسفة الرواقيون على إرشاد الناس إلى كيفية الاستمتاع بما بين أيديهم من لحظات، وقدرات، وأحداث آنية.

وقدّموا سُبلاً عملية لتقدير اللحظة الحاضرة، تمثّلت فيما يلي:

١-التأمل في الطبيعة.

٢-اليقظة الذهنية.

٣-تقدير الوقت وقيمته.

٤-الصبر والهدوء.

٥-فهم طبيعة البشر.

٦-قبول المصير وتقبل القدر.

٧-البعد عن الشعور السلبي.

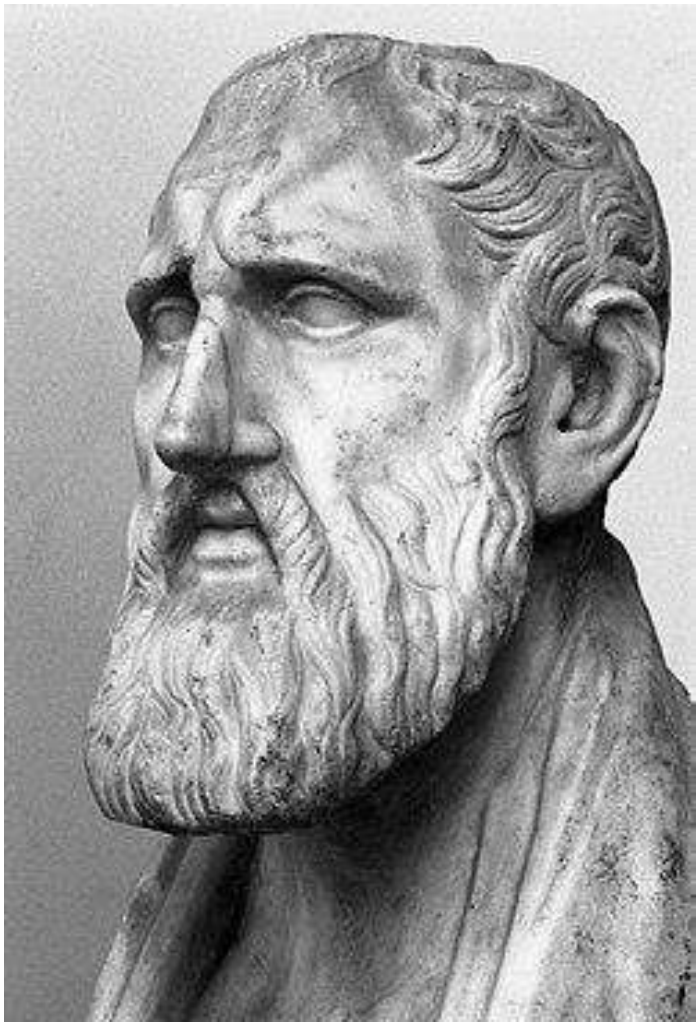

زينون

وغيرها الكثير من المبادئ والأساليب، ولقد أدركت الرواقية منذ وقت مبكر قوة اللحظة الحاضرة، وأهمية استثمارها، وهو ما انعكس في تعاليم العديد من الفلاسفة الكبار، مثل الفيلسوف الرواقي الشهير (ماركوس أوريليوس) الذي عُرف بمبادئه الصلبة ونظرته العميقة تجاه الحاضر، حيث أولى اهتماماً بالغاً بالتركيز على اللحظة الراهنة والتعايش معها بوعي وسكينة.

وفيما يلي، سنعرض بعضاً من هذه المبادئ ونترك المجال لبعض من أقواله الملهمة، التي مازالت تحتفظ بعمقها إلى يومنا هذا.

مبادئ ماركوس الروماني في اللحظة الحالية:

يقول ماركوس: "في كل لحظة من حياتك أولِ كل انتباهك

كروماني وكإنسان، إلى أن تؤدي المهمة التي بين يديك بتحليل دقيق، ورزانة غير مُتكلفة، وتعاطف إنساني، وعدالة ونزاهة، وأن تفرغ عقلك من كل أفكاره الأخرى"

ويقول: "تمادي في إيذاء ذاتك أيتها النفس.. إن هي إلا لحظة ولن يعود لديك متسع لاعتبار ذاتك.. الحياة لحظة"

يدعو ماركوس إلى الخلو مع الذات والتأمل الداخلي الذي يساعد على الحضور في اللحظة فيقول: "ليس في العالم وضع أكثر هدوءاً ولا أبعد عن الاضطراب مما يجد المرء حين يخلو إلى نفسه، وبخاصة إذا كانت نفسه ثرية بالخواطر التي إذا أظلته غمرته بالسكينة التامة"

ماركوس أوريليوس

يرى ماركوس أنه لابد من المبادرة في الخير وعدم التسويف، فنجده يقول: "انصرف إلى المسألة التي أمامك، سواء أكانت رأياً أم عملاً أم كلمة.. إنك تستحق ما أنت فيه"

ويقول: "حين تتكدر في أي ظرف فقد نسيتَ.. أن كلاً منا لا يعيش إلا اللحظة الحاضرة ولا يفقد إلا إياها"

كما يقول: "اذكر أن كلاً منا لا يعيش إلا اللحظة الحاضرة، وما أضألها في الزمن، وأن كل ما سواها من العمر هو إما ماضٍ غير عائد، وإما مستقبل غير معلوم"

ويقول: "لا تزعج نفسك بالتأمل في المشهد الكلي لحياتك، لا تدع فكرك يُضم في آن معاً كل ما أزعجك فيما مضى وكل ما يمكن أن يزعجك فيما بعدُ؛ بل اسأل نفسك في كل ظرف حاضر: أي شيء يفوق احتمالي وينوء بي..؟ ولسوف تخجل من مثل هذا الإقرار.. ثم ذكِّر نفسك أنه لا المستقبل ولا الماضي هو ما يثقُل عليك؛ بل الحاضر وحده.

وكم يهون عبء الحاضر إذا أمكنك فقط أن تحدده وتضعه في حجمه، وأن تُوبخ عقلك إذا كان يكِل عن الصمود لشيء مخفف كل هذا التخفيف"

كانت هذه أبرز أقوال ومبادئ فيلسوف كبير من فلاسفة الرواقية، نتبعها بمبادئ فيلسوف آخر لا يقل عنه أهمية، ألا وهو الفيلسوف المعروف (سينيكا)

مبادئ سينيكا في اللحظة الحاضرة:

اهتم سينيكا باللحظة الحالية اهتماماً شديداً للغاية، لأنه كان يرى أن الحياة قصيرة المدى لابد من الاستفادة منها بكل لحظة سواء كانت لحظة سيئة أو سعيدة، ونرصد له في ذلك أقوال بالغة القوة منها: "لا أحد يُعيد السنين، ولا أحد يُرجع لك نفسك السابقة، وستتوالى الحياة في المسار الذي بدأت فيه، ولن تعكس أو توقف مسارها، فلا داعي للهياج.. ستجري على النحو الذي بدأت منه وتجري وأنت منهمك.. عليك أن تستوعب هذا سواء أحببتها أو لا"

ويقول: "في الحقيقة لو امتدت حياتك ألفاً من السنين أو يزيد، ستضغط إلى أقصر فترة للزمن، وسوف تبتلع رذائلك أي عدد من الزمن، وتيقن أن هذه الفترة للزمن يطيلها التدبير الحسن حتى وإن كانت طبيعتها العجل، ويجب أن

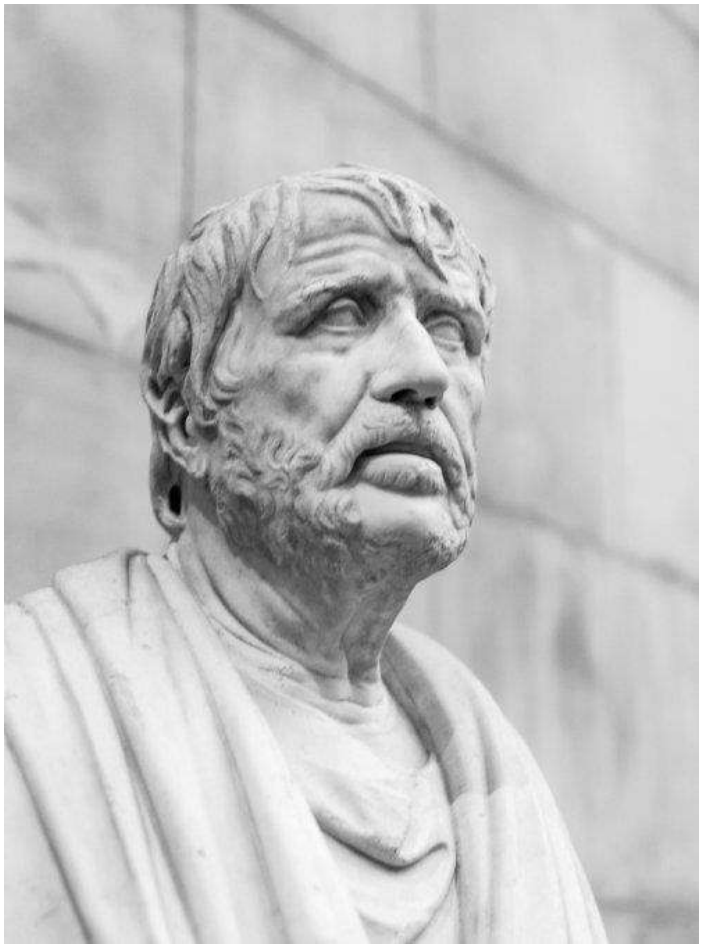

سينيكا

تفلت من حالتك مسرعاً؛ لأنك تفشل في تقديرها واقبض عليها مجدداً، ولن تفعل شيئاً لتؤخر من سرعة الأشياء، ولكن اسمح لها أن تمضي كما لو كانت شيئاً فائضاً يمكننا أن نسترده مرة أخرى"

ويقول: "من يكرس كل لحظة من عمره لاحتياجاته ومن يرتب كل يوم كما لو كان حياة كاملة لا يتوقف فيها لليوم التالي ولا يخاف منه.. قد وصلت حياته حقاً بسلام"

ينقد سينيكا من يخططون للمستقبل ويتركون الحاضر فيقول: "وهل هناك سذاجة أعظم من وجهة نظر هؤلاء الناس الذين يفخرون ببعد نظرهم..؟ وهم منشغلون بأعمال للعيش الأفضل، ويخططون حياتهم على حساب الحياة ذاتها، ويشكلون غاياتهم بالمستقبل البعيد في العقل، ويكمن الهدر الأعظم للحياة في التسويف الذي يختلسنا كل يوم في انعطاف، ويخطف الحاضر بوعد المستقبل، إن العائق الأكبر للعيش هو الأمل الذي يتكئ على الغد ويضيع اليوم، فقد حددت ما في يد الحظ، ولكن أفلت ما في يدك.. فعش الآن حقاً"

ويقول كذلك: "الأيام حاضرة في زمن واحد فحسب وهي اللحظة باللحظة فحسب، ولكن كل أيام الزمن الماضي سوف تحضر لك في عرض طلبك، وسوف تسمح لك أن تختبرها وتقبض عليها بإرادتك، وهي الشيء الذي لا يملك المنشغلون وقتاً لفعله"

ويقول: "تنقسم الحياة إلى ثلاثة أجزاء: الماضي والحاضر والمستقبل، فالحاضر مقتضب، والمستقبل مشكوك فيه، والماضي يقين، وأما الماضي فليس للحظ عليه سطوة، وليس بمقدور سلطة أحد أن تعيده"

يواصل فيقول: "الزمن الحاضر مقتضب جداً، وأكثر اقتضاباً عند بعض الناس ويبدو غير موجود، وهو في حركة دائمة ومنزلقة.. وينقطع قبل وصوله، ولا يعاني بُطناً"

ويقول: "من ينسون الماضي ويتجاهلون الحاضر ويخافون المستقبل، فالحياة بالنسبة لهم مقتضبة ومضطربة للغاية، وحين يصلون نهايتها يدركون متأخراً بؤس الفقر الذي شغلوا به طويلاً"

كانت هذه أبرز أقوال ومبادئ سينيكا في رؤيته للحظة الحاضرة التي ربما نستشف منها شيء واضح للغاية، وهو اعتقاده الجازم بأن الحياة قصيرة لابد من معايشتها قبل فوات الأوان.

إلى هنا نصل إلى نهاية حديثنا الذي دار حول محاولة هامة لمناقشة موضوع ربما غاب عن بعضنا في هذه الأيام، وهو تقدير اللحظة التي بين أيدينا، ومحاولة معايشة فكرة الامتنان الداخلي لما نملكه من لحظات وهبها الله لنا، وعدم تضييع الوقت بالتفكير في أمور لا نملك عليها سلطاناً.

كل ذلك من خلال المرور على فلسفة عملية وواقعية عُرفت بقوّتها في طرح القضايا الحياتية، وهي الفلسفة الرواقية، حيث عرضنا فيها أقوال فيلسوف روماني كبير هو (ماركوس أوريليوس) وختمنا حديثنا بذكر فيلسوف عظيم آخر هو (سينيكا) وإلى لقاءٍ آخر.

رؤى نقدية

النفي والاغتراب في قصة (صورة جماعية لرجل وحيد) للقاص شعيب الحربي المنشورة في العدد ١٣ من مجلة القلم

الناقد: كرم الصباغ

استهلال:

يهتم السرد النفسيّ بتصوير العالم الداخليّ للشخصيات؛ فهو يرصد مشاعرها وآلامها ويعبر عن أوجاعها، وأحلامها، ومكبوتاتها، ورغباتها الدفينة، ولا يعني هذا أن السرد النفسي يغض بصره تماماً عن العالم الخارجيّ المحيط بالشخصية؛ فهو معنيٌّ به بالضرورة؛ إذ يحيلنا الراوي عندما ييمم وجهه شطر الخارج إلى المرجعيات والمؤثرات التي تترك أثرها في النفس البشرية، أو هو يبحث عن العلل والأسباب الكامنة داخل ذوات الشخصيات والتي تؤثر بدورها على الطريقة التي تنظر بها الشخصيات إلى العالم الخارجي؛ أي أن السرد النفسي يرى العلاقة بين الذات (الداخل) والعالم (الخارج) علاقة متغيرة، تتبادل فيها الأسباب والنتائج مواقعها من خلال عمليات ديناميكية لا تتوقف.

ولقد ابتكر السرد النفسي لنفسه تقنيات وطرائق جديدة أولت الشخصية اهتماما شديداً، وأفردت لها مساحاتٍ كبيرةً؛ لتعبر عن عالمها الداخليّ، وما يعتمل فيه من مشاعر فياضةٍ وانكساراتٍ، ومن تلك التقنيات (المونولوجات) الداخلية المباشرة وغير المباشرة والاسترجاع (الفلاش باك) والرؤى، والاحلام، والكوابيس، والهذيان، والهيستريا، وأحلام اليقظة.. وغيرها من التقنيات.

كما يتسم الوصف والسرد في الكتابة النفسية بسماتٍ خاصةٍ تختلف بالضرورة عن غيرها من أنماط وتيارات الكتابة.

وبالنظر إلى قصة (صورة جماعية لرجل وحيد) نجد أن القصة قد اعتمدت على السرد النفسيّ والرمز واللغة الشعرية المرهفة؛ لتعبر عن مأزق الإنسان المعاصر المتمثل في القلق الوجودي وحالة الاغتراب والنفي والاستلاب، ونجد أن الكاتب قد اعتمد فيها بشكلٍ جليّ على المفارقة وكسر أفق توقع القارئ من خلال لعبة الانحناءات المفاجئة، ومباغتة القارئ بالمحو في مقابل الإثبات والهدم في مقابل البناء.

لماذا اعتمد الكاتب على صوت الراوي العليم..؟

رغم أن القصة نفسية بامتيازٍ تعبر عن الحياة الداخلية لشخصية واحدة تناوبتها مقاطع سرديةٌ متتابعة ومرتبة ترتيبا زمنياً تصاعدياً، عبر كل منها عن مرحلة عمرية

مثلت في مجموعها الحياة الكاملة لتلك الشخصية التي أحاطت بها هالةٌ من الضبابية والغموض.

ربما يسأل قارئٌ قائلاً: لماذا لم يعتمد الكاتب على صوت الراوي المشارك من خلال ضمير المتكلم ليورط الراوي في إنتاج الاحداث بمعنى أن يصبح الراوي هو البطل الرئيس والشخصية الرئيسة..؟ أليس هذا أكثر ملائمة للسرد النفسي..؟ أليس هذا أكثر ملائمة للحياة الداخلية التي تعبر عن حالة التمزق والانسحاق والتشظي كنتيجة طبيعية للضغط والقهر واللايقين والقلق الوجودي..؟

دعني أتخيل ما سيجيب به الكاتب عن هذا السؤال الذي يتصف بقدرٍ كبيرٍ من الوجاهة والمنطقية؛ فأظنه سيجيب بقوله: إنما أردت أن أعبر في قصتي عن حالة الاغتراب التي تعاني منها الشخصية بشقيه، الاغتراب عن العالم الخارجي من ناحية والاغتراب عن الذات من ناحية أخرى.

فانت عزيزي القارئ حينما تقرأ القصة تلمس وشائج خفية بين الراوي العليم وبين الشخصية الرئيسة التي اتفقنا آنفاً على أنها شخصية واحدة؛ فالصبي والشاب الثلاثيني والكهل الخمسيني والشيخ المسن هم في مجموعهم الشخص ذاته، وليس أدلَّ على ذلك من قول الكاتب في المقطع الاخير: "المقعد الخشبيّ ذاته، منذ أن غرسه ذلك الطفل على الشاطئ المهجور، وحتى هذه اللحظة لم يجلس عليه سوى شخص واحد فقط" فنحن بعد قراءة متأنية نكاد نشعر بتلاشي المسافة الفاصلة بين الراوي العليم وذات الشخصية الرئيسة؛ فالراوي العليم في تلك القصة بالتحديد ليس محايداً بالمرة مثلما يتصف به صوته في أعمال أخرى، أكاد أجزم- وإن كان المقام هنا لا يتسع للجزم والرؤية الأحادية القاطعة- أن الراوي العليم هو ذاته الشخصية الرئيسة لكنه منفيٌّ عن ذاته تلك مغتربٌ عنها انتحى جانبا؛ ليروي مأساته عن ذات منقسمة على نفسها متشظية، لكنها غير منفصلة بالكلية عن الراوي وصوته؛ فكلاهما مرآة للآخر لكنها مرآة مهشمة تنتج صورة غير رائقة؛ بل مشوشة قلقة مضطربة متوترة، لهذا أجدني لا أملك إلا أن أتفق مع الكاتب في اختياره الذي أضاف لبنية القصة عمقاً خفيًّا ومعنىً مضمراً ورصيداً إيجابيًّا لا سلبيًّا.

اللجوء إلى الرمز والمعادلات الموضوعيّة:

لجأ الكاتب في قصته إلى العديد من الرموز الموحية لتمرير رسائله الضمنيّة، كما اعتمد على ما اصطلح عليه (المعادلات الموضوعية) كي يجسد فكره المجردة في صور محسوسة تنأى به عن الخطابيّة والتقريريّة التي تعادي فكرة الفن من الأساس، ومن ذلك (الكرسيّ الخشبيّ) الذي غنم قطعه المتفرقة من أطلال بناية منهزمة وفق تعبير الكاتب.

ففي قراءة محتملة ربما يرمز هذا الكرسي إلى العمر ذاته، وقد أسس الكاتب منذ البداية لفكرة الهزيمة والانكسار بقوله: "أطلال بناية منهزمة" تلك الاستعارة المكنية التي تجسد الفكرة والتي ترمز إلى الهزائم والانكسارات التي عانت منها أجيال سابقة، فورثها الصبي الذي وجد نفسه مضطراً إلى تحمل ذلك الإرث الثقيل؛ ليبدأ حياته مثقلاً بأعباء لا قِبل له بها.

أمَّا الشاطئ المهجور الذي اعتاد أن يجلس عليه الطفل والشاب الثلاثينيّ والكهل الخمسينيّ والشيخ المسنّ، ففي قراءةٍ محتملةٍ قد يرمز إلى فكرة الاغتراب والنفي والعزلة النفسيّة الجبريّة مصداقًا لقول دعبل الخزاعيّ:

ما أَكثَرَ الناسَ لا بَل ما أَقَلَّهُمُ

اللَهُ يَعلَمُ أَنّي لَم أَقُل فَنَدا

إِنّي لَأَفتَحُ عَيني حينَ أَفتَحُها

عَلى كَثيرٍ وَلَكِن لا أَرى أَحَدا

أمَّا كلمة (بوظا) التي تعدُّ نوعاً من المثلجات أو الأيس كريم، وهو شائع في بلاد الشام وبعض مناطق الشرق الأوسط، ويتميز بقوامه المطاطي وتركيبته الذي يمنحه السحلب والمستكة.

فربّما ترمز في حالتها الصلبة إلى المتع والمسرات العابرة التي تخاتل قلوب وأجساد الفقراء والبؤساء؛ فتدفعهم بدورها إلى احتمال منغصات الحياة وشدائدها، انظر إلى قول الكاتب: "يتحسَّس جيبه بحماسةٍ يخرج قطعة (بوظا) وكأنَّه يكافئ نفسه على هذا الإنجاز الذي حقَّقه بطعمها

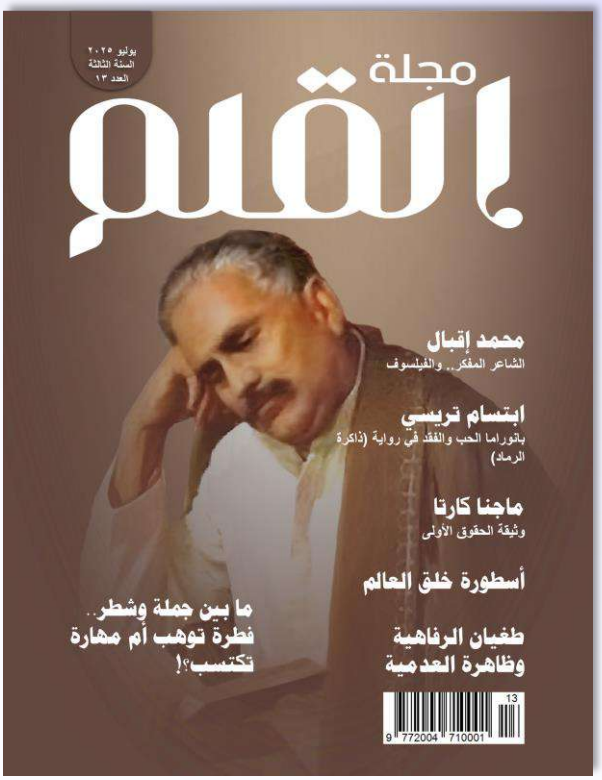

اللذيذ والاستمتاع بتلك اللحظة الساحرة التي ربما تكلَّف كلَّ ذلك من أجلها فقط" في حين ترمز (البوظا) السائلة في موضع آخر من القصة إلى حالة الانهيار والعجز والهزيمة، انظر إلى قول الكاتب: "المقعد الخشبيّ المطلُّ على الساحل المهجور ينهار عليه خمسينيٌّ مرهقٌ.... وكقطعة (بوظا) ذائبةٍ ينصهر الرجل على المقعد"

في حين يرمز البحر من وجهة نظري إلى الحياة ذاتها بتقلباتها وهدوئها وكدرها وصفوها، فالبحر رحم الحياة وصورتها الأولى.

فهو مصدر الرزق واللهو حيناً، ومصدر الفزع والمخاوف والاضطرابات أحياناً أخرى.

أمَّا المراكب الصغيرة التي تتهادى على صفحة الموج، فقد ترمز إلى وسائل الوصول إلى الأحلام والأمنيات ووسيلة النجاة في خضم معترك الحياة.

كسر أفق التوقع والانحناءات المفاجئة:

وفق نظرية التلقي، يتفق (ياوس وأيزر) على أنَّ كسر أفق توقع القارئ يعدُّ من مناط القوة في النص الأدبيّ، ولقد أحسن الكاتب اللَّعب بتلك الورقة في أكثر من موضع في قصته مُحدِثاً ما يمكن أن نسميه بالانحناءات المفاجئة بمسار السرد مما حقَّق من وجهة نظري شيئاً من المتعة والإدهاش؛ فعلى سبيل المثال ما نجده في المقطع الثاني حينما يقبل الأولاد على الرجل الثلاثينيّ؛ فيفيضون عليه برًّا ورحمةً، وسرعان ما يفاجئنا الكاتب بأنّ زوجته التي مضى على زواجه بها سبع سنوات لم تنجب من الأساس، لدرجة أنه بات يكرهها ويفكر بشكلٍ جديٍّ في هجرها، ولا نكاد نستفيق من المفاجأة الأولى حتَّى نكتشف أنَّ الرجل الثلاثيني لم يتزوج من قبل، وأنَّ الأمل بات يراوده على إصلاح ما ارتكبه من حماقة بالعزوف عن الزواج.

تراجم

مالك بن نبي

مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، مفكر وعالم اجتماع جزائري، يُعدّ أحد أبرز المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين.

وُلد في الواحد من يناير سنة ١٩٠٥م في قسنطينة بالجزائر، ونشأ في بيئة متواضعة، وتلقى تعليمه الأولي في المدارس القرآنية والفرنسية.

تنقل في طفولته ما بين قسنطينة وتبسة للتعلم، واهتمامه في سن مبكرة بالفكر والثقافة؛ دفعه للسفر إلى فرنسا لإكمال دراسته في الهندسة الكهربائية بباريس.

اشتهر المفكر مالك بن نبي بمفهومه عن (القابلية للاستعمار) الذي يرى أن تخلف الأمم لا يعود فقط إلى الاستعمار الخارجي؛ بل إلى عوامل داخلية أخرى مثل ضعف الوعي الحضاري.

وعمل على ترسيخ وتأكيد أهمية الإصلاح الفكري والثقافي لبناء مجتمعات قوية.

له عدد من المؤلفات، من أبرزها: (الظاهرة القرآنية- ١٩٤٦م) و(شروط النهضة- ١٩٤٩م) و(مشكلة الثقافة- ١٩٥٨م) و(وجهة العالم الإسلامي- ١٩٥٤م) والتي تناولت فيها قضايا مثل الهوية، التنمية، والتحديات الحضارية.

وكان مؤمناً بأن التحرر الحقيقي يبدأ من تغيير الفرد والمجتمع من الداخل، مما جعله رمزاً للفكر النقدي والبنّاء.

شارك بن نبي في النضال ضد الاستعمار الفرنسي، لكنه ركز على العمل الفكري بدلاً من السياسي.

عاش حياته متنقلاً بين الجزائر وفرنسا ومصر، وعمل أستاذاً ومحاضراً.

توفي في الجزائر في ٣١ أكتوبر عام ١٩٧٣، وترك وراءه إرثاً فكرياً كبيراً يُلهم أجيلاً من بعده، ويفتح أبواباً للنقاش حول النهضة والتحديث المطلوب في العالم الإسلامي.

مقالات حرة

الأنانية سبقت التشجيع

للكاتبة: صبرينة بالرابح

إنّنا في زمن نبحث فيه عن جمهور يصفّق في الجلسات الأدبيّة، ويشجّعنا بكلمات تحفيزيّة، نريد أن نشعر بأهميّة ما نقوم به، وأنّ له معنى حقيقي.. صرنا وللأسف نبحث في عيون كثيرة عن كلمات صادقة تعبر عنّا، وعن إنجازاتنا.

الكلّ هرب بسبب وبلا سبب، البعض لأنه لا يهتم، والآخر لأنّ عنده همّ، والبعض لغيرته صمت وتهكّم.

الانسان بطبعه طفل يحبّ أن يقال له أحسنت إذا أحسن.. وحاول مرّة أخرى إذا تعثّر.. لكنّه يحتار من صمت لا تفسير له، فلا هو معنا ولا هو ضدّنا..؟!

لماذا يلهث لاعب كرة القدم ليحصّل الأهداف..؟

لأنّ له جمهوراً سيصفّق إذا هو سجل هدفاً إذا هو تفوّق وانتصر، وكذلك باقي البشر.

الأم تتعب طول اليوم، فقط لتسمع الكلمة التي تنزع عنها تعب يومها من زوجها وأبنائها (شكراً لك أحسنت عملاً، بارك الله فيكِ) وكذلك الأب والأبناء.. الكلّ يبحث عن كلمة طيّبة تجعله يواصل المسير ويجتهد أكثر.

العامل يتعب أيضاً ويحاول أن يتقن عمله بشتّى الطّرق، وقد يترك اهتماماته ويضيّع عائلته لأجل اتقان العمل، لكنّه في الأخير لا يسمع أدنى كلمة شكر من ربّ العمل أو من هم معه..!

شجّعوا بعضكم، لأنّنا في وقت نقص فيه العمل الجيد ونقص فيه التّشجيع، وإذا كان الكلّ يفكّر بأنانيّة؛ فلن نجد يوماً من يبدع أو من يجتهد أو من يتقن عمله.. لن نجد من ينهض باكراً لأجل أن يقوم بواجباته العادية تجاهنا؛ لأنّه يدرك أن لا نفع لما يقوم به عند غيره.

بالتأكيد أنّ كلّ الأعمال لوجه الله، والله خير من يجازينا على ما نفعله، ولكنّنا كبشر نريد أن نعيش ونشعر بدورنا الحقيقي الذي نقوم به، أن نعرف أهميّة ما نفعله ويفعله غيرنا؛ فنستحسنه ونميزه عن غيره لأنّه بالتأكيد الأفضل.

الكلمة الطّيبة صدقة، فأكثروا من صدقاتكم لمن يستحق، ولن تخسروا شيئاً بهذا فقط، أنتم تزيدون محبّة غيركم، وتتعلمون كيف تحبون الآخر كأنه أنتم، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"

السم الخفي للنساء:
عندما تتحول الغيرة والحسد إلى حرب خفية..!

للكاتبة: فاطمة الزهراء العسالي

تُعدُّ غيرة المرأة من المرأة الناجحة في حياتها المهنية والدراسية والعائلية ظاهرة منتشرة تؤثر بشكل ملحوظ على العلاقات الاجتماعية والأسرية.

وتنشأ هذه الغيرة في كثير من الأحيان من أفكار تقليدية خاطئة تؤكد أن مكان المرأة الوحيد هو البيت، وأن دورها يقتصر على الزواج والولادة ورعاية الأبناء فقط.

تسود بين بعض النساء فكرة أن عمل المرأة خارج المنزل وخدمتها للمجتمع أمر غير مرغوب فيه، وأن الرجل هو المسؤول الوحيد عن الكسب وتحمل أعباء الحياة، بينما تبقى المرأة مستريحة تنتظر صرف أموال زوجها.

وهذا التفكير يعكس عقلية متخلفة لا تدرك أن الحياة الزوجية والاجتماعية تقوم على التعاون والتكامل بين الزوجين، وأن عمل المرأة لا يكون دائماً بدافع الحاجة المادية؛ بل هو تعبير عن دورها الحيوي في خدمة المجتمع والمساهمة في تقدمه.

تشعر المرأة الناجحة بالقوة والأهمية لما تحققه من إنجازات، وهذا الشعور يصعب على النساء الحاسدات تقبله.

لذلك، ينبع نقدهن وسلوكهن السلبي من غيرتهن ورغبتهن في الوصول إلى ذات المكانة والنجاح.

ولا تقتصر الغيرة على المجتمع الخارجي فقط؛ بل تتغلغل أحياناً داخل الأسرة، حيث تكثر الخلافات بين زوجات الأبناء والأقارب.

فهؤلاء النساء يزرعن الفتنة ويشجعن على الخصومات بين الإخوة، مما يخلق أجواءً من التوتر والعداء داخل البيت.

من الناحية النفسية، تعاني هؤلاء النساء من أمراض نفسية تحتاج إلى علاج ودعم متخصص، إذ إنهن أسرى لما يعرف بـ (الفونتازم النفسي) وهو حالة ذهنية تتسم بأوهام وصور مشوهة لا تتوافق مع الواقع.

ويرجع هذا المرض النفسي بشكل كبير إلى فراغ داخلي عميق، وعدم إحساسهن بدور فاعل في المجتمع يبرز قيمتهن.

ويعزز هذا الشعور عقدة نقص دفينة تجعلهن ينشرن طاقتهن السلبية وحسدهن تجاه المرأة الناجحة.

والأمر الأكثر خطورة أن هذا المرض النفسي قد ينتقل إلى الأبناء عبر التربية، حيث تُغرس في نفوسهم نفس الصور الذهنية المشوهة تجاه النجاح ودور المرأة الفاعل.

والغريب أن هؤلاء النساء أنفسهن يحرصن على تعليم بناتهن للحصول على شهادات عليا والانخراط في المجتمع، ما يعكس تناقضاً واضحاً بين موقفهن وسلوكهن العدواني، الذي لا يدل إلا على غيرتهن وحسدهن.

تتعايش هؤلاء النساء في بيئة مليئة بالسموم النفسية والطاقة السلبية، فتنتقل هذه الحالة السلبية إلى أزواجهن الذين يتأثرون بها تدريجياً.

يصبح الزوج مسموماً أيضاً، وتتسلل إلى قلبه مشاعر الغيرة والحسد تجاه نجاح الآخرين وتفوقهم عليه، مما يجعله يرفض دعم أو تقدير نجاحات من حوله.

هذا التسمم النفسي المشترك يفاقم توتر العلاقات الأسرية ويزيد من الاحتقان داخل البيت، ليصبح الحسد والغيرة مرضاً ينتشر بين أفراد الأسرة كلها.

في الختام، يحتاج المجتمع إلى تعزيز الوعي بقيم التعاون والتكامل بين الزوجين، وتوفير الدعم النفسي للنساء المصابات بهذا المرض.

ومن الضروري كسر القيود التقليدية التي تحصر دور المرأة في البيت وتغذي الحسد والغيرة.

فالنجاح للمرأة ليس تهديداً؛ بل إضافة قوية للأسرة والمجتمع، ويجب أن يُحتفى به ويُشجع.

خوفك من الموت.. قد يكون هو دافعك للموت

للكاتبة: حسيبة عزاوي

عبارة تبدو متناقضة، لكنها تختصر واحدة من أكثر التجارب النفسية تعقيداً وألما.

منذ أيام، صادفت فيديو مؤثر على مواقع التواصل الاجتماعي، تظهر فيه فتاة أجنبية تعمل كمؤثرة رقمية، تمت دعوتها من قِبل شركة سياحية لتجربة منطاد طائر والترويج له.

وكأي تجربة ترويجية، صعدت الفتاة إلى المنطاد، وحلّقت في السماء لفترة وجيزة.

غير أن ما حدث بعدها، كان خارج التوقع تماماً.

فجأة، بدأت الفتاة تصرخ وتترجى الفريق التقني بأن ينزلوها فوراً، لكنها لم تتلقَّ أي استجابة.

وفي لحظة مباغتة، فكّت حزام الأمان وألقت بنفسها من علو شاهق.

بعد الحادثة، انقسم الناس بين من يلوم الشركة على ضعف إجراءات الأمان، ومن يلوم الفتاة على تهورها وثقتها الزائدة بهذه الشركة، ومن يلوم وينتقد الفتاة ظناً منه أنها قامت بالانتحار.

غير أن ما غفل عنه الكثيرون، هو أن ما حدث على الأغلب لم يكن انتحاراً متعمداً، ولا حادثاً سببه نقص إجراءات الأمان؛ بل -نوبة هلع حادة- لحظة ذعر فاق فيها الخوف قدرة الفتاة على التفكير أو السيطرة.

الفيديو يُظهر بوضوح أن الفتاة لم تكن تنوي الموت؛ بل كانت تطلب المساعدة، تبحث عن النجاة، تتوسل النزول.

لكنها للأسف لم تجد مخرجاً، فاختارت - بلا وعي - أقصر الطرق لإنهاء ما كانت تعيشه، وهنا تكمن المفارقة المرعبة: أن الشخص أثناء نوبات الهلع لا يريد الموت؛ بل يخافه بشدة، ومع ذلك قد يتصرف بطريقة تقوده نحوه، نوبات الهلع عادة ما تنشأ من خوف شديد من الموت أو فقدان العقل أو السيطرة.

لكنها قد تدفع الشخص في لحظة ما، إلى أن يُنهي حياته فعلياً؛ هرباً من ذلك الخوف.

لأن الخوف حين يبلغ أقصاه، لا يترك لصاحبه مخرجاً، ولا منطقاً، ولا وعياً، فقط رغبة غريزية في الفرار من الجسد، من الواقع، من اللحظة، من كل شيء.

حين يخاف الشخص الذي يمر بنوبة هلع من الموت بشدة لا يحتمل ذلك الخوف نفسياً؛ فيتحول إلى قوة دافعة نحو الموت ذاته، لا رغبة فيه؛ بل هروباً من الوجع النفسي.

الخوف حين يشتد؛ يصبح تجربة وجودية خانقة، تسجن الإنسان داخل جسده، تشوّه واقعه، وتُغرقه في دوامة لا يراها من حوله.

فهل من الممكن أن يكون الخوف أشد من الموت..؟ هل يمكن للإنسان أن يختار نهاية حياته لا لأنه يريد الموت؛ بل لأنه خائف منه..؟

الحضن الذي نحتاجه.. يسكن فينا

للكاتبة: وجنات صالح ولي

في زوايا الحياة، نمشي أحياناً مثقلين بخيباتنا، بقلوب نصفها حيّ ونصفها الآخر ينتظر لمسة حنان تشعل فيه الحياة من جديد.

نُفتّش في العابرين، نلتقط من كلماتهم، من نظراتهم، من ابتسامة عابرة، ما نعتقد أنه الدفء الذي نفتقده.

نظنّ أننا نرتجي خلاصنا من الغرباء، ونسينا أن الحنان الحقيقي يبدأ من الداخل.. من تلك الزاوية الصغيرة جداً في أرواحنا، التي تحتاج أن نحتضنها نحن قبل أن نمد أيدينا للعالم.

نبحث عن الحنان في وجوهٍ غريبة، نختبر طُرقات العابرين وكأننا نتسوّل دفئاً يكفي لشفاء جرح قديم، أو يملأ فراغاً خلّفه حبّ ناقص، أو طفولة افتقدت حضناً آمِناً.

لكن الأصعب من ذلك.. كيف نعيش دون أن نتسوّل الحنان من الآخرين..؟

ومع ذلك، يظل الإنسان، مهما بلغ من العمر، يحتاج إلى لمسات حنان تدثّر قلبه، وتطمئن روحه، وتبعث السكينة داخله.

يحتاج إلى من يحتضنه ويبعثر قسوة أيامه الماضية، ويحتضنه فقط.. بكل حب وخوف من أن يمس قلبه أي أذى.

الحقيقة أننا حين نتعلم كيف نكون الحضن الأول لأنفسنا، نصبح أقوى، أصفى، وأكثر اتزاناً.

وحين نزرع الحنان في داخلنا، لا نعود نلهث خلفه؛ بل نلتقيه فينا أولاً، ثم فيمن يستحقون أن يشاركوا قلوبنا دفء الوجود.

ختاماً: لا تنتظر الحنان من العابرين، لا تطلبه من أيدٍ قد تنسحب في لحظة غياب، أو قلوب قد لا تعرف معنى الاحتواء.

كُن أنت وطنك، حضنك، ودفء لياليك الباردة.

حين تحتضن ذاتك، تصبح كل الطرقات مضاءة بحنانك، ولست بحاجة لعابرين.

حين تقسو الحياة.. تفتح الأعين من جديد

للكاتبة: فاطمة عثمان

لم أكن يوماً قاسية، لكنني لم أكن واعية بما يكفي.

كنت أعيش كما يعيش كثيرون: نحب من حولنا، نساعد من نحب، نمدّ يد العون لمن تربطنا بهم صلة، وكأننا نختار من يستحق أن نراه إنساناً.

(رييكا) تلك الفتاة التي كانت تعمل في بيتنا، كانت قريبة من قلبي، شجّعتها على الدراسة، رافقتها للامتحانات، ساعدتها كأنني أقوم بواجب إنساني نبيل.

لكنني بصدق، لم أفكر يوماً كيف كانت تشعر..؟ كيف كانت تنام في الليل..؟ كيف كانت تحتمل النظرات الكلمات التصنيفات..؟

لم أرَ المهنة؛ بل رأيت الوظيفة فقط، لا الإنسان.

ثم جاءت الحرب، وسقط كل شيء، انهارت الطبقات وتفتّتت الصور التي كنا نختبئ خلفها.

وجدت نفسي في الطريق ذاته، أُعامَل كما تُعامَل ملايين النساء الكادحات، كنت أقف في موقع يُمتحَن فيه الصبر وتُجلد فيه الكرامة.

قبل أيام، استفزّتني صاحبة العمل بكلمات صغيرة لكنها كانت كالسكاكين.

لم أردّ عليها فوراً، لا لأنني عاجزة؛ بل لأنني محتاجة -أهلي لا يقصّرون- لأن الإحساس بالمسؤولية أثقل ما يحمله الإنسان حين يفقد وطنه، مهنته، وهويته القديمة.

في اليوم التالي قلت لها بهدوء: "أنا قادرة على أن أتركك في أي لحظة.. ولا أُحسن العمل في طقسٍ استفزازي"

بكيت بعدها، لا من ضعف؛ بل من ثقل الحقيقة، ثم اتصلت بي صديقتي -دكتورة أسنان معروفة في السودان- كانت تملك منصباً وكرامة واسماً، واليوم تعمل بائعة في محل صغير، تُجبر فيه على الإصغاء لعبارات قاسية من عابرين لا يعرفون عنها شيئاً.

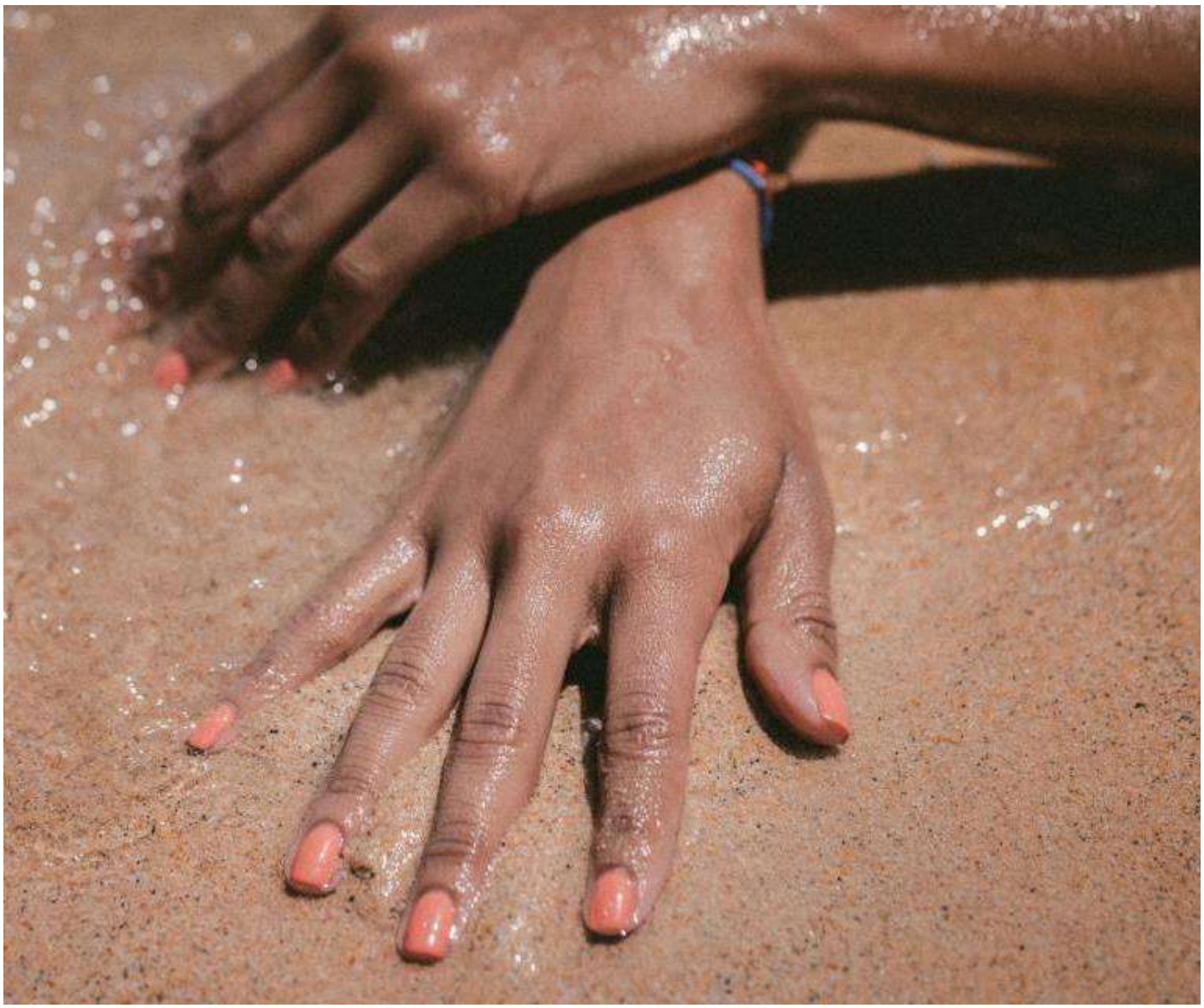

قالت لي وهي تبكي: "كانوا يأتون إليّ بألم في أسنانهم.. واليوم يأتون بألسنة مسنونة"

بكيت معها، استرجعنا أيامنا في السودان، وأحاديثنا عن الأحلام الكبيرة، ثم سكتنا قليلًا حين تذكّرنا كيف صرنا نطوي تلك الأحلام في جيوبنا خجلاً، نعيش كنسخة باهتة من ذواتنا.

في أحد الأيام، قرأت عن دكتورة سودانية نالت الميدالية الذهبية بعد رحلة طويلة من اللجوء والمشقة.

رأيت فيها ظلًّا منّي، ومن صديقتي، ومن كل امرأة كافحت ولم تُكافَأ.

لكن تلك الدكتورة فازت، لا لأنها تفوّقت على أحد؛ بل لأنها انتصرت على الألم، على القهر على الاستسلام.

وقفت في وجه العاصفة.. حتى تكسّرت الرياح.

أما أنا..؟ ربما لم أفز بعد، لكنني صحوت، وبدأت أرى.

وربما لن أنجح في الهروب من هذا الواقع قريباً، لكنني لن أعود كما كنت، لأن الوعي لا يولد مرتين.

ولأول مرة أرى الإنسان في كل من قابلت، وكل من أغفلته عيني من قبل، ولأول مرة بدأت أفهم نفسي.

ماذا لو أصبحت حشرة..؟

للكاتبة: مروة وناسي

لم أكن أدري ماهية الانمساخ حتى اطلعت على قليل مما كتبه (كافكا) العظيم؛ فأدركت أن هذا الشعور مخيف جداً لكنه ما نعيشه اليوم.

هو أطلق عليه اسم الانمساخ الذي أخرجه من هيئة الإنسان إلى هيئة الخضرة، أين أصبح يسبح في اللاوجود واللاوعي بحالته واللا إحساس، وما أعجبني في طرحه أن الإنسان دائماً ما يخرج من طينته وحقيقته ليجد نفسه أمام عالم ربما لا يعرف عنه شيئاً، وهذا ما سميته أنا الاغتراب والغوران والانفلات في حقيقة لا يمكن فهمها.

ما نعيشه اليوم يضعنا على حافة الغربة.

أن نغترب عن أنفسنا في عالم فقدنا فيه الثقة والأمان، فقدنا الاتجاه ومرسى السفينة، فقدنا الحاضر وأصبحنا نتخبط لنجد أنفسنا من جديد، وحجب عنا الماضي؛ فأصبح من المستحيل الاستنجاد به لفهم ما يحيط بنا حالياً.

أعظم هزائمنا اليوم هي الشعور والإنسانية، بدأنا نفكك حتى مسميات: كالأسرة، والأبناء، والمجتمع، والتجمعات العائلية، تعرض كل العالم للتشظي وفقدان الهوية وحتى الانتماء، وحتى الوطن أصبح الواحد منا اليوم غريباً داخل وطنه، لا يدري هل هو إنسان وله حقوق وواجبات، وثواب وأجر، ومكافأة وعقوبة، أم هو منديل على طاولة قديمة بمطعم قديم..؟ مات صاحبه منذ سنوات ونسي أن يكتب المطعم في الوصية حتى يتذكر الورثة الطاولات والمناديل ليقتسموها بيعاً، على الأقل يرتاح الواحد من الغبار الثقيل والأيام الباردة والذكريات المخيفة.

أم أننا أصبحنا ننتمي لنظام بيئي يلبس حاجيات الحيوانات كأن نكون علفاً مثلاً..؟ أو نكون سطل ماء أو حتى حفرة تتجمع بها فضلات الدواب..؟

ماذا لو صدقت فكرة (كافكا) وأصبحنا فعلاً حشرات من نظام مفترس تنتظر دورها، إما تَفترس أو تُفترس..؟! لأنه اليوم حتى قرار الافتراس ليس به خيار.

الظروف والتيه من يتلاعب بكل قراراتنا وأدمغتنا، حتى التفكير أصبح مرهوناً بكف من الخبز، وحفنة من الفاصولياء الجافة التي تتقاتل الحشرات بالآلاف لتجميعها لشتاء طويل جداً.

هل سيأتي يوم لا نتذكر فيه الماضي ولا نجد فيه أنفسنا ضمن قائمة الناجين من الزهايمر وهاجس الوجود..؟!

ماذا لو استيقظت ووجدت نفسك حشرة.. ماذا كنت لتفعل..؟
هل ستموت وأنت تحاول استرجاع هوية إنسان أم ستموت قهراً على ماضي كنت تأكل فيه خبزاً وزيتا لتجد أنك ورقة رعب واحدة كافية لتشبعك سنوات..؟

الغدر المعسول

للكاتبة: لما عزالدين

بينما نستلقي على راحة الأمان بطمأنينة دون حذر أو قيد، أو حتى توقع أن تخرق رصاصة الغدر وسادة أمننا في صمت الليل حيث الوحدة والسكون.

غدر بمسافة قريبة وبشكل مباشر تصيب الروح وتشخلها ببرق يشقه إلى نصفين: نصف شل من قساوة الموقف، ونصف نزف من ألم الطعنة.

وبين النصفين تنهار الذكريات والسنين والعشرة في دمعة ينفجر منها براكين غاضبة، إلا أنها تعتصر في حنايا الأنفاس بخنقة العتب وبلاغة الصمت.

تصيب شرارة الغدر منتجع الثقة والرفاهية التي شرّعنا أبوابها للغادر، حيث الاسترخاء والأمان في محيطنا، حيث لا يغادر إلا محملاً بودائع المحبة والعطاء.

يأتينا الغدر بهيكل الامتنان والحب، لابساً عباءة البراءة، ومن تحت الرداء بأس الحقيقة الخبيثة.

يأتينا الغدر ممن أحببناهم أكثر من روحنا، ومن أعطيناهم أكثر مما يستحقون وعلى حساب أنفسنا.

وتأتينا الخيانة ممن وثقنا بهم، لصلة قرابتهم وصداقتهم، وممن بحنا في أحضانهم بأسرارنا.. بينما نحن نترقب الطعن من البعيد، من العدو، تأتينا من أقرب القريب.

يدسون عسل كلامهم في خبث أفعالهم، نصدق كل أكاذيبهم بصدق، إلى أن نتهاوى في قاع قبحهم وقساوتاهم، دون رجفة ضمير علينا، وكأننا كنا أعدائهم نتيجة تراكمات من العداوة.

لا ألم يضاهي ألم صلة الغادر بنا، وكيف استغفلنا سنين بالمحبة المزيفة، ونحن صدقنا ذلك الزيف ببراءة.

خريف لأربعة فصول

رواية للكاتب
سمير محمد عالم

صادر عن دار نشر
رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم
بالتعاون مع
الاتحاد العالمي للمثقفين العرب
مملكة السويد

لطلب نسخة ورقية
www.print.sa/bookstore

لطلب نسخة إلكترونية
https://foulabook.com

تتناول الرواية قصة حياة فنان تشكيلي، تبدلت ظروف حياته في سن مبكرة، وظلت الأسئلة تحاصره، والخطايا التي يحاول الهروب منها تطارده.

رواية يشكل فيها الحب والفراق توأمان، ويمتزج الأمل فيها بمرارة الخذلان، والسعادة تحاول أن تجد لنفسها مكاناً في مساحة شاسعة من الظلام، إلا أنها دائماً ما كانت تصاب بالعمى هي الأخرى وتتوه في الطريق.

وأمام قسوة الحياة، يصاب ذلك القلب بالإرهاق ويستسلم؛ ويسقط كتساقط أوراق الخرف، ولكن بعد أن يكون قد غرس المحبة في قلب كل من عرفوه، لينتصر الحب ف النهاية، وتضاء شمعة وفاء على يد امرأة.

حوار ثقافي

أثر الكاتب والأديب في الوعي الإنساني والتطور المجتمعي

إعداد رئيس التحرير
سمير عالم

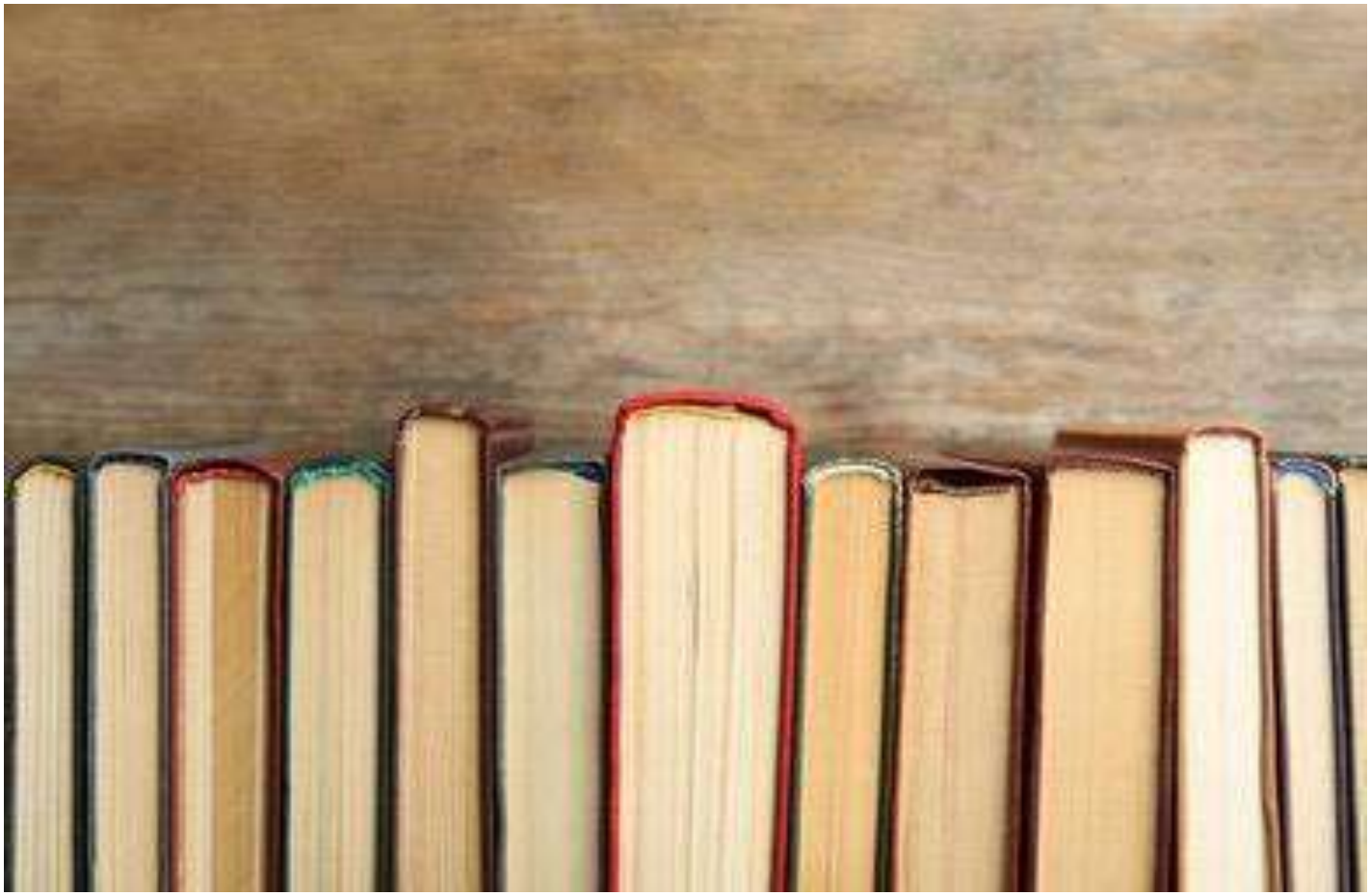

لا شك بأن الكاتب والأديب هما من أبرز صانعي الوعي الإنساني ومحركي التغيير المجتمعي عبر التاريخ.

فمن خلال الأدب، يمكن للكاتب أن ينقل الأفكار، أن يحفز التفكير النقدي، وأن يؤثر في القيم والمعتقدات، ومن خلال النقد والتحفيز يسهم في تشكيل هوية الفرد وبالتالي المجتمع.

فالأديب لا يكتفي برصد الواقع؛ بل يقوم بتفكيكه وتقديم تحليل عميق له، الأمر الذي يساعد القراء على فهم تعقيدات الحياة بكل تفاصيلها الجلية والخفية، سواء الاجتماعية منها أو السياسية وحتى الفكرية.

ففي رواية (الثلاثية) لنجيب محفوظ على سبيل المثال، يلفتنا تصويره للحياة المصرية خلال تحولات القرن العشرين، مبرزاً صراعات الطبقات، الاستعمار، والتغيرات الاجتماعية.

وفي رواية (مزرعة الحيوان) لجورج أورويل -رغم البساطة التي تبدو عليها- إلا أنها تمنحنا تصوراً عميقاً لمشهد كثير التكرار في التاريخ الإنساني.

والكثير منا اليوم يكرر أبيات من قصائد أحمد شوقي ويستشهد بها في مواقف مختلفة، كجزء من الحكمة الإنسانية الصالحة لكل زمن ومع كل جيل.

يعمل الأدب من خلال ما يطرحه؛ إلى تعزيز الوعي الإنساني ويوسّع آفاق القارئ، كما ويعزز التعاطف تجاه قضايا محددة أو فئات مهمشة من المجتمع، ويتحدث بصوتهم وينقل معاناتهم التي قد تكون منسية أو مهملة؛ مما يساهم بشكل غير مباشر للالتفات إلى مشاكلهم، فنجد أن رواية مثل (قتل طائر المحاكاة) لهامبر لي، تتناول قضايا العنصرية والعدالة في أمريكا، وتحفز أجيالاً على مناهضة التمييز العرقي.

وفي العصر الرقمي مع تطور التكنولوجيا، أصبح للأدباء منصات جديدة للنشر، وكثفوا من تواجدهم على هذه

المنصات؛ مما ساهم بشكل كبير في خلق تواصل مباشر بينهم وبين القراء، وذلك عبر استخدام لغة أبسط للتواصل وإيصال الرسائل، إلا أن ذلك قد يخلق مشكلة أخرى تتمثل في البساطة المفرطة في صياغة الأفكار، ومدى إمكانية الحفاظ على عمق الفكرة في ظل التوجه نحو المحتوى القصير والسريع، إضافة إلى ضعف تأثير الكاتب أو الأديب كنتيجة لتخمة النشر التي تعاني منها هذه المنصات، وربما يلجأ الكاتب مدفوعاً برغبته في التواجد والاستمرار والبحث عن مكان له بين حشود الناشطين على وسائل التواصل؛ إلى البحث عما يتناسب وذوق الغالبية من متصفحي هذه المواقع.

الكاتب والأديب هما صوت الضمير الإنساني وقادة التغيير، ومرآة المجتمع، ومن خلال قوة الكلمة؛ يستطيع الأديب إلهام الأفراد، وزرع بذور التغيير، سواء كان ذلك من خلال رواية أو قصيدة تعبر عن آلام الإنسان، فإن الأدب يبقى أداة حيوية لتشكيل الوعي ودفع المجتمعات نحو التطور.

استضافت مجلة القلم عدد من الكتاب لطرح الأسئلة حول الموضوع والوقوف على آرائهم حيال محاور أساسية:

١-رغم وجود أعمال معاصرة جيدة، هل تعاني الساحة الأدبية اليوم -بشكل عام- من ضعف فيما يتم طرحه من أعمال لجمهور القراء، وخلوها من القيمة الفعلية للأدب؟

٢-هل تنازل الكاتب اليوم عن دوره في صياغة الوعي، وتعزيز القيم، مقابل رغبته في التواجد والانتشار وتقديم ما يتوافق مع الذوق السائد لدى فئات مختلفة من القراء، وبالتالي تحقيق أعلى مبيعات ممكنه لمؤلفاته؟

٣-إلى أي مدى ساهمت المنصات الرقمية سلباً أو إيجاباً في تعزيز مكانة الأدب والأديب؟

٤-برأيك ككاتب، كيف يمكن للكاتب استعادة مكانته والعودة إلى ممارسة دوره الإيجابي في قضايا المجتمع؟

وفي ردها على ذلك، تصف الكاتبة السورية غالية حافظ، حالة الضبابية، وتشير إلى بعض التحديات التي تواجه الكتّاب، والتي تختصرها بالقول: "يمكن القول إن الساحة الأدبية المعاصرة تمر بتحولات لافتة، بعضها إيجابي من حيث تنوّع الأصوات وتعدد المنصات، وبعضها يثير القلق من جهة تراجع المعايير الأدبية.

غالية حافظ

"الساحة الأدبية المعاصرة تمر بتحولات لافتة، بعضها إيجابي، وبعضها يثير القلق"

غالية حافظ

غالية حافظ

"الانفتاح كان له آثار سلبية لا يمكن تجاهلها، فقد أدت سهولة النشر إلى فيض كبير من النصوص غير الناضجة"

ومن أبرز التحديات، هيمنة الطابع التجاري، فالكثير من دور النشر تركز على الكتب التي تضمن الانتشار والمبيعات، في حين أنها تستطيع أن تجمع بين الربح التجاري والإبداع الحقيقي وأيضاً بعض الكتّاب.

مع ذلك هناك كتّاب وشعراء وروائيون -شباباً ومخضرمين- لا يزالون ينتجون أدباً رفيعاً يحمل قيمة إنسانية وفكرية.

هناك ضعف وضبابية وحالة من الفوضى التي سببتها وسائل التواصل الاجتماعي؛ أدت إلى اختلاط معايير الأدب الحقيقي، وقد يكون الضعف بسبب الذوق العام للقراء لكثرة ما يعرض عليهم وما تفرضه عليهم وسائل التواصل"

وتتابع غالية حافظ: "في المشهد الأدبي المعاصر، يبدو أن جزءاً من الكتّاب قد انزاح عن دوره الأساسي بوصفه صانعاً للوعي ومرآة للتحولات الفكرية والاجتماعية، إلى دور أكثر تساهلاً يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق التواجد والانتشار.

لكن الأدب الذي يلمس واقع المجتمع ويتناول قضايا الناس من كل الفئات ما زال موجوداً، وهو في الغالب يواجه تحديات للوصول إلى القراء وتحقيق الانتشار والتأثير المرجو من الرسالة القيمة التي يحملها الأدب منذ الأزل.

في هذا الموج العالي من الاصطدامات الفكرية وتهميش الكلمة على حساب المصلحة؛ سنجد أن الوقت حان لإعادة غربلة ما يصنف أنه أدب حقيقي إنساني، وبين ما يصنف أنه مجرد سطور جميلة ترضي بعض الأذواق"

وعن سؤال المجلة حول المنصات الرقمية، تجيب: "المنصات الرقمية، بلا شك، أحدثت تحولاً عميقاً في المشهد الأدبي، وكان أثرها مزدوجاً: إيجابياً من جهة، وسلبياً من جهة أخرى.

إيجابياً: أسهمت هذه المنصات في كسر احتكار النشر التقليدي، ومكنت الكتّاب الشباب من الوصول إلى جمهور واسع دون المرور بالوسائط المعتادة كدور النشر أو الصحف الثقافية.

كما وفرت مساحة للتجريب والانفتاح؛ بل وسهلت شهرة الكاتب ومعرفته بالشكل والفكر؛ فأصبحت المنصات أكثر تفاعلية وفورية، خصوصاً بين الأجيال الجديدة، الذين وجدوا في هذه المنصات مدخلاً إلى عالم القراءة.

لكن في المقابل، كان لهذا الانفتاح آثار سلبية لا يمكن تجاهلها، فقد أدت سهولة النشر إلى فيض كبير من النصوص غير الناضجة، ما خلق حالة من الضجيج الرقمي، وصعب على القارئ التمييز بين الأدب الجاد والنصوص العاطفية السطحية، كما ساهمت خوارزميات هذه المنصات في تعزيز الأكثر رواجاً لا الأكثر جودة؛ مما شجع بعض الكتّاب على مجاراة الذوق العام، ولو على حساب القيمة الفنية أو الفكرية.

في المحصلة، المنصات أداة مرنة إن استثمرت بوعي يمكن أن تكون وسيلة حقيقية لتعزيز الأدب لا تهميشه"

وتختم حديثها بالقول: "لا بد أن يستعيد الكاتب أولاً وعيه بدوره الحقيقي: كصوت ناقد، وملهم، وحامل للمعنى في زمن يفيض بالمعلومات ويعاني من نقص في الحكمة.

لنعد إلى القضايا الجوهرية التي تمس الإنسان والمجتمع، سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، أو أخلاقية.

فحين يعيد الكاتب ربط أدبه بنبض الحياة الواقعية ويكتب بلغة صادقة بعيداً عن المجاملات والمصالح؛ تكون كتاباته كصوت نداء عالي ينير، ويهز، ويحرك الوعي، مع مراعاة الأسس والقيم الأخلاقية للبيئة التي يعيش فيها.

وفي ظل التحول الرقمي، على الكاتب أن يحسن استخدام المنصات الحديثة، لا لينافس على (الترند) بل ليقدم محتوى هادف بأسلوب معاصر، يدمج بين قوة المعنى وجاذبية التقديم بما يناسب فكره واهتماماته الأدبية وعلمه.

في الختام أود أن أقولها بصوت عال، أيها الكاتب، أنت أولاً وآخراً إنسان لك مشاعر وأفكار، دعها تتنفس بصدق ودع ما في داخلك يصل للناس بأجمل صورة، لا ضرر من المحاولات، فالطرق كلها للكلمة والقيمة الفكرية والمشاعر الإنسانية"

ومن جانبه يؤكد الكاتب والروائي السعودي عبدالله النصر، على أن القيمة ما زالت موجودة، وأن هناك أصوات جديدة تطرح قضايا مهمة، وان الإشكالية تكمن في وجود القارئ القادر على اكتشافها: "الساحة الأدبية اليوم لا تعاني من ضعف مطلق؛ بل من تحديات أبرزها طغيان السوق وسهولة النشر، مما أدى لانتشار أعمال سطحية.

ومع ذلك، هناك تنوع وإبداع حقيقي، وأصوات جديدة تطرح قضايا مهمة، لكنها قد لا تظهر بسهولة وسط الزخم.

عبدالله النصر

القيمة ما زالت موجودة، لكن اكتشافها يحتاج قارئاً واعياً وسط هذا الفيض من الإصدارات.

وحول سؤال المجلة عن تنازل الكاتب عن دوره، يرد النصر: "لم يتنازل جميع الكُتّاب عن دورهم في صياغة الوعي وتعزيز القيم، لكن بعضهم فعل ذلك تحت ضغط السوق والرغبة في الانتشار.

فئة من الكتّاب باتت تكتب وفق الذوق السائد لتحقيق مبيعات، حتى لو كان ذلك على حساب العمق.

في المقابل، لا يزال هناك من يوازن بين القيمة والانتشار، أو يتمسك بدوره التنويري ولو قل جمهوره.

كما أن مفاهيم الوعي نفسها تتغير، ويُعبر

عبدالله النصر

”

هناك أصوات جديدة تطرح قضايا مهمة، لكنها قد لا تظهر بسهولة وسط الزخم

“

عنها اليوم بطرق مختلفة قد لا تدرك قيمتها فوراً.

بالتالي، التنازل عن الدور ليس ظاهرة عامة؛ بل خيار فردي في مشهد أدبي متنوع ومعقد"

ويضيف: "المنصات الرقمية أثرت على الأدب بشكل مزدوج.

إيجابيا: وسّعت انتشار الأدب، وسمحت بظهور مواهب جديدة، وسهلت تواصل الكتّاب مع القرّاء، وفتحت المجال لأجناس أدبية متنوعة.

سلبياً: كثفت الأعمال الضعيفة، وشجّعت الكتابة السريعة، وساهمت في تسطيح الذائقة، وأضعفت العائد المادي للأدباء.

إذاً.. هي أداة فعالة لكنها سلاح ذو حدين، وقدرتها على تعزيز مكانة الأدب تعتمد على وعي المبدعين وطريقة الاستخدام"

وينهي حديثه مطالباً الكاتب بتجاوز الفقاعات الرقمية، والتفاعل الحقيقي مع القراء: "يمكن للكاتب استعادة مكانته من خلال دمج الفن بالرسالة دون مباشرة، وطرح القضايا بأسلوب إنساني جذاب.

عليه أن يتجاوز الفقاعات الرقمية بالتفاعل الحقيقي مع القراء، ونشر مقالات وقصص تصل إلى فئات واسعة، خاصة الشباب.

كما يمكنه التحالف مع قوى التغيير عبر الأدب التطبيقي، والمشاركة في ورش وفعاليات تخدم قضايا المجتمع.

ويجب أن يقاوم تسليع الثقافة بالنشر المستقل والحفاظ على صدقه الفني، دون مجاملة للسوق أو السلطة.

الأهم: أن يكتب ليكشف الواقع لا ليعظ، فالأدب الحقيقي يغير بعمق، لا بضجيج"

وتتفق الكاتبة المغربية سارا حميمون، على وجود أقلام قادرة على الغوص في الوجع الإنساني، إلا أن الساحة الأدبية تعاني من خلل في المعايير: "السؤال هنا لا يقاس بعدد الإصدارات؛ بل بما تخلفه هذه الإصدارات من أثر، وبمدى قدرتها على تجاوز اللحظة إلى العمق، وعلى ملامسة الجوهر لا السطح.

نعم، هناك أقلام تبدع وتجتهد وتغوص في الوجع الإنساني بأسلوب فني رفيع، غير أن الساحة في مجملها تعاني من اختلال في المعيار واختزال للأدب فيما هو عابر وسهل، خصوصاً أن في زمن التسارع الرقمي تراجعت القيمة الفعلية للأدب، وأضحى يقاس نجاحه بعدد الإعجابات في مواقع التواصل لا بالبصمة التي يتركها النص في ذهن القارئ؛ فتحول في بعض نماذجه إلى سلعة لا إلى رسالة"

وتواصل حميمون طرح وجهة نظرها بالقول: "برأيي كثيرون هم الذين كتبوا، لكن القليل منهم من حافظوا على شرف الكلمة ونبل الرسالة.

للأسف في زمن تصدرت فيه وسائل التواصل الاجتماعي المشهد، وقع بعض الكتاب في فخ (رغبة اللحظة) باحثين عن الشعبية، الشهرة، ومتنازلين عن الضمير الإبداعي؛ فصار الكاتب مؤثراً لا مفكراً، ويعتبر ذلك خيانة لمقام الكاتب.

نعم، هناك من لا يزال يقاوم، يكتب بمداد المسؤولية لكنهم أقلية في زمن السطحيات والمظاهر"

عبدالله النصر

> على الكاتب أن يتجاوز الفقاعات الرقمية بالتفاعل الحقيقي مع القراء، ونشر مقالات وقصص تصل إلى فئات واسعة، خاصة الشباب

سارا حميمون

> كثيرون هم الذين كتبوا، لكن القليل منهم من حافظوا على شرف الكلمة ونبل الرسالة

وحول سؤال المجلة ترد: "صحيح أن المنصات الرقمية قدمت مساحات واسعة للتعبير وهذا شيء جيد، لكنها في المقابل أعادت تقديم مكانة الكاتب بشكل مقلق.

فمثلاً هناك بعض الكتاب صعد نجمهم فقط لأنهم (حاضرون رقمياً) لا لأنهم أعمق رؤية أو أجود كتابة.

فبرأيي ليس كل من كتب يعد كاتباً، الكاتب الحقيقي لا يرى في الفضاء الرقمي تهديداً؛ بل أفقا جديداً لنقل صوته"

وتنهي حميمون: "استعادة الكاتب لمكانته لن تتحقق إلا بعودته إلى الجذور، إلى الإيمان الحقيقي برسالة الأدب، وأن يكون صوتاً للحق، مرآة للواقع، أملاً للغد.

وألا يجعل من كتاباته لعبة لغوية من أجل الظهور، وهكذا فلن يكون حضوره مرتبطاً بمنصة أو زمن محدد؛ بل سيظل صوته ينساب عبر الأجيال"

كما استضافت المجلة، الشاعر العماني صالح البريكي، والذي يشير من جانبه إلى التهديد الذي تواجهه الساحة الأدبية، كنتيجة للتوجه السائد لدى بعض الكتاب نحو التركيز على جذب القراء بسرعة بدلاً من تقديم أفكار عميقة: "نعم، يمكننا القول إن الساحة الأدبية تعاني من ضعف رغم وجود كتاب موهوبين، وقد يكون توجه أغلب الكتاب نحو إنتاج محتوى سطحي يتناسب مع ذوق الجمهور العام هو أبرز سبب يسلب الأنظار عن الأعمال التي تحمل قيمة أدبية حقيقية.

وكما نلاحظ في الوقت الحالي أن الكثير من الكتاب يتجهون نحو كتابة أعمال تهدف على جذب القراء بسرعة بدلاً من تقديم أفكار عميقة تخدم الساحة الأدبية بشكل عام، وهذا التوجه قد يشكل تهديداً على القيمة الحقيقية للأعمال الأدبية"

ويؤكد البريكي وجهة النظر القائلة بوجود شريحة من الكتاب قد تنازلوا عن دورهم في تشكيل وصياغة الوعي: "بالفعل، كما نلاحظ في الوقت الحالي أن بعض الكتاب قد تنازلوا عن دورهم في صياغة الوعي وتعزيز القيم في سبيل تحقيق أعلى مبيعات، وقد يشعر الكتاب الذين يتبعون هذا التوجه أن عليهم تقديم ما يتوافق مع رغبات الجمهور بدلاً من تقديم أعمال تساهم في حل قضايا اجتماعية أو فكرية مهمة"

ويتابع البريكي: "تأثير المنصات الرقمية على مكانة الأدب يأتي متبايناً.

سارا حميمون

"استعادة الكاتب لمكانته لن تتحقق إلا بعودته إلى الجذور، إلى الإيمان الحقيقي برسالة الأدب"

صالح البريكي

"الساحة الأدبية تعاني من ضعف رغم وجود كتاب موهوبين"

سارا حميمون

صالح البريكي

"يمكن للكاتب استعادة مكانته من خلال التركيز على القضايا الاجتماعية"

نجود أبو شهلا

"هذا العالم السريع يفرض على الكاتب نشر نصوص قصيرة غير مملة؛ مما يشكل عائقاً أمام أنواع معينة من الكتابة"

فمن جهة نرى أن هذه المنصات وفرت فرصاً جديدة للكتاب لنشر أعمالهم والوصول إلى جمهور أوسع؛ مما يعزز من تنوع الأصوات الأدبية.

ومن جهة أخرى، قد تؤدي هذه المنصات إلى تراجع جودة المحتوى بسبب تركيز الكتاب على السرعة والكمية بدلاً من الجودة، كما أن الانفتاح الكبير على المحتوى يمكن أن يؤدي إلى تشبع السوق؛ مما يجعل من الصعب على الكتاب الموهوبين التميز في ظل وجود العديد من الأعمال الأخرى"

ويختم حديثه قائلاً: "يمكن للكاتب استعادة مكانته من خلال التركيز على جودة الأعمال التي يقدمها، وكذلك التفاعل مع القرّاء والالتزام بالقضايا الاجتماعية، ولا بد من التجديد والابتكار والتنوع في أساليب الكتابة"

صالح البريكي

وتعلق الكاتبة اللبنانية نجود أبوشهلا، بأن العالم السريع بات يفرض نمطه السريع على الكاتب، ويجبره على نشر النصوص القصيرة، والتي تشكل عائقاً أمام أنواع من الكتابة حسب وجهة نظرها: "أظن أننا اليوم نواجه الكثير من المشاركات الكتابية التي لم ترقَ لتكون عملاً أدبياً يحمل قيمة بحد ذاته تُوجّه للقرّاء.

هذا العالم الافتراضي وما يرافقه من سهولة نشر أي نص أو مادة دون تقييمها من أصحاب الاختصاص؛ فسح المجال أمام كل طالب شهرة أن يتواجد على الساحة الأدبية؛ مما يساهم في تدني الذوق العام وانعدام الفائدة الحقيقية وتقلّص للدور الفعلي الذي كان يقدمه الكتاب والأدباء.

هذا العالم السريع يفرض على الكاتب نشر نصوص قصيرة غير مملة؛ مما يشكل عائقاً أمام أنواع معينة من الكتابة التي تستطيع اختصارها بنص قصير، وتشكل تحدياً أمام الكتاب الذين لا يستطيعون تقديم فكرة عميقة في جملة بسيطة وهم بحاجة لشرح أكثر لإيصال الفكرة.

والنتيجة قلة قليلة تقدّم قيمة فعلية أمام حشود من مقدّمي الكلام المستهلك دون فائدة"

وتستدرك نجود أبوشهلا: "دعني أخبركم أمراً، إن الحفاظ على القيمة الأدبية بمعزل عن المكاسب والشهرة وفرص الانتشار، هو جهاد ومقاومة صعبة ولا يقدر عليها إلّا أصحاب المبادئ وأولئك الذين لا تعنيهم لا الأرقام ولا الشهرة.

وبالتالي هذه الفئة ليست كبيرة، وهي دائماً في حالة صراع مع الموجود، وعليه لا أستبعد تنازل بعض الكتاب عن دورهم في صياغة الوعي وتعزيز القيم، منساقين خلف (الترند) وساعين لتقديم ما يطلبه الجمهور (الجمهور ذاته الذي يساهم هؤلاء الكتاب ومن سبقهم في تدمير ذوقهم الأدبي)

والدليل على ما أقول، أولئك الكتاب الذين يطرحون موضوعاً دون سواه خوفاً من فقدان شعبيتهم، وتجاهلهم لقضايا جوهرية في شتى المجالات، أو تجاهلهم لأفكار مهمة وتسليط الضوء على المواضيع السطحية التي ترضي الفئة الأكثر انتشاراً."

وتتابع: "راقب معي تهافت بعض الكتاب والشعراء وراء منصات وصفحات وهمية فقط ليحصل على لقب (شاعر أو أديب أو فيلسوف العصر) يوظفه في استقطاب جمهور غالباً ما يكون وهمياً هو الآخر، وستحصل على إجابة لسؤالك.

ستدرك كيف صار الهدف الحصول على معجبين أكثر بمعزل عن المادة المقدّمة.

هذه المنصات الرقمية التي تلعب دوراً عظيماً في حالة الكاتب المحترف صاحب الفكرة المميزة والعميقة، فتسمح له بالوصول إلى الجمهور بشكل أسهل وتعرّف فئات جديدة من المجتمع عليه، تحمل في طياتها دوراً سلبياً في تسطيح وتسخيف القرّاء وتقلل من قيمة الأدب والأديب بشكل عام"

وتختم أبوشهلا، بالإجابة على سؤال المجلة، حول كيفية استعادة الكاتب دوره الإيجابي: "على الكاتب أن يحدد دوره بداية، ويدرك قيمته التي انتزعت منه في ظل هذه الضوضاء، وعليه كذلك أن يحدد الهدف من كتاباته، وليكن الهدف سامٍ حتى يستطيع لعب الدور الأسمى.

نحن ككتاب وكأصحاب فكر وقيم إنسانية علينا قدر المستطاع مواجهة هذا العالم المتوحش، الفاقد لكل عناصر الحياة الإنسانية، هذا العالم الذي يدوس بكل قوته على كل جمالية، يجب علينا محاربته بالفكر والورد والسلام، وذلك عبر التصحيح المستمر لكل خطأ نراه، ورفع الصوت عالياً في وجه كل بشاعة، بدءاً من الكلام السطحي، والكلام المسيء، والمهين، والمحرّض، وصولاً إلى إدانة كل فعل شاذ يخرب المجتمعات.

إن لم يسهم الأدب في تقديم صورة حقيقية عن المجتمع وإن لم يُستغل بكل أركانه

نجود أبوشهلا

نجود أبو شهلا

"نحن ككتاب وكأصحاب فكر وقيم إنسانية علينا قدر المستطاع مواجهة هذا العالم المتوحش، الفاقد لكل عناصر الحياة الإنسانية"

حبيبة غروز

> ”وقع الكاتب في حفرة حفرها بنفسه، عندما قرر تقليص المجهود، والكتابة من أجل الأهواء وتفضيل السوق المتغير“

لارتقائه وتطويره، فهو بالتأكيد لا يلعب دوره الفعلي.

على الكاتب تجاهل الأرقام والشهرة الزائفة، والتركيز على القيمة الفعلية التي لا تموت ولا تضعف مع غياب (الترند)"

وتشبه الكاتبة الجزائرية حبيبة غروز، بعض الأعمال الأدبية بالوجبات السريعة، وتستمر بطرح الأسئلة من جانبها: "بلا شك، ماتزال هنالك أعمال هادفة تنتج، لكنها وللأسف لا تستقطب مثل الجمهور الذي تستقطبه الأعمال التي تفتقر لمضمون وبنية النص الجدي، فقد تراجع الذوق العام في زمن التكنولوجيا والسرعة، إلى تفضيل الأعمال الترفيهية البحتة، دون تسليط الضوء على قضايا مهمة أو أفكار تثقيفية.

حبيبة غروز

ظهرت هذه الأعمال المشابهة للوجبات السريعة على شاكلة نصوص مبتذلة تخاطب جمهوراً يتكاسل عن إعمال عقله، أو على فيديوهات (ريلز) يفقد الجمهور الرغبة بها إن تجاوزت العشرين ثانية.

فماذا عن متوسط صفحات الكتب التي يصل أقلها إلى المائتي صفحة..؟

فإذا كنت أود أن أقرأ عملاً عربياً جدياً، أجد في الساحة أعمالاً تعود لكتّاب عرب وافتهم المنية منذ مدة، ولا أستطيع أن أجد عملاً يستحق إلا بعد بحث طويل ومكثف، ولا يكون على ذات شهرة منافسيه الأقل إحكاماً.

هذا من جهة مؤشر جيد على أنه ما يزال هنالك جمهور غفير من قراء الكتب المحكمة، ولكن لم لا تجد هذه الفئة بالذات مبتغاها من أبناء هذا الجيل..؟

ذلك يجعلنا نتجه لمعضلة التسويق في هذا العصر، واستخدام الوسائل الخاطئة.

وتواصل حبيبة غروز طرح وجهة نظرها، مؤكدة على وجود فئة من الكتاب ممن تنازل عن دوره: "تنازل الكاتب عن دوره في فترة من الفترات، نتج عنها انقلاب الأحوال إلى أن أصبحت إلى ماهي عليه.

فقد وقع الكاتب في حفرة حفرها بنفسه، عندما قرر تقليص المجهود، والكتابة من أجل الأهواء وتفضيل السوق المتغير المفتقر أغلبه للمبدأ، حيث الأغلبية يكتبون من أجل مال وجاه وشهرة، على الرغم من أن الأفكار الهادفة أنبل من أن تباع وتشترى، حتى أمسى بقية الكتاب يعتقدون أن عليهم التماشي مع هذه الموجة، والسقوط في بؤرة التفاهة كي يتمكنوا من

إيصال رسائلهم، لكن القارئ الحق الفطن لا يمكن الوصول إليه من خلال هذه الأساليب"

وتلفت النظر إلى أن مواقع ساهمت بشكل سلبي بإبرازها للكاتب كأيقونة أكثر من إبرازها لما يخط قلمه: "رغم أن المنصات الرقمية جعلت لكل امرئ منبراً -ولو كان غارقه بالجهل- إلا أنها مكنت بعض الكتاب من إيصال رسائلهم، ونيل جمهور لا بأس به.

مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة الانتشار مقارنة بتداول المحتوى الزائف، تمثل هذه القضية تحدياً أخلاقيا للكاتب، إن كان سيستمر على عمله مدة طويلة حتى يثمر صبره، أم يصل بلمح البصر إلى قمة أساسها أجوف.

فالجمهور الجيد -وإن قل- فهو لايزال موجوداً، وراغباً باستماته للتمتع بكتابات حقيقية.

أعتقد أنه من إحدى أهم المشكلات هو تأثير مواقع التواصل في العلاقة بين الكاتب والقارئ سلباً من جانب، حيث إبرازها للكاتب كأيقونة أكثر من إبرازها لما يخط قلمه، فأصبحت الجماهير وكأنها تأله الكتاب وتتخذ آرائهم تعالىماً لشهرتهم، حيث نُسيت الغاية من القراءة وأصبح القارئ يتقمص شخصية الكاتب وأفكاره دون النظر والتدقيق، وتستخدم كتبه وتوقيعاته كرموز يتم التباهي بها، دون الانتفاع بها أو بغايتها الحقيقية"

وفي نهاية حديثها، تقول حبيبة غروز: "لو تمسك الكتّاب أجمعهم بأهمية تقديم النصوص الهادفة، لاضطر الناس للتماشي مع الحركة الفكرية الخيرة.

فالاختلاف في أساليب النشر سببه تفضيل سائد لأسلوب ما، ولو خولف ذلك الأسلوب البعيد عن الثقافة، لما وجد الجمهور شيئاً غيره فاستساغوه مع الوقت.

قد لا يكون سهلاً تغيير التفضيلات السائدة في جموع الناس، لكن التاريخ يبين لنا بجلاء كيف تتغير الأفكار والمعتقدات بمرور الزمن، لتمسي أفكار البارحة مضحكة اليوم، والعكس صحيح.

إن القضية في هذا العصر قضية يستحق النظر مطولاً فيها؛ لإيجاد حل فعال، فما يستهلكه الناس نتاج لأفكارهم، وإذا فسد المستهلَك؛ وأصبحت التفاهة مادة للتعاطي، فلا يمكن للمجتمع أن يتطور، وأن يملك المهارات الفكرية اللازمة لمواجهة الأيديولوجيات المدمرة وحتى اتخاذ القرارات الحياتية البسيطة، فأصل الشرور الإنسانية كلها يعود للجهل، الذي يقود دون هوادة للانصياع لكل ما هو غير خير"

ونختم هذا النقاش، مع الكاتبة والشاعرة السعودية فاطمة المِسك، والتي تشير إلى طبيعة الأدب وقدرته على التجديد وإعادة تشكيل ذاته مع كل جيل: "تعريفاً عن الأدب بدايةً يسعني أن أقول إننا حولَ أكثرَ من تعريف، فكلُّ أديبٍ يراه بشكلٍ مختلف، إذ يقدره بعضهم بميزانِ الجمال الفني، ويراه آخرون مرآةً للواقع، وفي جوهره ذلك الكائنُ الذي لا يستقر على تعريفٍ واحد؛ بل يعيشُ في التأويلاتِ والتجارب المختلفة، وهذا يوصلني إلى ما ذكره (غابرييل غارثيا ماركيز) عندما قال: "الحقيقةُ هيَ أفضلُ شكلٍ أدبي" فهي بوصلةُ الكتابةِ وجوهرُ العملِ الفني وغايته.

وفي الحديث عن التحولات في الأعمالِ

حبيبة غروز

"لو تمسك الكتّاب أجمعهم بأهمية تقديم النصوص الهادفة، لاضطر الناس للتماشي مع الحركة الفكرية الخيرة"

فاطمة المسك

"يتشكلُ الوعيُ الحقيقي في الكتابة عند يقظة القلب والعقلِ معاً، لكنَ ذلك لاَ ينطبقُ على الأدب لأنه يكتب بالقلبِ لا بالعقل"

الأدبية يرى (بورخيس) أن: "الأدبَ العالميَّ حيٌّ وينمو دائماً، مثل الغابات، أي إنه متشابكٌ ويوقعنا في شراكه، ولكنه دائمُ النمو" وهذا يدلُّ على أن الأدبَ مهما اقتربَ من الفُتورِ والضعف إلا أنه يحملُ في عمقهِ بذرةَ التجدد؛ بل ويعيدُ تشكيلَ نفسه مع كل جيل"

فاطمة المسك

وتتابع فاطمة المِسك، في توصيف الأدب، مشيرة إلى أن الأدب يكتب من خلال القلب، لا بالعقل، مستشهدة في ذلك بقول الشاعر قاسم حداد: "يتشكلُ الوعيُ الحقيقي في الكتابةِ بشكلٍ عام عند يقظةِ القلبِ والعقلِ معاً، لكن ذلك لا ينطبقُ على الأدب لأنه يُكتب بالقلبِ لا بالعقل، إذ إن شعريَّةَ النص تتلاشَى كلما اقتحمَ عقلَ الشاعرِ لحظةَ الكتابة، وكما قال الشاعر قاسم حداد في إحدى حواراته: "الأدبُ وليدُ العاطفةِ وليسَ العقل، وليدُ الصورِ التي تتفجرُ في الأعماق حيثُ يكونُ الشخص هناك أكثرَ صدقاً"

أما فيما يتعلقُ بغايةِ الكاتب في الانتشار والشهرة، فأرى أن الكاتب الحقيقي لا ينبغي أن تكون غايته مادية، ولا سعياً وراءَ المجدِ أو الخلود الأدبي؛ بل ينبغي أن يكون سعيه أولاً وأخيراً نحو الحقيقة"

وتضيف فاطمة المِسك: "خلالَ هذه المسافةِ الزمنية التي نقطعها تحت ظلِّ الزمنِ الرقمي، تلاشتِ شيئاً، فشيئاً، تلك العزلةُ التي تحيط بالأدباء والقُراء، وتلاقت أصواتهم بحُريةٍ شبهِ مطلقة.

قد أحدثت المنصات الرقمية أثراً عميقاً في مشهدنا الأدبي، إذ لم يعد الأدب مقيماً بين صفحاتِ كتاب أو صحيفةٍ تُنشَرُ أسبوعيًّا؛ بل أصبحَ جوهراً يتشكَّلُ لحظةً بلحظة.

لكن ومع ذلك كله يسعنِي القولُ إنَّ الأدبَ اليوم باتَ محاطاً بوهجٍ من اللغةِ ورسلها، لكنه في الوقت نفسهِ يتقاطعُ مع ظلالِ التعدِّي وشياطينه"

وتختم وجهة نظرها بالقول:

"أعتقدُ أنَّ من واجبِ الكاتبِ أو الشاعر أن يتناول قضايا المجتمع بشكلٍ مباشر، فالأثرَ الأعمق للأدب غالباً ما يكون غير مباشر من خلالِ اللغة.

نصلُ إلى أنَّ الكتابةَ قد أصبحت فعلَ الاستمرار في الحياة، لا هروباً منها، وهنا يكمنُ دورُ الكاتب، أن يمنح القارئ بلغتهِ فرصةً لرؤيةِ انعكاس ذاتهِ وما حولها، لأن اللغةَ في جوهرها هيَ الأداةُ التي تمنحه مرآةً لروحه"

فاطمة المسك

> ”
> **الكتابةَ أصبحت فعلَ الاستمرار في الحياة، لا هروباً منها، وهنا يكمن دور الكاتب**
> “

خربشات منسية

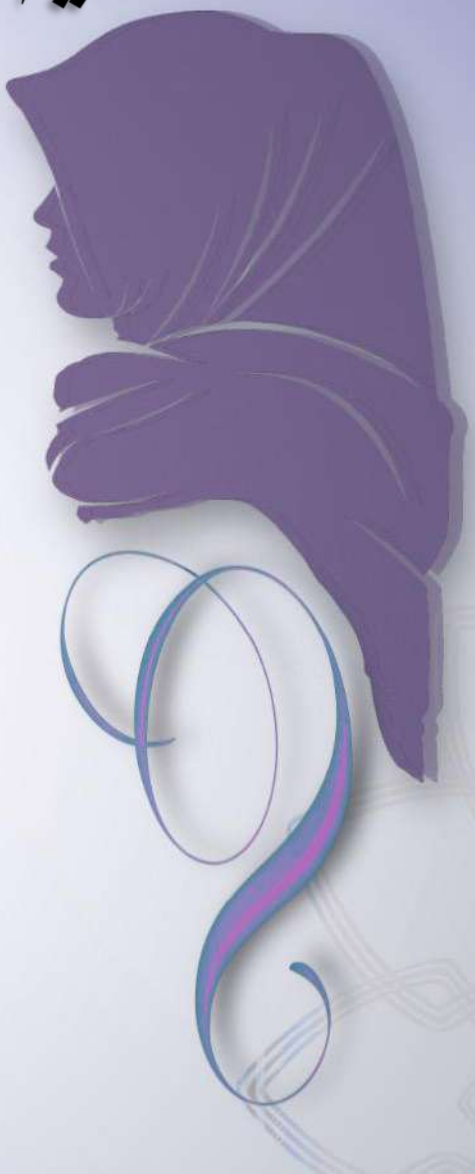

خديعة العبور

زاوية الكاتبة
فاطمة الحوسنية

كان شيئاً لا يزال عالقاً على خيط الوهم، شيئاً من أملٍ وحنين، ممزوجاً بلوعةٍ وألم لا يغادر الذاكرة، متعلق بها كأنها أملهُ الوحيد في البقاء، ينفضُ غبار أمسه كلما اهتزت رياحين ذكراه؛ ليستفيق على وبيصٍ من خيالٍ مدرك، كتابوتٍ لا يُباع فيشتم رائحة الموت، ولا يبقى على أمل الأبدية، معلق بين زيف وحقيقة، صدق وكذب، واقع وخيال.

نحن نتجاوز الألم دائماً بابتسامة المنتصر الجموح، ونتغافل عن الخطايا بصوت البقاء، لننمو بقوة الوعي ولعنة الإدراك.

ولكن يبقى جزء منّا تحت وطأة الخذلان، يسلبنا بهجة الروح، ويقتص منا جميل اللحظات، شيئاً ظنناهُ قد مات فينا دهراً، ولكن في لحظات الألم يستفيق كوحشٍ كاسرٍ بليلٍ مظلم؛ ليخبرنا أنه لا يزال عالقاً في كينونتنا لا يبارح عذاباته، كأنه أزلي خالد فينا يواري نصرنا المهزوم.

نسمعه همساً مع كل تجربة، كمعلم صارم وقور، لا يعتاد الكتمان فيصمت بحكمته، ولا يقوى على الصراخ فتسقط مهابته.

نتجاوز ببصمة الأمل، ونعود بأثر الوجع المدفون فينا.

قد تُنسينا الأيام مرارة اللحظة حتى نعبرها سلاماً، ثم تعود بنا إلى نفس المكان فأي عبور هو ذاك..؟

ليس للخذلان ترياق نسيان، وإن عبرنا به من أعمارنا أياماً وعقود، كطبعة أزلية في تقاسيم الروح، يبقى أثر الألم ومرارة الخذلان، حتى وإن شددنا عروة التغافل وعبرنا به من وهم الزيف إلى نور الحقيقة، ومددنا له ألف فأسٍ نقتطع بها أوصاله، تبقى جذوره الضاربة في رحم الذاكرة، تستفيض فينا غدراً، مع كل بوح خفي.

ملامح النضج في (ممرات بيضاء لغزالة وحيدة)
للقاص كرم الصباغ
الجزء الثاني

دراسة نقدية بقلم الناقد الأستاذ الدكتور

أحمد صلاح هاشم

٦-الألوان مفاتيح المصير

لا يتعامل كرم الصبّاغ مع الألوان بوصفها تزييناً وبهرجة نصية؛ بل مثل شخصيات خفيّة، تعُلن عن النيات، وتبشّر أو تحذرّ، وتحُدِث في المتن حالة من التوتر النفسي، الألوان هنا طيف رمزي واسع المدى، وقد جاءت كثيفة، مدروسة، متعددة السياقات، لتشكل بعداً بصرياً جمالياً يلوّن الحالة السردية كاملة.

الأبيض في هذه المجموعة هو اللون الأكثر تكراراً، لكنه لا يكتفي بالطهارة النمطية؛ بل هو أحياناً خلاص، وأحياناً استسلام، وأحياناً بداية لا نعرف هل هي ميلاد أم كفن؟

في (حبل الراوي): "ملأت صرخات الوليد الدار، فلفتّه القابلة في خرقة بيضاء".

وفي (دهس النعال): "وخرج الرجال فزعين بملابسهم الداخلية البيضاء.. شاهدت الحشود الصيادين القابضين على صيدهم" هنا الأبيض حضور مفاجئ في لحظة الفاجعة، لا يغُطي العري؛ بل يبُرزه، إنه استسلام القطيع، مع انكشاف الجسد، وخضوع المدينة للصيّاد.

وفي (مواقيت): "مشهد كامل: الشتاء، الثلوج البيضاء، الحمار أبيض، جلباب الجد أبيض" هنا الأبيض يستعيد طهراً زمنياً قديماً، كأن الزمن نفسه كان نقيًّا، ثم تلطّخ، الأبيض هنا ليس فقط في الأشياء؛ بل في الإحساس الجمعي.

أما السواد في المجموعة فلا يعبّر عن اللون فقط؛ بل عن ثِقَلٍ معنويٍ كبير، عن الغبار الذي يرافق الأحداث، وعن الخطر الذي لا يرُى.

في (دهس النعال): "أقبلوا من شمال النجع واجمين، مُخلِّفين وراءهم سحابة سوداء من الغبار" السواد في هذا المقطع عالق بالعين والذاكرة والحدث، كأن النص يريد أن يقول إن المأساة لا تأتي وحدها؛ بل يسبقها ظلّها.

وفي (سياج): "قصّت ضفائر شعرها، ولفتها في قطعة قماش سوداء" قصّ الضفائر هنا يمثل رمزاً لتضحيات النساء، والقماش الأسود هو المجهول.

وفي (فيروز تباغت المتن والحاشية) يكتب: "أسرفت في إطلاق عوادمها مكونة سحباً سوداء غشي دخانها وجهه المربد" والرماد هنا يشبه انطفاء البطل، وغرقه في ضجيج المدينة، وتراكم دخان الخيبة على ملامحه.

يلُاحظ أن الأخضر في المجموعة القصصية لا يأتي إلا حيث تكون الحياة ممكنة، أو على وشك التفتّق.

في (قراريط النعناع): "دوائر الخضرة... الوردة ترتدّ إلى نضارتها" الأخضر هنا فعل استرداد: استرداد الجمال، والبراءة، والعمر الضائع.

وفي (سندس الطيبين): "فتى أخضر كالغزلان، ودّ اللهو كسائر الفتيان" يمكن القول إن الأخضر يمثل رائحة شباب جديد، كأن الحياة لا تزال تقبل إعادة التشغيل، ولو مرّة.

وفي (باب غريب): "قرأ أوراد الليل، فصفا قلبه، وتحول الرمل في عينيه إلى مراعٍ خضراء، رتعت فيها غزلان" الأخضر يتحوّل هنا إلى فعلٍ رؤيويّ، تحويل العالم الباهت إلى فردوسٍ مرئي.

أما الأصفر، اللون النادر في المجموعة، فيأتي دائماً كوميض شاحب يخبر بالخطر.

في (شجرة): "أعينهم التي انبعث منها ضوء أصفر شاحب" العين الصفراء لا ترى؛ بل ترُعب، هي كاشفة، فاحصة، لكنها باردة مثل الموت، الأصفر لا يكتمل أبداً في النص، ولا يسطع،؛ بل يرتعش في زوايا المشهد كظلّ تحذير، وهو بالفعل لون قلِق.

في (مواقيت): "خالطت اللطع السوداء يديه، وجلبابه البني، لكنها أخفقت أن تنال من قلبه الأبيض" هنا تناوب لوني بارع، فالبني يدل على الزمن والعرق والتراب، بينما الأبيض يقاوم داخله، في القلب لا في اليد، والأسود يمثل تحديات ومصاعب البقاء حيًّا!

اللافت أن كرم الصبّاغ لا يسرف في ذكر اللون، لكنه لا يذكره عشوائياً، فلكل لون لحظة، وكل لحظة لونية تمُهّد لمصير، أو تلخص حالة نفسية؛ بل إن بعض الألوان لا تذُكر بلفظها، لكنها يستحضرها عبر بوابة الوصف.

- "الركض في ثلج ساكن"
- "ركب جوادًا مغبرًّا كذاكرةٍ متآكلة"
- "ثيابه الصامتة التي تشبه حقلًا شاحبًا" هذه بلاغة الإيحاء اللوني، التي تجسّد ما لا يقُال.

٧-أفق التوقّع وكسر التلقّي ـــ الدهشة بوصفها فخاخ بلاغية

منذ اللحظة الأولى، يدرك القارئ أن هذه المجموعة لا تسُاق بمنطق الحكاية التقليدية، ولا تطُمئن قارئها بنهايات مألوفة؛ بل إن كرم الصبّاغ يبدو كمن ينسج شراكاً سردية دقيقة، كل منها يغريك بالدخول، ثم يفُلت تحت قدميك أرضية التوقع، فتسقط في بلاغة الدهشة أو هاوية المعنى.

هذا الكسر المتعمّد لأفق التوقّع يصنع حالة الدهشة التي لا خير في كاتب إن لم يقترف ذنبها، تقول إن الواقع لا يرُوى إلا حين يفُاجئ، وإن الحكاية لا تصير فنًّا إلا حين تخُاتِل قارئها لتقوده نحو ما لا يخطر على باله.

في قصة (يدها الخضراء) يتوقّع القارئ أن تكون العجوز القادمة إلى البلدة رمزاً للحكمة أو البركة أو الإنقاذ، فكل شيء يوحي بذلك: اسمها، لون يدها، العربة المزدانة، انتظار الناس لها، لكن المفاجأة تأتي صارخة: لا ماء، ولا خضرة، ولا إنقاذ.

"انتظر القوم المطر، فغابت السحب، وتيبّست الأرض، وذبلت الورود التي وُضعت لها" إنها خيبة بلاغية بامتياز، القصة لا تكسر التوقّع فحسب؛ بل تدين القارئ لأنه توقّع، إنها تنتقم من تفاؤليته غير الحذرة، وتعطيه درساً في خيبات الانتظار.

في قصة (بلا جدران) يبُنى التوقّع شيئاً فشيئاً على استعادة الحب، أو انكشاف الحقيقة، أو المصالحة، هناك رجل وامرأة، ماضٍ معقدّ، وتراكم نفسي، وجسدان تائهان، لكن النهاية تأتي مثل ضربة ناعمة:

"بدأ جسدها يتلاشى شيئاً فشيئاً، حتى صار دخاناً أبيض، يشبه تماماً دخان جسده المتبخّر الذي بعثره الهواء" المصالحة لا تحدث، والندم لا يغيّر شيئاً، فالنهاية ليست تصالحاً ولا انتقاماً؛ بل تبخّر، محو، اختفاء.

كأن النص يختار أن ينهي ما لا يفُهم، بالصمت، ولأن مصائرنا جميعا معلّقة بالتلاشي!

و(حبل الراوي) تسير القصة في مناخٍ من التوتر الأبوي، الغيرة، الشكّ، ثم الولادة، فالهدم، وكل ذلك يمُهّد لتوقّع العدالة أو الانتقام أو الاعتراف.

لكن الخاتمة تأخذ شكل رمزية ضاحكة مبكية: "انهارت اللبنات فوق رأسه، بينما الطفلة ترُضع وليداً يشبهه، رغم شكوكه فيه" كأن النص يعاقب مصائر الشخصيات لا لأن شكّه خطأ؛ بل لأنها طبيعة الزمن؛ ألا يبقى معلقا في كنف الانتظار، ولأنه لا ينصف أحداً!

في (قراريط النعناع) على سبيل المثال، ننتظر أن تنتصر العروس الرافضة لزواج مفروض، ننتظر أن تعيش، لكنها تموت، ببساطة.

وتكون المفاجأة أن الرجل الذي رفضته هو من يستُقبلها هناك، في ذلك العالم السماوي الذي لا ذئاب فيه ولا نباح.

"وجدته ينتظرها، باسماً، في دار دافئة لا تطاردها الكلاب"

وهكذا، يكسر النص توقع الانتصار الأرضي ليمنحنا تعزية سماوية، كأن الحياة لا تصُفّي حساباتها هنا؛ بل في طبقةٍ أعلى، أقلّ منالاً، وهو ما يؤكد أن النصوص جميعها مسكونة بالممرات المتوازية، فالأرض والسماء وجهان ناظران، وبينهما الممر الذي يشبه قطاراً يربط بين مدينة وأختها!

في (الحجالة) تكون الأم في مرحلة وسطى بين الحنان والقسوة، الابن يفُلت من رعايتها، لكنه لا ينتقم منها، ففي النهاية "يوغل في فراغ الصحراء، تختلط آثار قدميه بنعال الرعيان، ومخالب الذئاب" لا رجوع، ولا خلاص، ولا مواساة، فقط صحراء جديدة تكُرّر صحراءه القديمة.

والقصة تقول: "ورثت التيه، فامضِ فيه".. وليس ذلك من قبيل (داندية) الكاتب ولا تكبره عن مصائر بقية الناس، إيماناً بأنه غيرهم! لكنها نوع من الاعتراف بواقع مؤلم، وتوثيق لحالة الجمود الإنساني، وخيبة الرهان البشري على الصلاح!

ويكُرّر الصباغ خدعة كسر التوقّع، دون أن تتحوّل إلى تكرار، فكل مرة يأتي الإدهاش من زاوية مستجِدةّ:

- في (يدها الخضراء) من الأسطورة إلى الخذلان.
- في (بلا جدران) من الانتظار إلى التلاشي.
- في (حبل الراوي) من الشك إلى السخرية.
- في (قراريط النعناع) من الرفض إلى التسليم.
- في (الحجالة) من الرحلة إلى التيه.

وهذا ما يجعل القارئ في يقظة مستمرّة، يدُرك أن القصص لا ترُوى فقط؛ بل تدُبَّر بحيلة بلاغية ماكرة، تجعل المفاجأة أكثر صدقاً من التوقّع.

٨-تمثلات الأنوثة

الأنثى في (ممرات بيضاء) ليست واحدة... بل متعددة، متشظّية، لا تحُتوى.. أعزّ من الحصر، وأجلّ من التنميط.

لا يقدمان (المجموعة القصصية وصاحبها) صورة موحّدة للأنثى، وإنما يرسمان طيفاً من التمثيلات النفسية والاجتماعية، يجعل من كل شخصية أنثوية مرآة لموقفٍ أو مصير أو فجيعة، ولا تغيب شمس الأنثى عن كل قصة، لكنها ليست دوماً (الأم) أو (الزوجة) أو (الطفلة) بل قد تكون ظلاً، رمزاً، صوتاً، أو حتى حفرة في الطريق.

الطفلات (على سبيل المثال) في هذه المجموعة كائنات نورانية هشّة، لا تحميهنّ قصصهن من الألم، لكنهنّ لا يزلن يركضن.

في (دماء طازجة): "راحت تركض على غير عادتها بأقصى سرعة ممكنة، بينما راحت الطيور تحلق فوق رأسها".

"البنت تغادر المرعى، وتبتعد شيئاً، فشيئاً، حتى تصل إلى حافّة الربوة"

إنه مشهد هروب صوفي، طفولة تغُتصب برموز، لكنها تهرب نحو الضوء، كأن الجسد لا ينهار بقدر ما يحُلّق.

وفي (حبل الراوي): "الزوجة ترُضع وليداً يشبه الأب رغم تشكيكه"

الزوجة هنا امتدادٌ لذنبٍ لم ترتكبه، وجسر يربط المأساة

بالاستمرار، لا خلاص لها من كونها حلقة في سلسلة الشكّ، رغم طهرانيتها، التي يعاند بها الكاتب الصفاء الإنساني الذي يتعزز رفضه له.

وفي (سندس الطيبين): "الأيتام هررٌ جائعة"... تصبح الطفولة في هذه الصورة جوعاً روحياً لا يسُدّ ، تماماً كالحب في عالم لم يعد يمنح شيئاً مجّانًا.

أما الشابات اللائي لا يحكمن أنفسهن في هذا العالم، تقع عليهنّ نظرات الآخرين كأحكام مسبقة، وأسهم مشرعة.

في (دهس النعال): "انزوى شابان من شبّان النجع، وراحت أعينهما الفضاحة تتفحّص امرأتين بدا عليهما التوتر" لا تقول القصة إنهما مذنبتان؛ بل إنّ نظرات الرجال هي التي تجعل الجسد في حالة دفاع أبدي.

انحيازية للمرأة؟ ربما! لكنها من جهة أخرىٍ نظرة تمييزية للفرق بين مقارفة الذنب والاعتراف به.

وفي (مواقيت): "شاب فتِي ينادي الأهالي لبيع أشيائهم"... هنا يتساوق الشاب مع صوت التغيير، بينما تبقى الشابة صامتة، منتظرة، متفرجة من خلف الحكاية.. تأكيد على طبيعة المرأة المفعول بها وليست الفاعلة، المنفعلة بالأحداث المتأثرة بها، غير المؤثرة فيها، وهو نوع من التوثيق وشفافية في الحكي، تقص الواقع بصورته القائمة، لا بهيئته المتوخّاة المتمنّاة!

وفي خضمّ مجتمع لا يرحم الرغبة، تظهر نساء يخترن الترفع لا الانهزام.

ففي (سياج): "قصّت ضفائرها ولفتها في قطعة قماش سوداء، وأرسلتها إلى أخيها" هذا الفعل ليس هروباً من الأنوثة؛ بل إعلان صامتٌ على أن العفّة قرار، وأن الجسد ملكها فهي تهبه أو تمنع عنه كل أيدٍ متلصصة، ولو من بوابة الشرع، وعبر (ممر) الحلال!

وفي (قراريط النعناع): "العروس التي ماتت قبل أن تعيش عمرها، صعدت إلى دار لا تطاردها الذئاب، ولا تنبح حولها الكلاب" والنص بذلك يتخيَّر مكافأة المتعففة بسماءٍ لا تلُوَّثها النظرات، إنه نوع من التعويض النقدي؛ انتصار في عالم لا يمنح البراءة مكافأتها.

ومع ذلك فلا يفهم أن كل النساء هم محض براءة، إذ ليست كل النساء في هذه القصص طاهرات، فالبشر خطّاؤون، لكن النص لا يدين المرأة، بقدر ما يعرض وجعها وتشتتها.

في (ابنة الحمال): "كواكب، زوجة الأب، ذات الاسم السماوي، تفُرغ شهوتها ولا تنتظر إذناً من أحد" وإذا تركنا دلالة الاسم (كواكب) جانباً، مع إعتامها الجسمي كما هي صورة الكواكب، فهي زوجة أب (كلمة ذات سمعة سيئة في قاموس المقهورين) ورغم اسمها السماوي، فإن في التعبير بـ "لا تنتظر إذنا من أحد" بعد تفريغ شهوتها ما يوحي بالخلاص الفردي من جديد، والمجاهرة، وكسر الصورة الطوباوية لنساء المجموعة.

وفي (بنت الحمال) أيضاً: "صارت تخشى رد فعل لبؤة افتضح أمرها للتو" اللبؤة (كلمة ذات سمعة في غاية السوء داخل القاموس المصري الشعبي) وفي تصويرها الوحشي تجتمع كل من المجاهرة والفتك، مما يمنح الصورة إيغالاً أكثر في زاوية الرمزية المنفِرة.

في (الحجالة): "فقدها ابنها مع موجات طيشها... لا تفسّر القصة العلاقة، لكنها أم حنون، وإن لم تكن في قمة الحنان"

إنها مثال لأم عادية، من جيل ما قبل (السوشيال ميديا) لم تحسن الرعاية، لكنها لم تطُفئ الحنان كليًّا. هذه الصورة تذكّرنا بأن الأمومة ليست يقينا دائما؛ بل تجربة بشرية قد تخُفق، ليس الجميع مؤهلين لأن يكونوا آباء، إنها ليست طبيعة فطرية، وإنما حيّز من الخبرات المكتسبة.

الملاحظ أن السرد حين يقترب من النساء يتغيّر صوته، يصبح أكثر همساً، أكثر احتراساً، ويتخلى الكاتب عن طبيعته الْمُدِينة للبشر بطبيعة الحال المتحاملة/ الْمُحِقّة!

بل إنّ حضور النساء كثيراً ما يأتي محاطاً:

- بالمطر.
- أو بالضوء.
- أو بالصمت.
- أو بالحيوانات الأليفة.
- أو برائحة النعناع.

٩-الوعي أداة لغوية:

تستُخدم اللغة في (ممرات بيضاء لغزالة وحيدة) بوصفها أداة روائية في غاية الخصوصية، إذ تبدو شريكاً في الحكاية، مراقبة للحدث ونبض الشخصيات .

كرم الصبّاغ يرفض أن يكتب بتقريرية تشبه السرد التقريري، أو بمباشرة زاعقة وخطابية سرادقية، لكنه يضُمر داخله حسًّا شعرياً عميقًا، حتى في أبسط مفاصل قصصه، لذلك تبدو اللغة وكأنها تختار التوقّف عند كل مشهد، لتتأمّله، لا لتمضي بسرعة، وهذا ما يضُفي على النص نوعًا من الحسّ التأملي المتوتر، البطيء كصلاة، والعميق كصمت البوح !

ويتكرّر الفعل المضارع في أغلب القصص، وهو تكرار غير اعتباطي؛ بل يؤديّ وظيفة بلاغية دقيقة، لعلنا درجنا عليها في محفوظات وزارة التعليم (التجدد والاستمرار واستحضار الصورة) ويضاف إليها التنقّل بين التكرار والدوام واللحظة الراهنة .

ولأن المجموعة (ممرَّات) فالكاتب يسعى لصنع ممرات لغوية بين نقاط الحاضر القصصي، موافقة أو مخالفة للزمن السردي، بما يجعل الوقت في المجموعة موجيًّا دائريًّا خطيًّا يشبه حركة الإلكترون في موجيته وجُسيميتِّه !

في (مرايا النهار) مثلاً يكتب" :يتحسّس الطريق ...يضرب الرمل بعصاه ...يختلس النظرات "هذا المضارع يجعل القارئ في تماسّ مباشر مع الحدث، كأنّه يشُاهده، لا يقرؤه، ويسمح بأن يتمثل الشخصية بصورة ذهنية مواكبة لوقت القراءة، لا مستعيداً حكاية قديمة، كأنها سوالف الجدات، وهو ما يمنح المجموعة رئة تنفس إضافية، ويعطيها مساحة نضجيَّة مختلفة .

وفي (دماء طازجة)" :تقطف الكلأ، ترفع رأسها، تتابع عنزاتها"

المضارع هنا يخلق توتراً ناعماً، ويحوّل السرد إلى مشهد بصري حيّ، والتوتر مقصود لأنها قبل لحظات الحادثة التي تنتهي باغتصابها، فرفع الرأس ومتابعة العنزات، توحي بالانشغال، والانخراط في البراءة غير المستفزة، بما يزيد الفعل وحشية على وحشيته الأصلية !

كما يتلاعب النص بضمائر السرد بذكاء فني، دون اضطراب، وفي أحيان نادرة، يلجأ إلى ضمير المخاطب، لا ليخاطب القارئ؛ بل ليخاطب الشخصية ذاتها، ويخلق انشطاراً داخلياً.

في (بابك نهر) على سبيل المثال كتب الصباغ" :بابك نهر وأنا الظمآن لمائك السلسبيل "هذا التحول يُنتج نوعاً من الحوار الداخلي المقنّع، حيث تتكلم الشخصية مع ظلّها، أو مع ما تظن أنه (الآخر) تتخذ الشخصية متكأً من نفسها أو شخصية تواجهها، لتفرغ انفعالاتها من جهة، وتستدعي ماهية الأشياء في ثوب الحكاية، فلا ينقص الرتم القصصي، ولا يضعف السرد .
وأغلب الجمل في النص ليست قصيرة، لكنها ليست منبسطة أيضاً؛ بل مشدودة، كأنها تترددّ قبل أن تنطق، تقول نصف المعنى وتترك النصف للهواء" :مع حلول الضحى، استيقظت بناتها الثلاث، وتجمعن بعد فترة وجيزة بجوار السياج، ورحن يسكبن الماء على التراب، فشكلن من الطينة، أمًّا، وأباً، وبنين، وبناتٍ، وعرائس، وساحرة، جنيات، ولصوصاً، وعساكر "إنها جملة تنمو، تتفرّع، ثم تختم بكلمات واحدة متتابعة، تعُيد تخليق العالم كله .

ويلُاحظ أن التكرار في المجموعة لا يسُتخدم لتأكيد المعنى فقط؛ بل ليخلق إيقاعًا داخليًّا، أشبه بالتفعيلة في الشعر .

"هو ابن السماء ...داره الفضاء الرحب ...ظل يهفو إلى السماء ...ظل خمس سنوات أسير الأديم "(خد السحاب)

كما أن للتناص مع القرآن والتراث حضوراً وازناً في المجموعة، باستعارات لا تعُلن عن نفسها إلا بكثير من

التركيز والاهتمام، وبذلك يتكرّر حضور التناص الخفي، دون أن يصُرّح الكاتب به.

(شجرة) في درويش وسندس الطيبين، القصّتان تحيلان إلى عالم صوفي، ينهل من الرؤيا أكثر من الحكمة .

وقصة (حبل الراوي) تبدو كما لو كانت تأملًا وجوديًّا في سخرية الزمن، لا يختلف عن حكايات التراث المأساوي .

ويحسن الصباغ استخدام المجاز والتمثيل، لا يصرخ... لكنه يوجع، كما يستخدم المجاز بهدوء مخيف، لا يصدمك، وإنما يقُنعك في خفة تتسلل بالروح: "العصافير تموء، والنعناع يخُفي خيبته في عتمة الممرات، والماء ينتظر أن يتذكّره الناس" هنا الماء لا يشُرب؛ بل ينُتظر، كأنه شخص حيّ. وللنعناع خيبة.

والعصافير تموء، لا تزقزق.

كل هذه استعارات حيّة، تجعل القارئ يشكّ في تعريفاته، ويقتنع بأن تراسل الحواس قد دخل إلى تراسل الكائنات، والصفات مع الجمادات، فمن قال إن المياه صامتة؟ أو إن النعناع لا يحزن؟ أو إن القصص لا تتنفس؟

وبعد؛

حين بدأنا هذه الدراسة، لم نكن ننشد تحليلاً تقنيًّا يضُاف إلى رفّ النقد ويهُمل على مكتب قديم؛ بل كنا (وما زلنا) نبحث عن اللغة وهي تتنفّس، وعن المعنى حين يصُاب بالرجفة؛ عن القصّ حين يتحرر من أقفاص القوالب، والسماء وهي رحيبة أرحب من حسابات الصيارفة، ومهندسي المساحات.

ومع كل فصلٍ قطعناه، لم نكن نكشف النصّ بقدر ما كنا نكُشف له؛ فمن (ممرات بيضاء لغزالة وحيدة) خرجنا نحمل أثر خطاها، ونسمع في القلب وقع حوافرها المرتجفة.

لقد تبيّن لنا أن هذه المجموعة لا تروى من باب الحكاية وحدها؛ بل تقُرأ عبر بلاغتها، تفُكّ عبر هندستها، وتعُاش عبر لغتها (التي لا خطأ واحداً جاءها عرضاً)

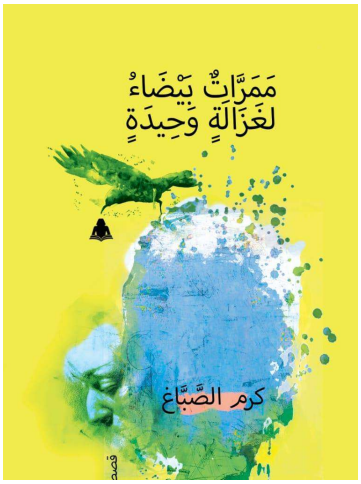

لقد بنى كرم الصبّاغ (أركيولوجيا) سردية للإنسان الممزق، الذي لا يسكن الأرض ولا يتقن الطيران، يعيش وهو يحمل على ظهره ثقل السماء، وفي عينيه وهج الطفولة، وفي صدره صوت الغابة.

يبُنى بهندسةٍ دائرية توحي بالحصار، ويضُيء بالألوان كأنّها شخصيات، ويتكلمّ بالحيوانات كأنّها أرواح، ويكسر أفق التوقع ليقيم مقامه لحظة دهشة صامتة.

أما المرأة، فلم تكن في هذا النص جنساً ولا رمزاً؛ بل كانت أصل الحكاية ومسار الجرح، من الطفلة التي ترعى عنزاتها، إلى الأرملة التي تقاوم النظرات، إلى اللبوءة التي سقطت في لحظة ضعف، دون أن يعقد لها الكاتب محاكمة، أو يضعها في ميزان الحكم الأخلاقي.

وكانت اللغة طيناً وماءً في آنٍ، تمُسك بالمعنى كما يمُسك الحالم بفراشة، مشغولة على نولٍ من التوتر والإيحاء، لا تطُمئن، ولا تسترضي؛ بل تطلب من القارئ أن يكون شريكاً في الجرح، لا متفرجاً عليه.

إن (ممرات بيضاء لغزالة وحيدة) لا تنتهي، لأن الغزالة لم تمُ سك بعد، والممر لا يؤدي إلى بابٍ نهائي؛ بل إلى تماثل جديد من الحيرة والجمال.

ولأنه لا يليق بالناقد أن يكون منحازاً، أو مأخوذاً، ولا متهيبًا.. فإن هذه الدراسة، وإن حاولت أن تضُيء الممرات، لا تزعم الإحاطة بالغزالة؛ إذ تبقى هي (في بياضها، في وحدتها، في جنونها الطفولي) رمزاً لكل ما لم يكُتب حتى الآن!

حوار صحفي مع الكاتبة

فاطمة غوغو

أكتب ولا تنتظر الكمال، يوماً ما ستصل، ثق بقلمك وحدسك.

إعداد
زينب الجهني

في مجلة القلم نسعى دوماً لنشر القصص الملهمة في الوسط الأدبي، ومعرفة البدايات في مسيرة الأدباء، ونولي جُل اهتمامنا لخلق فرصة للإبداع، وتوفير الوقت والجهد لكُتاب الجيل الجديد، ومعرفة جديدهم والخوض في تفاصيل تحدياتهم.

وفي هذا الحوار، نلتقي مع الكاتبة الشابة فاطمة غوغو، ونرحب بها في العدد ١٤، على أمل أن يكون لهذا الحوار أثر في إلهام وتحفيز الجميع.

***لكل كاتب قصة في بداية، يبدأ بها مسيرة كتاباته، فما هي قصة بدايتك، وكيف كانت انطلاقتك؟**

-بدأ ارتباطي مع القلم في المرحلة الثانوية، حيث أنني شخصية صامتة، وجدت في القلم صوتها الوحيد.

فكنت أصف المواقف والمشاعر، وأرتب الكلمات، ومن خلال محاولاتي البسيطة المتكررة؛ بدأت أكتشف نفسي في الكتابة.

> (وللمطر بقية) نافذة لروح فاطمة بكل ما تحمل من مشاعر غزيرة

ثم كنت أعرضها على زملائي، والحقيقة.. أن تشجيعهم هو ما منحني الثقة في قلمي ودفعني للاستمرار.

***من هو الكاتب الذي يلهمك، ولماذا؟**

-لا يوجد كاتب معين بحد ذاته، فكل كتاب أو اقتباس قرأته أضاف بصمة في مسيرتي بشكل أو بآخر، وذلك إما بإلهامي لفكرة جديدة أو مفردات جديدة، أو حملني لآفاق جديدة مختلفة.

***ما هي أكبر التحديات التي تواجهينها ككاتبة؟**

-أكبر التحديات التي واجهتني تمثلت في الإجابة على الأسئلة: كيف أصنع لنفسي حيزاً في عالم يجمع الكثير من الكتب والكُتّاب المخضرمين..؟ هل لكتاباتي معنى..؟ هل ستلامس قلوبهم..؟ هل ستلاقي استحسان القراء..؟

كان الشعور ممزوجاً بالتردد والرهبة أحياناً، وبالثقة والرغبة أحياناً أخرى.

ثم يليه التحدي الآخر، وهو الخوف من عدم وجود ما أكتب عنه، ومهما حاولت مراراً وتكراراً كنت أجد الكلمات عالقة.

***(وللمطر بقية) يبدو عنواناً هادئاً، يحمل الكثير من الأمل والتفاؤل، في هذه السطور أخبرينا بتفاصيل هذا الإصدار.**

-كتاب (وللمطر بقية) عبارة عن نصوص أدبية نثرية سلسة، نافذة لروح فاطمة بكل ما تحمل من مشاعر غزيرة، وبكل ما عاشته أو شاهدته من مواقف وتفاصيل حزينة كانت أو سعيدة.

وسواء كنت تعرف فاطمة أو لا؛ فإن هذا الكتاب بوابة عبور إلى ما بداخلها.

***ما هو مشروعك الكتابي الحالي؟**

-لدي كتابات ونصوص متفرقة أرتبها على

مهل، بإمكاني القول أن هناك مشروع قادم يتشكل بهدوء، وسيظهر في الوقت المناسب بإذن الله.

***كيف طورت مهاراتك في الكتابة في البداية؟**

-للقراءة الأثر الأول والفضل الكبير في تطوير مهارتي الكتابية، وكنت أيضاً أقوم بمراجعة وتنقيح كتاباتي القديمة من فترة لأخرى، فكان لذلك الأثر في صقل مهارتي.

إضافة إلى إنني عندما اقرأ اقتباساً يلامسني؛ أحب أن أعيد صياغته، لا تقليداً، ولكن لأصنع طريقتي الخاصة في الكتابة.

***ما هي الأخطاء الشائعة التي ارتكبتها في بداية مسيرتك الكتابية؟**

-من أبرز الأخطاء التي واجهتها في بداية مسيرتي هي عدم وجود الخبرة أو الدراية كافية بخطوات النشر التوزيع، ولم أتعامل مع دور نشر سابقاً، ولهذا نشرت كتابي في أكثر من منصة؛ مما أثر على انتشار كتابي وعدم وصوله لشريحة أكبر.

أيضاً وقعت في خطأ عدم عنونة النصوص؛ مما أدى إلى صعوبة الانتقال أو التمييز بين نهاية نص وبداية آخر، خصوصاً للقارئ الإلكتروني.

***في نهاية الحوار أستاذة فاطمة، ما هي النصيحة التي تقدمها لكاتب مبتدئ آخر؟**

-نصيحتي لكل كاتب مبتدئ، عدم التوقف عن الكتابة، فهي رحلة طويلة لا نجني ثمارها إلا بالاستمرار في ريها، وأن نصقل مهاراتنا.

أُكتب دائماً ولا تتقاعس لمجرد إنك ترى أن كتاباتك ضعيفة وتحكم على قلمك بالعجز، أُكتب ولا تنتظر الكمال.. يوماً ما ستصل، ثق بقلمك وحدسك.

> ”هناك مشروع قادم يتشكل بهدوء، وسيظهر في الوقت المناسب“

حوار صحفي مع الكاتبة والإعلامية

منال الربيعي

إعداد
زينب الجهني

أختار المواضيع التي تمسني أولاً، والتي أرى فيها بعداً إنسانياً يتجاوز حدود الزمان والمكان.

مرحباً بكم في عالم الكلمات الساحر، حيث تلتقي جذور العراق ولبنان لتزهر إبداعاً لا مثيل له.

نقدم لكم في هذا الحوار قامة أدبية جمعت بين عراقة التاريخ وجمال الحاضر، كاتبة غزيرة الإنتاج، وضعت بجهد بصمات لا تُنسى في عالم الأدب.

إنها رحلة عبر عوالم متنوعة، تنسج فيها الكاتبة خيوط الحكايا ببراعة، وتأخذنا في مغامرات لا تنتهي بين دفتي الكتب.

***في البداية نرحب بك أستاذة منال ضيفة حوار هذا العدد المتجدد من مجلة القلم، وكما نعرف أن للكاتب دائماً محطات مهمة في حياته الأدبية والفكرية، والتي من خلالها سطر بدايته الأولى واكتشف نفسه وموهبته، هل لنا أن نتعرف على قصة المراحل الأولى من حياة منال الربيعي؟**

-شكراً جزيلاً على هذا الترحيب.

بدايتي مع الكلمة تعود إلى سنوات المراهقة، حين كانت الكتابة وسيلتي الوحيدة للتعبير عمّا لا يُقال.

كنت أدوّن انطباعاتي ومشاعري في دفاتر خاصة، ومع الوقت تحوّلت هذه الخواطر إلى نصوص أكثر نضجاً.

تأثّرت كثيراً بما كنت أعيشه وما أراه من معاناة إنسانية حولي، خاصة تلك المرتبطة بالفقد والغربة، ومع مرور الوقت أدركت أن الكتابة ليست مجرد هواية؛ بل ضرورة وجودية بالنسبة لي.

> أؤمن أن الشخصيات أحياناً تقود الكاتب، لا العكس.

***ما هي العملية الإبداعية التي تتبعينها عند كتابة رواية جديدة؟**

-العملية الإبداعية تبدأ غالباً من فكرة صغيرة قد تكون جملة، مشهد، أو حتى انفعال داخلي.

أترك الفكرة تنضج داخلياً قبل أن أبدأ بالكتابة، ثم أضع هيكلاً مبدئياً للرواية، يتضمن الشخصيات الرئيسية وخطوطهم النفسية، إضافة إلى المحاور الأساسية للأحداث.

أحب أن أترك متّسعاً للتطور العفوي في النص، لأني أؤمن أن الشخصيات أحياناً تقود الكاتب، لا العكس.

الكتابة عندي ليست عملية ميكانيكية؛ بل حوار داخلي عميق مع الذات ومع العالم.

***كيف تختارين المواضيع التي تكتبين عنها، وما الذي يلهمك في ذلك؟**

-أختار المواضيع التي تمسني أولاً، والتي أرى فيها بعداً إنسانياً يتجاوز حدود الزمان والمكان، الغربة، الانتماء، الصراعات الداخلية، قضايا المرأة، والحياة في الهامش.

كلها مواضيع أجد نفسي فيها، وأشعر بأن صوتها بحاجة إلى من ينقله.

الإلهام قد يأتي من قصة سمعتها، أو موقف صادفته، أو حتى من لحظة تأمل صامتة.

الواقع هو أكبر ملهم، لكنني أحرص دائماً على معالجته من زاوية إنسانية وشعرية.

***كيف ترين دور الكاتب في المجتمع، وما هي الرسالة التي تحاولين تقديمها من خلال كتاباتك؟**

-الكاتب في نظري هو صوتٌ لما لا صوت له، ليس بالضرورة أن يكون مصلحاً أو محاضراً؛ بل شاهداً على تفاصيل الحياة

التي يتجاهلها الكثيرون.

رسالتي في الكتابة هي الإنصات إلى الإنسان في ضعفه، غربته، بحثه، ومقاومته.

أكتب لأُضيء أماكن الظل، ولأمنح الشعور الإنساني المهمل مكاناً في السرد والوعي.

***ما هي النصيحة التي تقدمينها للشباب الذين يطمحون إلى أن يصبحوا كُتاباً؟**

-أن يقرأوا كثيراً، ويكتبوا أكثر، لكن بصدق.

لا يكتب الإنسان الحقيقي ليُرضي الآخرين أو ليواكب الموضة الأدبية؛ بل ليعبّر عن ذاته بطريقة أصيلة.

النص الحقيقي هو الذي يُكتب من الداخل، لا من الخارج.

وأنصحهم بالصبر، لأن الكتابة نضج وتجربة، وليست سباقًا للنشر.

***هل تقديمك لعدد من البرامج الإذاعية الاجتماعية ساهم بشكل أو بآخر في مسيرتك الأدبية؟**

-بكل تأكيد، العمل الإذاعي ساعدني على تطوير أدواتي السردية، خاصة من حيث الإيقاع، الإيجاز، والانتباه لردّة فعل المتلقي، كما أن البرامج الاجتماعية قرّبتني أكثر من قضايا الناس وهمومهم اليومية، وهو ما انعكس لاحقاً في كتاباتي.

لقد منحتني الإذاعة حساً حياً بالتفاصيل، وبتعقيد العلاقات الإنسانية.

***حديثنا أستاذة منال عن كل إصداراتك الأدبية بشكل مختصر ليطّلع عليها قراء مجلة القلم.**

-رواية (حتى آخر العشق) الجوهر والمضمون: هذه الرواية ليست مجرد قصة حب؛ بل رحلة داخل العشق في أشد لحظاته هشاشة وانكساراً، تسبر الرواية أعماق العلاقات العاطفية حين تُختبر بالخذلان، الغياب، والتضحية من طرفٍ واحد، تتعامل الرواية مع الحب كقوة مؤلمة وجارحة، وتطرح سؤالاً خفياً: لماذا نُصرّ أحياناً على البقاء في علاقة تستهلك أرواحنا؟

”
رسالتي في الكتابة هي الإنصات إلى الإنسان في ضعفه، غربته، بحثه، ومقاومته.
“

الرسالة: الرواية تُظهر أن العشق ليس دوماً خلاصاً؛ بل قد يكون سجنًا نتعلق به بدافع الوفاء، أو هروباً من وحدة أكبر وفي خلفية الحكاية، يلوح صوت المرأة التي تحب بصمت، وتُعاني بصمت، وتختار الرحيل بصمت.

رواية (الخط الفاصل) الجوهر والمضمون: الرواية تذهب أبعد من ثنائية الاختيار والقدر، إنها عن اللحظة الحاسمة التي تقف فيها الشخصية بين هويتها الحقيقية والصورة التي يُراد لها أن تكون عليها، الخط الفاصل هنا ليس مجرد قرار؛ بل أزمة وعي وجودي، تتقاطع فيه الذاكرة، والضمير، والخوف من العزلة.

الرسالة: تكشف الرواية عن التمزق الداخلي بين التمسك بالذات وبين الانصهار في ما يُطلب اجتماعياً أو سياسياً، كل شخصية فيها تمشي على ذلك الخط الرفيع بين البوح والكتمان، بين الجرأة والخضوع، وتحمل الرواية نقداً عميقاً للسلطة، سواء كانت سياسية، أبوية، أو عاطفية.

رواية (موانئ الرحيل) الجوهر والمضمون: هذه الرواية لا تتحدث عن الهجرة كحدث؛ بل عن الرحيل كحالة شعورية عميقة تعيشها الأرواح قبل الأجساد، موانئها ليست جغرافية فقط؛ بل نفسية.

كل شخصية في الرواية تجرّ معها جرحاً ما من مرفأ الطفولة، أو الحنين، أو الوطن المفقود.

الرسالة: الرواية تُعيد تعريف معنى (الوطن) وتُظهر أن الغربة قد تبدأ من الداخل حتى قبل أن تطأ الأقدام أرضاً جديدة

في هذا النص، لا أحد يرحل فعلياً؛ بل الكل عالق بين الضفاف، يتأرجح بين المألوف والمؤلم، والبحث المستحيل عن بداية جديدة.

أحدث رواياتي: عمل يدور حول الهجرة القسرية، والبحث عن وطن بديل، ويتناول بعمق تجربة التيه العاطفي والوجودي التي يعيشها من يُنتزع من جذوره.

***في نهاية هذا الحوار الشيق نترك لك السطور لكلمتك الختامية.**

-أشكر مجلة القلم على هذا الحوار الذي منحني مساحة للحديث عن جزء من رحلتي، وأؤمن أن الكلمة الصادقة لا تموت، وأن الكتابة تبقى ملاذاً ومقاومة في آنٍ معاً.

أتمنى أن تبقى الكتب جسراً مفتوحاً بيننا وبين أعماقنا، وأن لا نتخلّى عن الحلم، مهما تكسّر العالم حولنا.

كما أود شكر رئيس التحرير الأستاذ سمير عالم على متابعته الدائمة للشأن الثقافي العربي، ولحضرتك سيدة زينب على هذا الحوار الشيّق والمفيد، كما أتمنى للقرّاء الأعزاء قراءة ممتعة.

قراءات أدبية

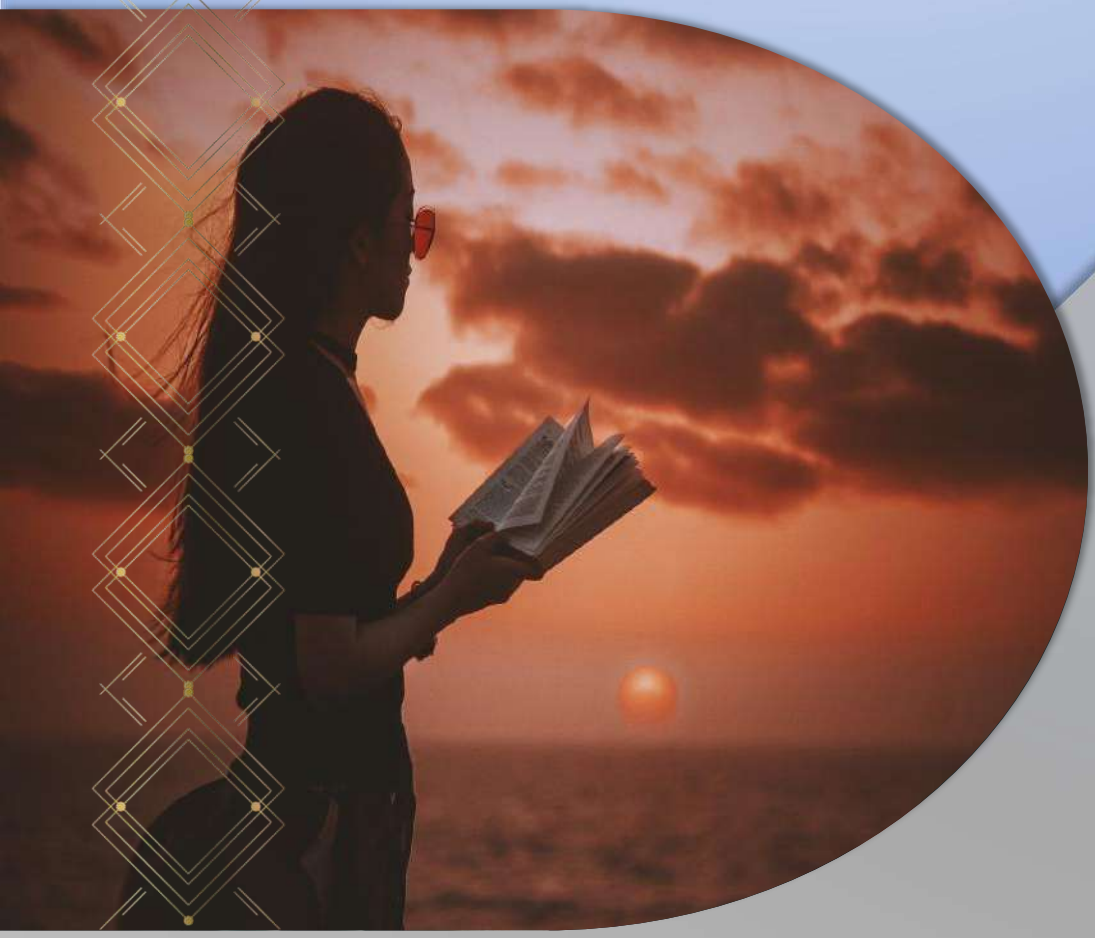

(الغريب) انكسارات الإنسان بين العبث والاغتراب

للكاتبة
تغريد بومرعي

حين كتب ألبير كامو روايته (الغريب) عام ١٩٤٢، لم يكن يقدم مجرّد سرد حكائي عن جريمة أو محاكمة؛ بل كان يرسم خريطةً خفية لوجدان الإنسان الذي يعيش في الظلال المتشققة للوجود.

لم يكن (مورسو) الشخصية الرئيسية، مجرّد بطل روائي جامد؛ بل هو تجلٍّ حيّ لأسئلة وجودية ترفض الحلول الجاهزة.

في سكونه المرعب، في لامبالاته الظاهرة، في مواجهته الصامتة للموت، تكمن الصرخة الكبرى التي أراد (كامو) أن يسمعها العالم: نحن غرباء في هذا الكون، عراة من المعنى، وعلى الرغم من ذلك، لا بد أن نحيا.

ألبير كامو، الكاتب والفيلسوف الفرنسي المولود في الجزائر عام ١٩١٣، لم يكن يكتب من برج عاجي؛ بل من خنادق الحياة والواقع، من قلب المعاناة التي شكّلها فقدان والده في الحرب العالمية الأولى، وطفولته المتواضعة في حي شعبي بقسنطينة، ومواجهته للتمييز الاستعماري الذي خبرته الجزائر الفرنسية.

كان صحافياً، كاتباً مسرحياً، فيلسوفاً لا يرفع لافتة، وشاهداً على تمزقات القرن العشرين.

حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٧، وكان حينها في الرابعة والأربعين من عمره، أصغر من نالها بعد كيبلنغ.

وقد منحت له الجائزة (لإنتاجه الأدبي الهام الذي يضيء بمثالية واضحة قضايا الضمير الإنساني في زماننا) لم تكن هذه العبارة الرسمية كافية لتوصيف عالم كامو، لكنها اقتربت من جوهر ما كتبه: "مجابهة العبث بإرادة أخلاقية، وملاحقة الحقيقة حتى في قلب الظلمة"

رواية (الغريب) هي العمل الأول الكامل الذي قدّمه كامو، وقد حققت نجاحاً فورياً وملحوظاً منذ صدورها.

تبدأ الرواية بجملة صادمة أصبحت من أشهر افتتاحيات الأدب العالمي: "اليوم ماتت أمي.

أو ربما أمس، لا أدري"

من هذه اللحظة، يرسم كامو مساراً مأساوياً لحياة مورسو، المواطن العادي الذي لا يتظاهر بالعواطف ولا يلبّي توقعات المجتمع.

لا يبكي في جنازة والدته، لا يُظهر الحب لامرأة تطلب منه الزواج، لا يشعر بالندم حين يقتل رجلاً عربياً تحت شمس حارقة على الشاطئ.

لكنه يُحاكم لا على الجريمة؛ بل على افتقاده للمشاعر، على خروجه عن الأعراف، على لا انتمائه.

تدور الرواية في الجزائر، في زمن استعمارها من قبل فرنسا، وتبدو الشمس فيها فاعلاً لا يقلّ عن البشر.

حرارة الشمس، انعكاس الضوء، العرق، الملح، كلها تدخل في بناء مشهد القتل المركزي، كما لو أن الطبيعة بأكملها كانت شريكة في هذا الفعل الغامض.

مورسو يطلق الرصاصة، لكنه في الوقت ذاته لا يعرف لماذا فعل ذلك، إنه لا يبحث عن مبرر، ولا يختبئ خلف ذريعة.

يقف عارياً أمام القضاة، أمام المجتمع، وأمام القارئ، في مواجهة وجود عبثي لا يقدم إجابات.

(الغريب) ليست فقط رواية عن الجريمة والعقاب؛ بل عن المعنى والمصير.

كامو لا يقدّم فلسفة العبث كنوع من التشاؤم أو العدميّة؛ بل كنقطة انطلاق نحو الحرية، فالاعتراف بأن العالم خالٍ من المعنى الجاهز هو ما يمنح الإنسان الفرصة لبناء معنى خاص به.

في نهاية الرواية، حين يواجه مورسو حكم الإعدام، لا ينكسر؛ بل يواجه الموت بيقين داخلي لا يتزعزع.

في وحدته النهائية، يكتشف انسجاماً مع الكون، ويشعر لأول مرة بالسعادة.

لقد تقبّل عبث العالم، وتصالح معه.

تحوّلت رواية (الغريب) إلى فيلم سينمائي عام ١٩٦٧، أخرجه الإيطالي (لوتشيانو فيسكونتي) أحد أبرز مخرجي الواقعية الجديدة، وقد أُنتج الفيلم بتعاون بين فرنسا وإيطاليا.

لعب دور مورسو الممثل الأميركي (مارشيلو ماسترويانى) وشاركت فيه ممثلة بارزة مثل (آنا كارينا) تم تصوير الفيلم في الجزائر، مكان الأحداث الأصلي، ما أعطاه مصداقية بصرية وأثراً وجدانياً مغايراً.

عرض الفيلم في مهرجانات دولية، ونال استحسان النقاد بسبب التزامه بالروح الفلسفية للرواية، وقدرته على تجسيد الإيقاع البطيء والغريب لحياة مورسو.

ومع ذلك، لم يحقق الفيلم رواجاً جماهيرياً كبيراً، ربما لأن

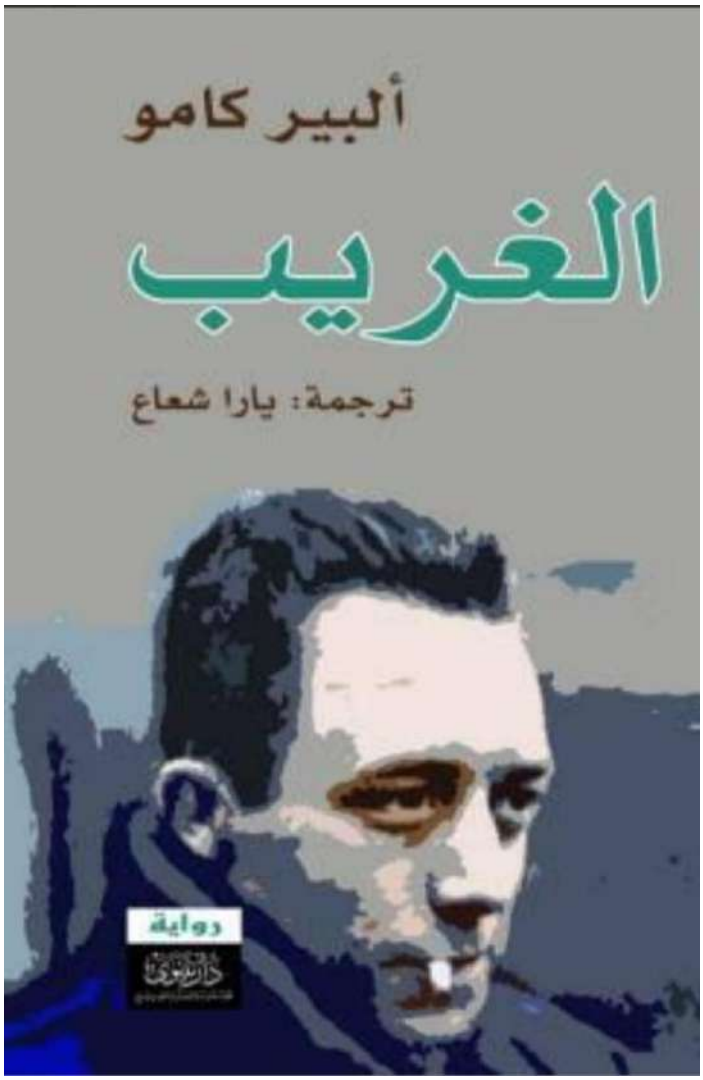

تعقيد النص الفلسفي لم يكن من السهل تحويله إلى شاشة السينما، أو لأن الجمهور كان يطلب سرداً أكثر إثارة وأقل صمتاً.

لكن الفيلم ظلّ علامة فنية تحترم مصدرها الأدبي وتحاول نقله إلى بعد بصري.

رواية (الغريب) تنتمي إلى العالمَين: عالم الواقع الاجتماعي، حيث نشهد حياة الفرنسيين والجزائريين في ظل الاستعمار، وعالم النفس الداخلية، حيث نغوص في شعور بالغربة واللامبالاة.

مورسو ليس رمزاً فقط لشخص متمرد؛ بل لنفس إنسانية انفصلت عن الموروث الثقافي والديني والأخلاقي، هو مرآة للإنسان الذي لم يعد يجد عزاءً في التقاليد، ولا في القيم المطلقة، ولا حتى في فكرة العدالة.

إنه كائن يسير في صحراء المعنى، ويخلق رؤيته الخاصة للحق والباطل.

الغربة في الرواية لا تتعلق بالمكان فقط؛ بل بالزمن، وباللغة، وبالعلاقات.

مورسو لا ينتمي إلى العالم من حوله، ولا يتفاعل معه وفق ما هو متوقع، حتى أثناء محاكمته، يبدو أكثر اهتماماً بالأحاديث الجانبية للحرّاس منه بما يقوله المحامون.

لا يهتم بتبرير نفسه، لأنه يدرك أن النظام القضائي لا يبحث عن الحقيقة؛ بل عن الانسجام الاجتماعي، لذلك، يُدان لأنه لم يبكِ، لا لأنه قتل.

وفي ذلك تكمن سخرية كامو المرّة من المجتمعات التي تهتم بالمظاهر أكثر من الجوهر، وبالشكل أكثر من الفعل.

ولكن رغم قتامة الموضوع، فإن (الغريب) ليست رواية سوداوية، إنها رواية مصالحة مع الحقيقة، مع العبث، مع الألم، ومع الموت.

في لحظاته الأخيرة، يعانق مورسو العالم كما هو، دون تزييف، ويقبل بأن لا شيء يدوم، بأن الحب يتلاشى، وأن الحياة قصيرة، لكن فيها ما يستحق أن يُعاش ولو للحظة واحدة من الصفاء والصدق.

ومن خلال هذه الرواية، استطاع كامو أن يعبّر عن رؤية فلسفية تتقاطع مع أفكار الوجوديين دون أن ينتمي إليهم تماماً.

لقد رفض أن يُوصف بـ(الوجودي) وقال إن العبث عنده ليس نهاية؛ بل بداية، ورأى أن الإنسان، برغم إدراكه لعبث العالم، يمكنه أن يكون حراً ومسؤولاً، وأن يعيش بكرامة حتى في مواجهة العبث.

وفي ذلك يلتقي كامو مع التصوف من جهة، ومع التراجيديا الإغريقية من جهة أخرى، حيث يكون الإنسان سيد مصيره ولو كان المصير هو الموت.

لقد أصبحت (الغريب) رمزاً أدبياً يتجاوز الزمان والمكان، تُدرَّس الرواية في الجامعات، وتُقرأ في صفوف المراهقين الباحثين عن ذواتهم، وتُترجم إلى عشرات اللغات، ويُعاد قراءتها في ضوء أحداث معاصرة.

فمورسو يشبه الكثير من البشر المعاصرين الذين يشعرون بأن العالم لم يعد يعنيهم، وبأنهم يعيشون فيه كغرباء، مطرودين من رحم الطمأنينة القديمة.

ولا يمكن قراءة الرواية دون الإحساس بتأثيرها الشخصي على القارئ، فكامو لا يخاطب فقط العقل؛ بل يوقظ مشاعر دفينة، ويضعنا وجهاً لوجه أمام المرآة، حيث نكتشف غربتنا نحن أيضاً.

إنه لا يقول لنا كيف نعيش، لكنه يدفعنا إلى أن نسأل: لماذا نعيش..؟ وكيف نمنح هذا العدم شيئاً من الجمال..؟

إن (الغريب) ليست رواية للتسلية؛ بل تجربة وجودية كاملة، هي نداء داخلي لمن يجرؤ على النظر في قلب العتمة، ولمن يرفض أن يعيش حياة مزيفة، هي صلاة في معبد الصمت، وصرخة في وجه القوالب الجاهزة، وهمسة في أذن من اختار أن يكون صادقاً مع ذاته، حتى لو كلّفه ذلك العالم بأسره.

(الغريب) بعين البصيرة: حين تنطق الصمت وتبوح العزلة

حين نقرأ (الغريب) من خلال العين الثالثة، لا نرى مورسو

كمجرم ارتكب جريمة عبثية؛ بل ككائن روحي يقف على حدود العالم المادي، مشدوداً إلى صمت كوني يعلو على كل الضجيج.

هذه الرواية، من هذا المنظور؛ ليست سرداً عن لامبالاة؛ بل عن استنارة متوحّشة، عن وعيٍ خرج من قوالب المجتمع ونظر إلى الحياة من علٍ، من حيث تتساوى الأشياء وتنكشف الزيفات.

مورسو لم يكن بلا إحساس؛ بل كان يحيا بإحساس من نوع آخر، إحساس يفيض عن اللغة والعرف.

رفضه للبكاء في جنازة أمه، صمته أمام الحب، قبوله للموت، كلها ليست مواقف عدميّة؛ بل مواقف كاشفة.

لقد اخترق الحجاب، رأى الحقيقة خلف الاستعراض الإنساني: أن الحياة لا تمنح معناها إلا لمن يتجرد منها، أن الخلاص ليس في التبرير؛ بل في التقبّل.

العين الثالثة ترى أن مورسو لم يُعدم لأنه قتل رجلاً؛ بل لأنه تجرأ على العيش خارج الإطار، لأنه لم يمثل الدور المطلوب في مسرح الواقع.

في ضوء البصيرة، الشمس ليست فقط سبباً في القتل؛ بل كائن كوني يحرق الأقنعة ويكشف جوهر الإنسان.

المحكمة ليست فقط مكاناً للفصل؛ بل رمز للسلطة التي تعاقب من يرى أكثر مما ينبغي.

أما النهاية، فهي ليست مأساة؛ بل ولادة: لحظة اتحاد بين الإنسان والكون، لحظة استنارة صامتة في وجه العدم.

هكذا تصبح (الغريب) تجربة روحية، مرآة للوعي المتحرر، ورحلة داخلية نحو الاعتراف بأننا لا نحتاج أن ننتمي لنكون؛ بل أن نرى.. أن نكون حقيقيين.

في النهاية، لا يبقى من مورسو إلا صمته المدوّي، وابتسامته الأخيرة وهو ينظر إلى السماء المليئة بالنجوم، وكأنه أخيراً فهم كل شيء.

عندما تكون الأبوة وطناً بديلاً
قراءة في المجموعة القصصية (نص خارج الرقعة) للأديبة د. خولة سامي سليقة

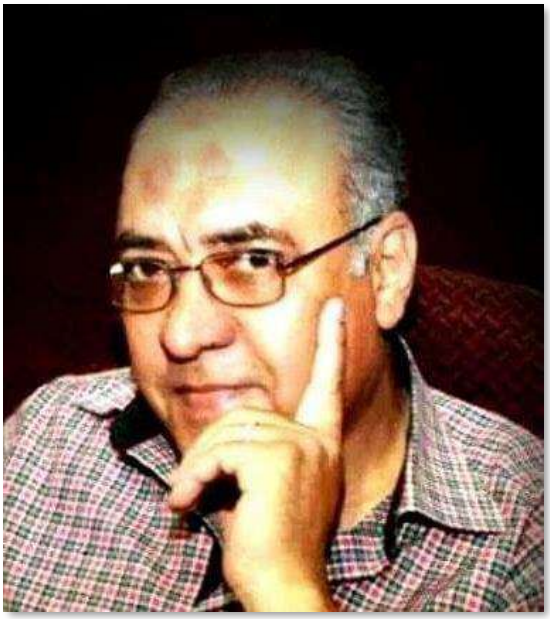

للكاتب
حسام القاضي

قرأت هذه المجموعة أكثر من مرة، وفي كل مرة كنت أتهيب كتابة خواطري عنها، هي عمل غير عادي وإن بدا العكس، وحرت كثيراً كيف أدخل لهذا الكتاب، هذا العالم؛ فلكل كتاب مفتاح ما إن وجدته فُتحت لك كثيراً مما استغلق عليك فيه.

منذ أيام قليلة وجدت المفتاح...

"إنه العاشر من مايو، عاماً بعد عام يتذكر؛ بل يذكّره الريش الذي يتطاير في مشواره اليومي صوب الغابة، يحضّر حقيبته الفارغة ثم يقف قبالة النافذة بكامل حنينه، يفرد جناحيه، ينشد ما حفظه طفلاً في الوطن، مضيفاً كل مرة طقساً جديداً ليحتفل على طريقته باليوم العالمي للطيور المهاجرة"

كان هذا هو الغلاف الخلفي للكتاب، وهو ليس كما اعتدنا نصاً من النصوص داخله، وقد بحثت عنه ولم أجده، حتى اكتشفت أنه اختزال لـ ق.ق.ج بعنوان (فرح مؤجل) وقد أحسنت الكاتبة بهذا إذ بلورت الفكرة، وبذلك خلقت بذلك نصاً جديداً هو روح الكتاب الذي أرادته المبدعة مفتاحاً له، وهكذا عبّرت عنه في هذه السطور القليلة، الموجعة المليئة بالشجن، والحب، والفقد، والحنين.

"..... اليوم العالمي للطيور المهاجرة"؟!

ولأنني أحد هذه الطيور المهاجرة، لذا فأنا أشاطرها بعض هموم الغربة والحنين، هذا وأنا من المهاجرين اختيارياً؛ فما بالنا بالطيور المهاجرة قسراً، لي وطن قد أعود إليه ذات يوم بعد أن لفظتنا المنافي، فكيف بطيور تذوب حنيناً إلى وطن، إلى عش تتهاوى أغصانه عاماً بعد عام؟!

هي إذاً بوح هذا الطائر المغترب اختيارياً حيناً (ثم قسراً بعد ذلك) وما زال ينشد الأمل في العودة إلى عشه الأثير، لو نظرنا إلى قصص المجموعة كلها من هنا، لوجدنا ترابطاً؛ بل وتشابكاً بينها، حتى وإن اختلف المضمون بعض الشيء ستجدها تدور في فلك فقد الوطن والحنين إليه، إلى الأمان، إلى الأب - الذي له عند الكاتبة مكانة خاصة جداً جداً - شلال الحنان الذي لا ينضب، وجبل المسؤولية الشامخ الصلد.

ولذا كان للأب ٣ قصص هن على الترتيب (مرض نادر) و(بابا في الخارج) و(أرجوك توقف عن الحب) هذا الأب الفريد الذي يفيض بالمسؤولية، ولو على بعد آلاف الأميال، يحاول دائماً إيجاد الحلول لكل المشاكل محسناً الظن بالآخرين، وهي تجد في هذا (مرض نادر) ربما تود شفاءه منه.. حسن ظنه اللامتناهي بالأصدقاء وتحمله المسؤولية بهذا الشكل المفرط، حتى أنها ترد على مهاتفته لها، وقبل أن يتكلم هو، لتخبره بأن المشاكل قد حلت تماماً وكم تنبأ هو، لكن عبارتها الأخيرة تفضح كذبها لتريحه من أحمال لا يريد أن يتخفف منها: "تمسح ماء أغرق الخطوط تحت عينيها، تبتلع نشيجها، وتشكر خطوط الهاتف الرديئة جداً"

تشكرها لأنها وارت بسوئها صوتها الكاذب المرتعش.

وفي قصتها (بابا في الخارج) نراها مريضة في مستشفى ببلاد الثلوج (ربما روسيا) ونتيجة لافتقاد لغة حوار مشتركة بينها وبين الممرضة، لذا فهي تفهم من إشاراتها إلى النافذة مع ترديد كلمة (بابا) ومع إيمانها بهذا الأب الأسطوري: "رددت بابا بذهول؟ كيف قطع هذه المسافات الموجعة وطوى البحار؟ متى وأين؟ ومن أوصله إلى هذه الأرض المتجمدة القاسية؟"

وبرغم انتهاء القصة بنهاية صادمة، إلا أنها لا تُغير من إيمان الابنة بقدرات أبيها العظيمة، النابعة عن حنانه البالغ ومسؤوليته النادرة.

ومرة ثالثة في قصتها (أرجوك توقف عن الحب): "الأقسى أنها كوابيس خلقت من أجمل حنين وأمضى غياب، إنه الموّزعُ على امتداد آسيا وإفريقيا وأمريكا وأوروبا، يحرك خريطة الأرض بين أصابعه، يقلب صورنا على محركات البحث الدؤوبة بلا كلل، يفكر في صحة هذا وعمله، جامعة ذاك واختباراته، مشكلة هؤلاء وما يكابدونه في ظل الموت الصامت، خيبات تلك وأحزانها، أوجاع الجميع بلا استثناء"

الأب نفسه هو هو، والابنة المشفقة عليه: "في كل مرة أهاتفه أحبه أكثر وأكثر بلا نهاية، أشفق على أبوته أكثر، على نحول يغزوه بلا يأس، على تلال من الصور لا تبرح بريق عينيه، وأنين يصفر في قطار كلماته القادمة من بعيد"

ثم الختام الرائع: "الهاتف بصوته وصورته عاجز حقاً عن الصدق، يلزمه أن يضيف إلى خدماته الكثيرة احتضاناً خفيفاً، ربما أوشوشُ أبي خلاله: أرجوك... توقف عن الحب"

ثلاث قصص استوقفنني طويلاً، لا بسب المضمون وحده، ولكن بهذا الصدق الذي يشع منهن، وبرغم أنني لست ممن يقفون عند مضامين القصص طويلاً؛ فمعظم الوقت أهتم بكيفية معالجة الكاتب لأفكاره وتقنيات السرد المستخدمة، إلا إن هذه القصص لا يمكن إغفالهن، ولا المرور عليهن مرور الكرام، فهي ملمح هام من ملامح قصص المجموعة؛ فالأب هنا ليس مجرد أب؛ بل هو الوطن لها، لن أقول الوطن البديل؛ بل الأساس، وخاصة بعد أن تحول الوطن إلى أنقاض من شوك.. وطن لا يرحب بعودة طيوره المهاجرة، فلا عجب إذاً أن تعيش هي في قلب أبيها.

والمجوعة تضم خمسة عشر قصة قصيرة جداً، وخمسة وعشرين قصة قصيرة، استخدمت فيها الكاتبة ما يعرف بالراوي العليم الذي - يروي بضمير الغائب - في أغلب قصصها باستثناء عدة قصص كانت بالراوي المشارك - الذي يروي بضمير الحاضر - والكاتبة كما يبدو لا تتعمد

طريقة ما عند كتابة قصة؛ بل تترك القصة تكتب نفسها، ولذا تنوعت أساليب الكتابة بتنوع الأفكار، وتمايزت عناوين القصص وهي هنا موفقة جداً، إذ جاءت مبتكرة غير تقليدية تعبر عن النص لكنها غير كاشفة له، والعناوين هنا متباينة، وكلها تقريباً من داخل القصة لا من خارجها، وهذا يدل على أن القاصة تبدع القصة أولاً، ثم تختار العنوان في النهاية، وهذا مما يحسب لها؛ فهي تترك العنان للقصة حتى تنتهي ثم تختار العنوان، عكس كثير من الكتاب الذين يتخيرون العنوان أولاً، ثم يلوون أعنة القصة لتسير في درب غير دربها الطبيعي لتتوافق مع العنوان، وهم هنا لا يسيطرون على القصة وكثيراً ما تأتي مشوهة بسبب هذا، وتميزت القصص كلها بالبدايات المباغتة دون مقدمات، بالدخول مباشرة إلى قلب الحدث، جاءت القصص القصيرة جداً أو ألـ (ق.ق.ج) قوية باعتمادها على المفارقة في نهايتها (وهي أساس الـ ق.ق.ج) والتي هي لحظة الكشف أو التنوير.

والمجموعة قيمة وكبيرة (أربعون قصة) وصعب أن يحاط بها هكذا، ولكن يمكن اتخاذ القصص السابق الإشارة إليها كنموذج لقصص الكتاب، وهي تبرهن على مدى امتلاك الكاتبة لأدواتها؛ فالقصص الثلاثة تتحدث عن الأبوة، ومع ذلك فكل قصة معالجتها الخاصة المختلفة عن الأخريين، بدايات مختلفة، وكذلك تقنيات السرد المتنوعة، استرجاع زمني (فلاش باك) حوار، مونولوج (حوار داخلي) والقاسم المشترك دائماً هو اقتناص اللحظة المناسبة للقص، والتي هي في أغلب الأحوال لا تكون بالترتيب الزمني المنطقي للأحداث؛ بل هي لحظة ما قبل النهاية، ثم بارتدادات إلى الماضي ثم العودة للحاضر، وهكذا حتى نصل إلى لحظة التنوير ونهاية القصة، وهي تمارس كل هذه التقنيات بمهارة وتمكن، وكذلك الختام الموفق دائماً، مع لغة ثرية غير متكلفة.

وكما أشرنا سالفاً فقد تنوعت الأساليب السردية بتنوع الأفكار، والقاصة غزيرة في أفكارها ومضامينها مع تمكن كبير يجعلها من القليلين الجامعين بين الكم والكيف.

ولم يكن ممكناً ألا نشير للقصة صاحبة عنوان المجموعة (ولو بتصرف في عنوانها من الكاتبة) فالنص الأصلي بعنوان (نصر خارج الرقعة) ونرى فيه ما يفعله القمع العسكري المستبد في المبدعين الحقيقيين المحبين للوطن بأكثر مما يدرك هذا المغرور الجاهل المتعجرف، هذا الكائن ذو الحذاء الضخم الذي يدهس كل شيء في طريقه، ربما إلا الأعداء، فهو لا يرى أبعد من طرف حذائه، ويفترض دائماً أنه العالم بكل شيء، بينما هو أجهل من ذبابة، كل هذا اختزلته الكاتبة في (سطور قليلة) في لقاء يجري خارج الوطن بين هذا وبين مبدعة مرهفة لا يكتفي بعدم معرفته لها؛ بل يتعمد تجاهلها، ربما لأنها ليست ممن يسبحون بحمد الحاكم، برغم أنها تذوب عشقاً للوطن، وهنا أبدعت الكاتبة في عمل هذه المقابلة بين الرهف والإبداع، وبين الجهل والقسوة، ليحقق الأخير نصره ..نصر خارج الرقعة.. رقعة الشطرنج!.. رقعة الميدان!.. أم رقعة الوطن؟! الخيار مفتوح للقارئ ليدلي بدلوه كل حسب رؤيته.

وأخيراً لدى وجهة نظر في ختام بعض القصص، وأرجو أن تتقبلها المبدعة بصدر رحب:

في قصة (مستعجل): "وصوت بعيد ينعي رحيله بعد أن انقلبت الحافلة بمن فيها"

"من المؤكد أن السائق مثله.. مستعجل"

رأيت هنا أن السطر الأخير زائد، فقد بلغ الحدث ذروته قبله، ولا تعقيب بعده.

وفي قصة (ساعة ألم)"..... فتغيم الصور بين الدموع، وتدور ساعة الألم، لتتوقف ساعة القلب"

"ساعة الحب بلا أمل"

وهنا أرى أيضاً أن السطر الأخير زائد، وقد بدا لي أن الكاتبة أرادت بلورة الفكرة من خلاله لتؤكد للقارئ على ما تريد قوله.

وطبعاً هي مجرد وجهة نظر متذوق هاو ولا تخدش جمال العمل.

ما بين انعكاسين
قراءة في قصيدة (انعكاس) للشاعرة اللبنانية رولا ماجد

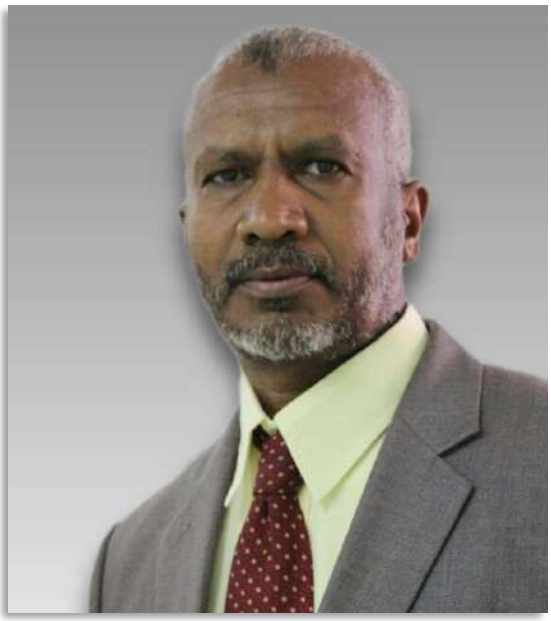

للناقد
طارق يسن الطاهر

تاهَ انعكاسي وفي المرآةِ أفتقِدُهْ
كسرتُ فيهِ اكتمالي علّني أجِـدُهْ
قد كان لي جسدٌ - ما عدتُ أعرفُهُ -
مذ تاهَ فيهِ جَموحاً جانحاً جسدُهْ
ورحتُ أبحثُ في كفِّ المدينـةِ عن
عرّافةٍ أودَعَتْها في الطريقِ يَدُهْ
فـلَمْ أجِدْهـا وظـلَّ التيهُ يتبَعُها
إلى انتظارٍ طويلٍ مَلَّ منهُ غَدُهْ
أظنُّها الروحَ طافَتْ حولَ توأَمِها
أو إنّهُ الغيْبُ في أفيائِهِ مَـدَدُهْ
كـأنّني البحـرُ، لـي غيمٌ أراودُهُ
عطشى، ولي مطرٌ ساهٍ ولا أَرِدُهْ
غَرِقْتُ في دمعةٍ والدمعُ يَغْرَقُ بي
كـأنّني نبعُهُ أو ربّما زَبَـدُهْ
يا ريحُ كمْ مِنْ مَسارٍ للهوى اتبَعَتْ
سحابةُ العمرِ فالأعمارُ تضطهِدُهْ؟
هوَ انعكاسي على الأوراقِ أرهقَني
ولـم أزلْ في مخاضاتِ الأسى أَلِـدُهْ

القراءة: الأستاذة رولا ماجد شاعرة وناقدة وباحثة لبنانية، لها عدة إصدارات، منها مجموعتان شعريتان: عاقر تلد - ثائرة بنبض مصلوب.

وفي النقد لها كتاب بعنوان: انكسار الأنا في رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان.

أما النص - موضع القراءة- فهو بعنوان: انعكاس، وهي عتبة توحي بالكثير الذي يشوّق القارئ لمعرفة ماهية الانعكاس.

انعكاس هو مصدر للفعل الخماسي انعكس، على وزن انفعل، وهذا الوزن يدل على المطاوعة، كسرته فانكسر، عكسته فانعكس، كأنّ شاعرتنا تريد أن تقول لنا إنها كابدت شيئاً ما، لكنه استجاب لها في النهاية.

انعكاس الشاعرة مختلف عن جميع أنواع الانعكاسات، فنظل مع الشاعرة نبحث عن ماهية الانعكاس الذي حدث، ولا يتضح ذلك إلا مع البيت الأخير؛ إذ تظل الشاعرة تجعل المتلقي يتلهف لتحديد ماهيته، فينكشف ذلك في قولها: "هوَ انعكاسي على الأوراقِ أرهقَني.. ولم أزلْ في مخاضاتِ الأسى أَلِدُهْ" قصيدة انعكاس نص دائري؛ بحيث يبدأ وينتهي بنفس الفكرة؛ فالبيت الأول: "تاهَ انعكاسي وفي المرآةِ أفتقِدُهْ.. كسرتُ فيهِ اكتمالي علّني أجِدُهْ" وختمت قصيدتها: "هوَ انعكاسي على الأوراقِ أرهقَني.. ولم أزلْ في مخاضاتِ الأسى أَلِدُهْ" فقد تاه انعكاسها - بدءاً - على المرآة، ثم أوضحت أنّه انعكاسها، لكنه على الأوراق، وهذا يدلل على أن إدمان المرايا، والانعكاس الجسدي لا يشغلانها؛ بل يشغلها أن ترى صورة فكرها منعكسة على الورق، تعبيراً عما بداخلها، فهي شاعرة تكابد مخاضات الكتابة، وترى ذلك ميلاداً منعكساً على الأوراق، ولا غرو أنْ سمّاها جمهورها ومحبوها (الشاعرة الثائرة) فهي لا ترتضي بالنمطي المعهود، وإنما ترمي لما ورائيات الألفاظ باستدعاء ظلالها، واستغلال إيحاءاتها.

جاءت القصيدة على بحر البسيط بتفعيلته المزدوجة: مستفعلن فعلن، مع بعض الزحافات المقبولة والبسيط يمتاز بإيقاعه القوي، وتنوعه، وقدرته على التعبير عن مختلف المشاعر والعواطف والأفكار والأغراض الشعرية.

الروي في قصيدة (انعكاس) هو حرف الدال بصوته القوي الانفجاري المجهور الذي تلاه الضمير الهاء، بقافية مقيدة.

استخدمت الشاعرة التصريع، وهو اتفاق قافية الشطر الأول مع قافية الشطر الثاني، من البيت الأول، كما في: "تاهَ انعكاسي وفي المرآةِ أفتقِدُهْ.. كسرتُ فيهِ اكتمالي علّني أجِدُهْ" كما أن الشاعرة وظّفت الجناس بكل ما يحمل من موسيقا تُمتِع أذن المتلقي، ومن ذلك: الروح، الريح/ العمر، الأعمار / تاه، التيه... وتمكنت الشاعرة من توظيف الحروف المتشابهة أو المتقاربة؛ بحيث تعطي جرساً موسيقياً، ونغماً محبباً، حال تكرارها، ومن ذلك تكرراً حرف السين أربع مرات في البيتين الأول والثاني، والسين حرف صفير وهمس:

تاهَ انعكاسي وفي المرآةِ أفتقِدُهْ

كسرتُ فيهِ اكتمالي علّني أجِـدُهْ

قد كان لي جسدٌ - ما عدتُ أعرفُهُ –

مذ تاهَ فيهِ جَموحاً جانحاً جسدُهْ

استخدمت الشاعرة المصادر بكثرة: انعكاس، وانتظار، اكتمال... كأنها تدعو المتلقي للتركيز على الحدث، دون إلقاء بال للزمن.

دلالياً فقد وظفت الشاعرة المرايا بكل رمزيتها المعروفة في الثقافة العربية، فهي ترمز للحكمة وتقدير الذات، وربما يصل هذا التقدير لمرحلة الغرور والوعي والجمال، ووظيفة المرايا الانعكاس، وهذا ما عنونت به الشاعرة قصيدتها.

والحقول الدلالية تكثر في هذه القصيدة، ومنها، الحقول الدلالية للمرآة مثل: انعكاس/انكسرت... والحقول الدلالية للمياه، وهي: البحر/الغيم/مطر/سحابة... وغير ذلك، أما الصور البلاغية، فقد جاءت عميقة وطبيعية غير متكلفة، واحتشد بها النص كثيراً، رغم قصره، فهو نص في تسعة أبيات فقط.

ومنها الاستعارات المتمثلة في: "ملّ منه غده، كسرت فيه اكتمالي، فالأعمارُ تضطهِدُهْ" ولكنني أتوقف عند صورة مكتنزة بالجمال، وهي الواردة في البيت: "كأنّني البحرُ، لي غيمٌ أراودُهُ.. عطشى، ولي مطرٌ ساهٍ ولا أَرِدُهْ" ففيها تشبيه متميز؛ حيث شبهت الشاعرة نفسها بالبحر، وجاء الأسلوب بذكر ثلاثة أركان وهي: المشبه والمشبه به والأداة، وحُذف وجه الشبه ولكنه يُلمح من خلال الربط بين طرفي التشبيه، فلا يخفى على أحد ما يتميز به البحر من صفات.

وإن كان التشبيه بالبحر صورة تقليدية قديمة، وطُرقت

كثيراً لكنّ تميُّز الشاعرة جاء في أنها أضفتْ عليها بُعداً مختلفاً، ولم تُعِد إنتاج الصورة كما كانت.

فالظمأ يجتاح الشاعرة رغم أنها هي البحر، ولها غيوم حبلى بالمياه، ولها مطر منفلت شارد، ورغم ذلك لا تستطيع وروده.

كذلك ورد الطباق في النص، وهو الجمع بين الكلمة وضدها، ومعلوم أن التضاد يؤدي إلى توضيح المعنى، ومن ذلك: "أفتقده، أجده..." من المعلوم أن التقديم والتأخير من الجوانب البلاغية المهمة التي ترد لأغراض منها الاختصاص أو الاهتمام بالمقدم... وقد وظفت الشاعرة التقديم والتأخير في جوانب كثيرة من النص، ومنها: "لي غيمٌ أراودُهُ، عطشى، قد كان لي جسدٌ" فقد تقدم الجار والمجرور (لي) في كلا الموضعين لغرض الاختصاص.

برز التناص في قصيدة الشاعرة، والتناص – كما هو معلوم- علاقة بين نصين مختلفين، يوظف فيها أحد النصوص جزءاً

من النص الآخر، وهي علاقة تدفع بالشعر للسيرورة والتداخل بين أزمانه وأغراضه، فيمكننا أن نعتبر كل نص هو تناص مع غيره؛ لأن الشاعر حال تلبُّسه بالكتابة يستدعي من مخزونه الثقافي، ومن قراءاته السابقة، واطلاعه القديم دون علمه.

فقد تناصت شاعرتنا مع المتنبي في قوله: "شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي" حين قالت: "غَرِقْتُ في دمعةٍ والدمعُ يَغْرَقُ بي"

تنوعت مواضع استخدام الشاعرة بين الأفعال والأسماء، لكن القصيدة تعتمد على الفعل أكثر؛ إذ بدأت شاعرتنا ستة أبيات من قصيدتها بالفعل، وثلاثة فقط بالاسم، وفي داخل البيت الواحد تجد استخداماً لعدة أفعال كما في البيت الأول مثلاً.

وهذا يعطي النص حركة دؤوبة، ويمنحه ديناميكية عالية جداً؛ لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، خلاف الاسم الذي يدل على الثبوت والاستمرار، فتميزت بتوظيف ذلك، كلٌّ حسب احتياج النص له، فأجادت فيه.

ومن ذلك توظيف الجملة الاسمية في البيت الأخير: "هوَ انعكاسي على الأوراقِ أرهقَني.. ولم أزلْ في مخاضاتِ الأسى أَلِدُهْ"

استخدام الاسم (هو) في هذا البيت ملائم جداً؛ لأنها أرادت أن تحدد ماهية الانعكاس، وتُنهي بحث القارئ عن معرفة نوع الانعكاس بعد طول تشويق امتد لثمانية أبيات.

ديناميكية النص بدت أيضاً جلية في البعد الدرامي القصصي الذي اتسم بها النص، وفي اللهث المستمر وراء معرفة كُنه ذلك الانعكاس: "ورحتُ أبحثُ في كفِّ المدينةِ عن.. عرّافةٍ أودَعَتْها في الطريقِ يَدُهْ"

ثم لم يُجدِ ذلك البحث، فكانت الصدمة: "فلَمْ أجِدْها وظلَّ التيهُ يتبَعُها.. إلى انتظارٍ طويلٍ مَلَّ منهُ غَدُهْ" وُجد التكرار في النص، ولم يكن تكراراً مملاً، رغم أن منه ما ورد في بيتين متتالين، فكان له فائدة مهمة، ومغزى واضح، وهو تأكيد المعنى وتقريره في ذهن المتلقي، ومن ذلك تكرراً كلمة (تاه) وكلمة (جسد):

تاهَ انعكاسي وفي المرآةِ أفتقِدُهْ

كسرتُ فيهِ اكتمالي علّني أجِـدُهْ

الشاعرة رولا ماجد

قد كان لي جسدٌ - ما عدتُ أعرفُهُ -

مذ تاهَ فيهِ جَموحاً جانحاً جسدُهْ

كذلك وظفت الشاعرة الخبر أكثر من الإنشاء، فقد كان ذلك ملائماً جداً؛ لأن المقام مقام إخبار وسرد وحكي ووصف، فمن الجمل الإنشائية القليلة قولها بأسلوب النداء: "يا ريحُ كمْ مِنْ مَسار للهوى اتبَعَتْ.. سحابةُ العمرِ فالأعمارُ تضطهِدُهْ؟" وكم هنا خبرية تفيد الكثرة.

وجاءت بقية القصيدة مستخدمة الأسلوب الخبري.

ختاماً، كنت في سياحة ماتعة، مع نص عميق، لشاعرة متفردة، أرجو أن أكون قد تمكنت من إضاءة بعض جوانبه، وتقريب مغزاه للقارئ، وبيان جزء من جماله.

الفاجعة الشَّخصيَّة ودلالاتها في إبداع فتحي غانم و (كنزابورو أوي)

للكاتب
وفيق صفوت مختار

إذا كان الواقع هو النَّبع الرَّئيس لإبداع الكاتب، بكُلِّ ما يعيشه فيه من تجارب عامَّة أو شخصيَّة، وما يُشاهده من أحداث مُؤلمة أو سعيدة، وما يسمعه من وقائع بسيطة أو مُعقَّدة، ليُشكِّل - كُلُّ ذلك - جانباً من خبراته المُكتسبة، بالإضافة إلى ما توارثه من خبراتٍ مُتنوِّعةٍ، حتَّى تتبلوَّر في النِّهاية، رُؤيته الدَّاخليَّة للحياة والكون من حوله.

من هذا المُنطلق، تعتبر الفاجعة الشَّخصيَّة، بحُكم كونها إحدى مُفردات الواقع نبعاً فرعياً من منابع الإبداع.

وفي اللُّغة العربيَّة يُقال: "فجعه فجعاً" أي آلمه ألماً شديداً، و(أمرٌ فاجعٌ): هو ما (يفجع النَّاس بالدَّواهي)

والدَّواهي هي: (ما يُصيب النَّاس من عظيم نوبة) والنَّوبة هي: (النَّازلة والمُصيبة) والفاجعة هي: (المُصيبة المؤلمة توجع الإنسان بفقد ما يعز عليه من مال أو حميم)

وبهذا تكون الفاجعة الشَّخصيَّة هي ارتباطُها بشخصٍ مُعيَّن من ناحيةٍ ووقع تأثيرها المُباشر عليه من ناحيةٍ أُخرى، ويكون تأثيرها شديد الوطأة، عميق التَّأثير، مُؤلماً أشدّ الإيلام، مُسبِّباً لأشد الأحزان، ويكون العُنصر الحاكم في الفاجعة هو الفقد لما يعز على البشر من ضياع للمال أو فُقدان لعزيزٍ بالموت، أو إصابة عزيز في مبتدأ حياته بمرضٍ مميت.

وعلى ضوء ذلك فقد قد اخترنا الكاتب المصري (فتحي غانم) والياباني (كنزابورو أوي) حيث وقعت لهُما فواجع شخصيَّة نتجت عنها أعمال إبداعيَّة، سوف نُلقي الضَّوء عليها.

نبدأ مع الكاتب المصري فتحي غانم (١٩٢٤ - ١٩٩٩م) الذي صدر له خمس عشرة رواية منشورة، منها: (الجبل، ١٩٥٧م) و(الرَّجُل الذي فقد ظِلَّهُ، ١٩٦١م) و(زينب والعرش، ١٩٧٣م) و(الأفيال، ١٩٨١م) و(ست الحُسن والجمال، ١٩٩١م) بالإضافة إلى أربع مجمُوعات قصصيَّة.

لقد تعرَّض الكاتب لأوَّل حادث موت فاجأه، كان موت الأب حيث كان في الثَّانية عشرة من عُمْره، ثُمَّ كان الحادث الثَّاني هو موت أخيه الأصغر، لكنَّه لم يكن موتاً طبيعيًّا كالأب؛ بل كان حادثاً مُروِّعاً، يقُول عنه الكاتب: "توفي

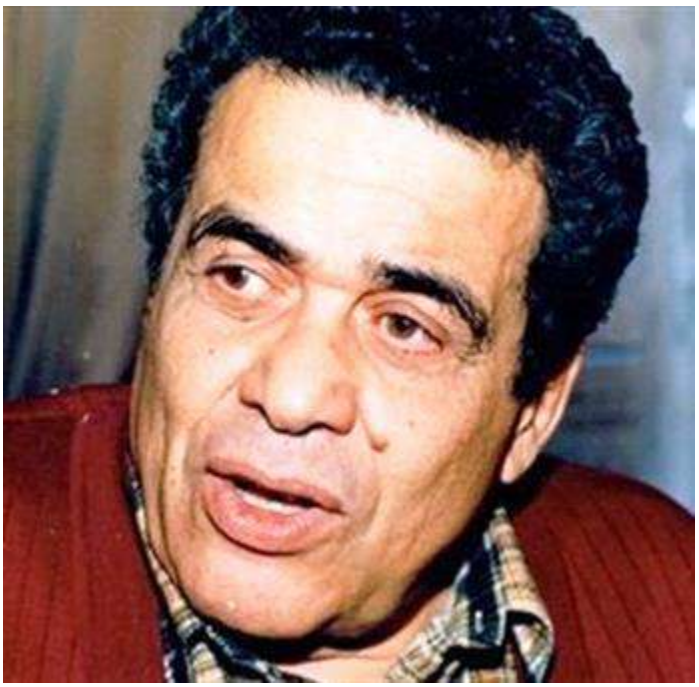

فتحي غانم

أخي في سن التَّاسعة عشرة عام ١٩٤٥م، فقد لقي مصرعه في شارع القصر العيني عندما مرَّت عربة للجيش الإنجليزي تحمل طائرة؛ فصدمه الجناح البارز للطائرة ومات من فوره"

وهكذا ترسخ الخوف من الموت في وجدان فتحي غانم، وسيظلّ شبحه يُطارده سنوات طويلة بعد ذلك.

يقُول الكاتب: "ترتبط الرَّغبة في الكتابة عندي بصورة أبي وهو جالس يكتب، فلعلّ افتقادي له؛ هو ما جعل الكتابة تُمثِّل لي عمليَّة تجسُّد في شخص الأب.." وحينما وقعت فاجعة موت الأخ زلزلت كيانه وفجَّرت لديه ينبُوع الإبداع، فكتب أوَّل قصَّة قصيرة بعنوان: (غليان الماء) عن وداعه لأخيه نشرها في مجلَّة الفُصُول.

لقد كانت القصَّة مُجرَّد حبَّة مُسكِّنة من خوفٍ متصاعدٍ من الموت، سيُلازمه سنوات طويلة بعد ذلك، راح خلالها يُحاول التوصُّل إلى تصوُّر للحياة التي يعيشها، كما انصرف تأثير ذلك إلى أبطال رواياته، مُحاولاً تفحُّص الاحتمالات المُختلفة التي تواجه حياتهم حيال فقدهم الأب وهم أطفال صغار، فها هي (سامية سامي) تفقد أباها وهي صغيرة، و(يوسف عبد الحميد) يفقد أُمَّه وهو طفل في روايته: (الرَّجُل الذي فقد ظِلَّهُ) و(زينب) يموت أبُوها وهي طفلة، و(يوسف منصور) يموت أبُوه وهو صغير في روايته: (زينب والعرش)

هكذا كانت الكتابة بالنِّسبة للأديب فتحي غانم، تماماً كما أوضحها في رواية (حكاية تو) مُحاولة لمُعالجة ذلك التَّشويه النَّفسي الذي أصابه، يقُول الكاتب: "خيل إليَّ وقتها أنَّ الكتابة قد تُساعدني على الشِّفاء، أو لعلها قد تكشف لي عن طريق الخلاص ممَّا أُعاني منه.

ولكن هيهات، فالأمر أفدح بكثيرٍ من أن تعالجه كلمات على الورق"

فيما بعد كتب الرِّوائي فتحي غانم، رواية (الأفيال، ١٩٨١م) التي قدَّم فيها مدينته الفاضلة، التي حلم بها طويلاً، وبلورها خياله المُبدع، حين اختار لها مكاناً (غير مُحدَّد الموقع) وسط الصَّحراء، وغير مُسمَّى، لا تعرف فيه دولة أو جنسيَّة.

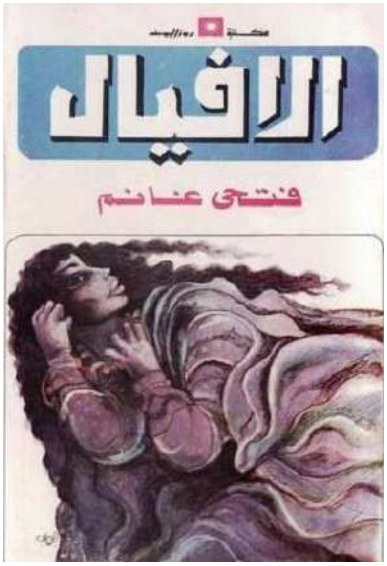

اجتمع في هذا المكان عدد من الأفراد باختيارهم، كأنَّها مقبرة مضت إليها شخصيَّات مُعيَّنة، استنفدت أُسلوب حياتها، هرباً من الحياة، أو بحثاً عن الذَّات الحقيقيَّة، أو انتظار للموت القادم، كما تفعل (الأفيال)، حين تحس اقتراب شبح الموت..!

يقُول الكاتب عن هذه الرِّواية: "بدأت فكرة الرِّواية عندي من إحساس بالحياة والموت أو من فكرة الموت، لا كفكرة

مُجرَّدة؛ بل الخوف من فكرة موت الإنسان.. ولكن من وظائف الكتابة أنَّها خلَّصتني من الهموم لأنَّي عالجت نفسي بهذه الوسيلة، وبها صمدت أمام هموم حقيقيَّة، مثل: موت أُناس وانتهاء آخرين، وذهاب البعض ومجيء البعض الآخر.. قبل كتابة (الأفيال) كنت أخاف، ولكن (الأفيال) خلَّصتني من هذا الأمر"

أمَّا الكاتب الياباني (كنزابورو أوي، ١٩٣٥- ٢٠٢٣م) فقد بدأ إنتاجه الأدبي خلال المرحلة الجامعيَّة، ونال أهم الجوائز الأدبيَّة في اليابان، ولعلّ من أبرز رواياته: (اقطُفُوا الزُّهور - أقتُلُوا الأطفال، ١٩٥٨م) و(عصرنا، ١٩٥٩م) و(الصَّرخات، ١٩٦٣م) و(مسألة شخصيَّة، ١٩٦٤م) و(الصَّرخة الصَّامتة، ١٩٦٧م) و(رهان العصر، ١٩٧٩م) و(عندما هزم المُخلص، ١٩٩٣م) والذي فاز بجائزة نُوبل للآداب عام١٩٩٤م.

كنزابورو أوي

الفاجعة الشَّخصيَّة التي أحاقت بهذا الكاتب كانت عندما وُلد له طفل بجُمْجُمةٍ مُشوَّهةٍ نتيجة ورم في المُخِّ عام١٩٦٣م، فكانت صدمته عنيفة شحذت مشاعره المُرهفة، وجعلته في حالة استنفار مُستمر، مُحاولاً أن يتفهَّم ما حدث، وأن يستوعب أبعاد ما جرى..!!

الفاجعة هزَّت أعماقُه هزاً شديداً، فكان منطقياً أن يدخُلُها إلى عالمه الفنِّي مُحلِّلاً، ومُشرِّحاً، وأنْ يغُوص في أغوارها باحثاً ومنقباً، تجلَّى هذا في رواية (مسألة شخصيَّة، ١٩٦٤م) وفيها اقتحام شخصي إلى عُمق هذه المأساة الفرديَّة، حيث نُتابع بطلها (بيرد) الذي يعمل مُدرِّساً، وهو في السَّابعة والعشرين من عُمْره (نفس عُمْر الكاتب وقت المأساة) وقد وُلد له طفل مُشوَّه بفتقٍ دماغي، وقرَّر الأطباء أنَّه قد يموت خلال أيَّام إذا لم تُجرَ له عمليَّة، لكن (بيرد) يهرب من مسؤُوليَّاته كأبٍ إزاء طفله، وعندما ظلّ الطِّفل حيًّا؛ تمادى الأب في غيِّه حين فكر مُتعاوناً مع عشيقته في التَّخلُّص منه بقتله.

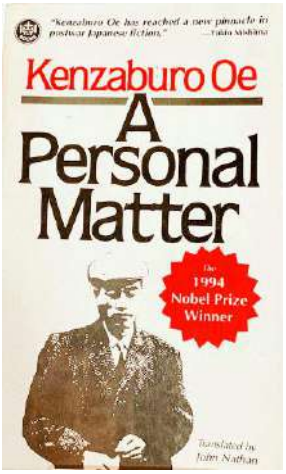

وحين واجه الأب ذاته أخيراً، هجر معشُوقته وأعاد الطِّفل إلى المُستشفى حيث أُجريت له جراحة ناجحة، تبرَّع فيها الأب بالكثير من دمه، وظهر أنَّ الفتق الدِّماغي لم يكن سوي دُمَل غير خطر، وهكذا كُتب له ولأُسرته النَّجاة.

ثُمَّ تناول الفاجعة ذاتها في قصَّة (آغوي.. وحش السَّماء، ١٩٦٤م) ولكن من منظُور فنِّي مُغاير، مُتجاوزاً المنظُور الشَّخصي السَّابق، ففي هذه القصَّة نجد مساراً رئيساً لأبٍ مجنونٍ، فهو لم يقبل مأساة مولد طفل مشوَّه له؛ فتلطَّخت يداه بدمائه البريئة، فهرب من الواقع وانتهى إلى عالم الجُنُون، بعد أن أحرق هذا الأب الموسيقار مُؤلَّفاته، وأنهى حياتُه..!!

على عتبات الغرام: قراءة وجدانية بين (طوق الحمامة) وشعر الغزل المعاصر

للكاتبة
ربا رباعي

المقدمة: في أدبنا العربي، لم يكن الغرام يوماً موضوعاً سطحياً أو ترفاً لغوياً؛ بل ظلّ دائماً تجربة إنسانية بالغة العمق، تحمل أبعاداً نفسية وروحية وجمالية، تتجاوز حدود اللحظة العابرة.

وفي زمنين مختلفين، وبأسلوبين متباينين، عبّر كلّ من ابن حزم الأندلسي ويحيى العلاق عن الحب، كلّ بطريقته، لكنهما التقيا في تصوير الغرام بوصفه تجربة وجودية تلامس جوهر الإنسان، لا مجرد علاقة عابرة بين عاشق ومعشوق.

يتعامل ابن حزم في (طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف) مع الحب بوصفه حالة فطرية سامية، بينما يتعامل العلاق مع الغرام كعتبة دائمة، لا يدخلها العاشق تماماً، ولا يغادرها؛ بل يظل واقفاً على تخومها في حالة من التردد، التأمل، أو الألم الصامت.

في هذا السياق، تصبح (العتبة) رمزاً مشتركاً بين فقيه أندلسي وشاعر معاصر، كلاهما يرى في الغرام تجربة تمزج بين التوق والغياب، الحضور والافتقاد.

أولًا: الحب عند ابن حزم – من الفطرة إلى العفاف.

ابن حزم الأندلسي لم يتحدث عن الحب بوصفه ترفاً عاطفياً أو انفعالاً غريزياً؛ بل نظر إليه كحالة فطرية مغروسة في النفس.

يقول في مقدمة (طوق الحمامة): "الحب -أعزك الله- أوله هزل وآخره جد، دقَّت معانيه لجلالها عن أن توصف، فلا تُدرك حقيقتها إلا بالمعاناة"

الحب في نظره تجربة أخلاقية وتربوية، لا يُحاسب الإنسان على وقوعه فيها؛ بل على كيفية تعامله معها.

وهذا ما يظهر جلياً في مدحه لـ (الحب الخفي) حيث يقول: "وأفضل الحب ما خفي، وأفضل ما خفي ما لا تظهر له علامة" فهو يربط الحب بالعفاف، ويجعل منه امتحاناً للنفس، لا مجالاً للهوى.

كذلك، يربط الحب بالروح لا بالجسد، إذ يرى أن سبب الحب هو التماثل الروحي، لا مجرد الإعجاب الظاهري:

"علّة الحب عندي صلة نفسانية، ومناسبة روحية"

يُبرز ابن حزم أيضاً كيف أن الحب لا يُمحى بسهولة؛ بل قد يبقى حتى بعد رحيل المحبوب أو موته، إذ يقول: "قد رأيتُ من يُحب بعد موت المحبوب، ومن يواصل البكاء بعد فراقه بسنين"

ثانياً: يحيى العلاق – شاعر يقف على عتبة العشق.

في المقابل، يتعامل يحيى العلاق مع الحب ليس كحالة مكتملة؛ بل كتجربة مشروخة، ناقصة، يشوبها التردد والانتظار والحنين.

عنوان (على عتبات الغرام) يليق جداً بوصف هذه التجربة، حيث يقف الشاعر دائماً على (العتبة) لا يدخل الجنة ولا يخرج من الجحيم؛ بل يظل معلقاً في مساحة رمادية.

يقول في إحدى قصائده: "أريدكِ كاملةً... كما تفعلُ الغيمة حين تمرّ، لا تمطر، ولا تُجفف التراب" هنا، الحب ليس عطاءً مكتملاً؛ بل حضور ناقص، شوق لا يكتمل، رغبة لا تُروى.

وهذا ما يجعل التجربة الغزلية عند العلاق تجربة ذات طابع وجودي، لا حسي فقط.

المرأة في شعره ليست جسداً فقط؛ بل كائن رمزي، غائب، متخيل، يتجاوز الحضور الواقعي إلى مرتبة الرمز أو الطيف.

كما أن اللغة التي يستخدمها الشاعر في التعبير عن الغرام، مليئة بالحيرة والتردد، وكأن كل قصيدة عنده هي نفسها عتبة لغوية، تقف بين القول والصمت، بين الإفصاح والكتمان.

ثالثاً: العتبة كرمز مشترك – من الطوق إلى الغيم.

رغم تباعد الزمن بين ابن حزم والعلاق، إلا أن كليهما يتعامل مع الحب من موقع التوق لا الامتلاك.

ففي حين يرى ابن حزم أن الحب الحقّ هو ما لا يُعلن، فإن العلاق يُجسّد الحب كلحظة مؤجلة، معلّقة على حافة التحقق.

كل منهما يرى أن الحُب الحقيقي لا يُدرك كاملاً؛ بل يُلامس – كالغيم أو الطيف – ويترك أثره دون أن يتحقق تماماً.

ومن هنا، تلتقي رؤية ابن حزم التي تربط الحب بالصبر والعفاف، برؤية العلاق التي تجعل من الحب تجربة عبور لا استقرار، ولحظة سؤال لا جواب.

ابن حزم: "الحب لا يوصف، ولا يُحاط به علم"

العلاق: "الحب ظلٌّ يتبعك... لا يُمسَك، لكنه يُشبهك" (من أحد نصوصه)

العتبة في فلسفة الحب هنا تتحوّل إلى رمز نفسي وروحي: إن العاشق، سواء كان فقيهاً أو شاعراً، لا يسكن المعشوق تماماً؛ بل يبقى مشدوداً إلى طيفه، يتأمل أثره، ويسكن الانتظار.

الخاتمة: إنّ الغرام، في صورته العميقة، ليس لحظة اكتمال؛ بل لحظة توتر دائم، وهذا ما يجمع بين ابن حزم المفكر والفقيه، ويحيى العلاق الشاعر الحديث؛ فكلاهما يرى الحب عتبة، لا داراً، ورمزاً، لا واقعاً ملموساً.

بين طهر الحب عند ابن حزم، وتشظيه عند العلاق؛ تتشكّل خريطة وجدانية للعاشق العربي، الذي ما زال يبحث عن الحبيبة في الزمن، في اللغة، وفي الغياب.

وكأن الحب، في نهاية المطاف، هو ما لا نبلغ تمامه؛ بل نقف أمامه في خشوع، على العتبة.

المراجع:

١. ابن حزم الأندلسي – طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف.

٢. يحيى العلاق – نصوص شعرية مختارة من دواوينه.

٣. القشيري – الرسالة القشيرية في التصوف.

٤. ديوان قيس بن الملوح.

٥. دراسات في الحب العربي: عبد الفتاح كيليطو، عبد العزيز المقالح.

٦. مصادر الحديث النبوي الشريف.

الكتابة النسوية في كوابيس بيروت لغادة السمان
الجزء الأول..

للكاتبة
د. آمال بوحرب

صراع وجودي لاستعادة المعنى في فضاء تتشابك فيه خيوط الوجود والعدم؛ تبرز الكتابة النسوية كفعل فلسفي يتجاوز حدود السرد الأدبي؛ ليصبح مقاومة أنطولوجية ضد التشظي والانهيار.

رواية (كوابيس بيروت) لغادة السمان، التي كتبت بين عامي (١٩٧٥ و١٩٧٦) وسط أتون الحرب الأهلية اللبنانية تمثل نموذجاً رائداً لهذا الصراع الوجودي، ليست الرواية مجرد توثيق لمآسي الحرب؛ بل محاولة عميقة لالتقاط المعنى في عالم تتفكك فيه الكلمات وتصبح الكتابة فعلاً وجودياً يقاوم العدم، ويثبت حضور الإنسان في زمن الخراب من خلال هيكلية متشظية ولغة شاعرية ورؤية نسوية.

تقدم السمان نصاً يسائل الكينونة الأنثوية ودورها في مواجهة الفوضى، مؤكدة أن الكتابة ليست ترفاً؛ بل فعل مقاومة يعيد صياغة الهوية والوجود.

ملخص الرواية: وثقت غادة السمان كوابيس بيروت خلال الأشهر الأولى من الحرب الأهلية اللبنانية، نشرت أولاً كسلسلة مقالات في مجلة لبنانية، يتكون من (١٩٧) كابوساً، وحلم ختامي يرصد فوضى بيروت مسجلاً مشاهد العنف والدمار والتفكك الاجتماعي.

كراوية وشاهدة؛ تسرد السمان حصارها في شقتها مع أخيها، مستحضرة ذكريات يوسف حبيبها الذي قتل بسبب الانقسامات الطائفية؛ لتتحول الرواية إلى صرخة ضد الظلم والفساد، إهداؤها لعمال المطبعة الذين عملوا تحت القصف يجسد التزامها بالثقافة كمقاومة.

تقدم (كوابيس بيروت) الروح الأنثوية الممزقة؛ فتعكس الذات المحاصرة بين الحب، والموت، الوطن، والخراب، مرآة للألم الإنساني، ورؤية فلسفية للكينونة الأنثوية.

الخصائص الفلسفية والجمالية: تتجلى الجمالية الفلسفية في كوابيس بيروت في قدرة السمان على تحويل مأساة الحرب إلى فضاء أنطولوجي، يسائل الكينونة الأنثوية ودورها في مواجهة التشظي، النص يمزج بين الواقعية القاسية والشاعرية العميقة، مستخدماً أسلوباً يتأرجح بين التوثيق

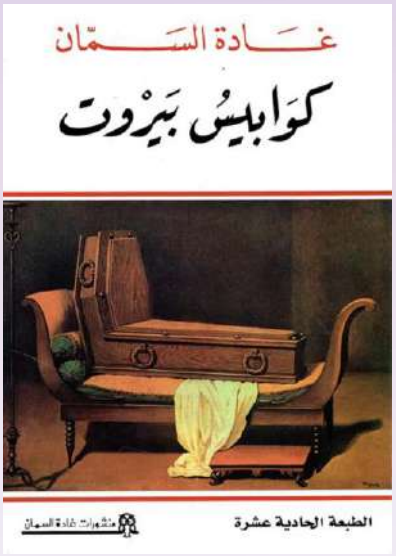

الحي والتخييل الرمزي؛ مما يجعله فعلاً تحررياً يتحدى العبث ويؤسس لمعاني جديدة للوجود.

تتوزع الخصائص على العناصر التالية مدعومة بآراء النقاد:

١-الهيكلية المتشظية كتعبير عن الوجود الممزق: تنقسم الرواية إلى كوابيس، كل منها لوحة سردية مستقلة تعكس تشظي الواقع الحربي والذات الأنثوية، هذا الهيكل يعكس الفوضى الوجودية، حيث يتداخل الزمن والمكان في إيقاع مضطرب.

الناقدة ماجدة حمود، تصف هذا التنظيم بأنه إيقاع سردي يجسد الفوضى والأمل معاً، معاكساً التمزق الأنطولوجي، على سبيل المثال: تنتقل السمان بين مشاهد القصف العنيف وذكريات يوسف، ثم إلى مشاهد ساخرة من الحياة الاجتماعية؛ مما يجعل القارئ يعيش حالة التمزق النفسي والواقعي، هذا التنظيم يعكس رؤية فلسفية ترى الحرب كفضاء يفتت الذات، لكنه يفتح أيضاً إمكانيات التجدد كما في الحلم الختامي الذي يرمز إلى الأمل.

٢-الرمزية أمل في الكينونة: تستخدم السمان رموزاً مكثفة لتصوير الواقع المأساوي مثل الموت، كعجوز يحصد الأرواح أو الحيوانات المحتجزة، كمرآة للإنسان المقموع.

في مشهد بارز؛ تصف جسدها بأنه خريطة ممزقة، تعبيراً عن تمزق الذات والوطن.

الناقدة شيرين أبو النجا، ترى أن رمزية السمان تحول التجربة الأنثوية إلى خطاب فلسفي يكشف المسكوت عنه.

الناقد سعد البازعي يضيف، الرموز تجعل النص وثيقة وجودية تعبر عن جرح جماعي، هذه الرموز لا تقتصر على التصوير؛ بل تسائل الكينونة الأنثوية في مواجهة العنف والحصار؛ مما يجعل الرواية فضاء للتأمل الفلسفي في الوجود.

٣-اللغة الشاعرية كمقاومة للعدم: لغة السمان تجمع بين البلاغة والتكثيف الشعري، حيث تصف القصف بأنه زهور نارية تتفتح في سماء الليل، صورة تجمع بين الجمال والدمار.

الناقد محمد التركي، يؤكد أن اللغة الشاعرية تضفي بعداً جمالياً يقاوم العبث.

عبد الرحمن عوف، يصفها بأنها لغة تجسد التناقضات الوجودية بين الحياة والموت، وهذه اللغة لا تقتصر على الوصف؛ بل تصبح فعلاً فلسفياً يتحدى العدم عبر خلق صور بصرية؛ تجعل القارئ يعيش تجربة الحرب بحدتها وجمالها.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: إلى أي مدى نجحت الكاتبة في استعمال السخرية كتفكيك للسلطة ولفضح التناقضات السياسية والاجتماعية..؟

يتبع في العدد القادم..

ركن الترجمة

إنسان واحد.. ولغات شتى

ترجمة وتقديم
تغريد بومرعي

NO MORE COUNTING STARS

XANTHI HONDROU-HILL - Greece

Translated into Arabic by TAGHRID BOU MERHI

لا لعدّ النجوم بعد الآن

زانثي هوندرو-هيل - اليونان

ترجمة إلى العربية: تغريد بو مرعي

الأضواءُ ساطعة في غزّة.. تتساقطُ من السماءِ ولا أحدَ يسأل: لماذا..؟

العالمَ في بيتهِ يُشاهدُ ولا أحدَ يهبُّ للمساندة..

الأضواءُ خافتة في غزّة.. نامَ الأطفالُ باكراً.. والآباءُ يعدّونَ الجثث.. والأمهاتُ لا يفعلنَ سوى البكاء..

انطفأت الأنوارُ في غزّة.. لم يبقَ سوى الشعراءُ يبكون.. فلن يرفعَ طفلٌ بعدَ اليوم عينيهِ نحوَ سماءِ الليل..!

نريدُ للأطفال أن يلعبوا في الشوارع ليلاً.. لا نريدُ المزيدَ من الحروب.. نريدهم أن يعدّوا النجوم..

انطفأت الأنوارُ في غزّة.. وصعدَ الأطفالُ إلى النجوم يكتبونَ على سماءِ الليلِ نشيداً من أناشيدٍ قديمة..

لا مزيدَ منَ الحروب..

لا مزيدَ منَ الحروب..

لا مزيدَ منَ الحروب.

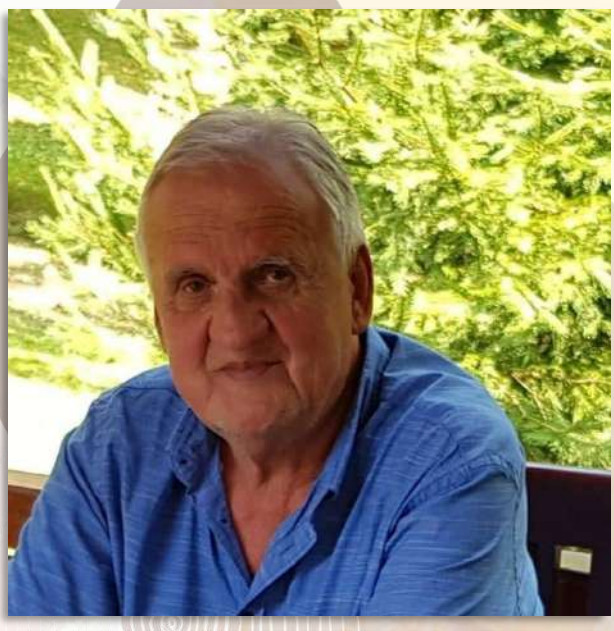

WIND FIELDS

REFIK MARTINOVIC - Serbia

Translated into Arabic by
TAGHRID BOU MERHI

حقول الرياح

رفيق مارتينوفيتش - صربيا

ترجمة إلى العربية: تغريد بو مرعي

أحتاجكِ.. حبيبتي كما يحتاجُ الربيعُ إلى المطرَ ليسقي هذهِ الأيامَ الجافة التي لا تمرُّ بالبصر.. كأنّها نهرٌ بلا عودة..

لكني ظننتُ.. أنَّ كلَ شيءٍ سيمضي.. وأننا سنورقُ في أيّار حينَ تهطلُ تلكَ الأمطارُ الربيعية الصغيرة..

وحينَ يصبحَ اسمكِ عشًّا لأفكاري.. ويتوقفُ الألمُ في صدركِ..

هل هناكَ أملٌ لنا في أيام السحر.. حينَ يموتُ الكوكبُ بأقنعةٍ صامتةٍ في زهور الهندباء اليافعة.. التي يسمّونها ربيعاً في حقول الرياح التي كنّا نركضُ فيها حفاةً حتى البارحة.

IT WAS NICE. ©Розалия Александрова - ROSALIA ALEXANDROVA - Búlgaro
Translation: TAGHRID BOU MERHI

كان جميلًا

روزاليا ألكساندروفا – بلغاريا

الترجمة: تغريد بو مرعي

كهبّة ريحٍ ربيعية.. منحوتةٍ بالآمال والشمس.. كانَ جميلاً..

كالوردة الحمراء في الروح.. كأغنيةٍ في حلمٍ بينَ الحقول.. كانَ جميلاً..

كعاصفةٍ في تموز الحار..

كارتعاشةٍ طويلةٍ لأسراب الطيور..

ترك ذكرى في الأعماق لنعيمٍ وجناحينِ من رقة.. كانَ جميلاً..

كيومٍ طويلٍ على الأرض.. يمنحُ العالمَ ميلادهُ في البعيد..

كأغنية أمٍّ عندَ الفجر.. كنارٍ مقدسةٍ في السماوات..

لقد كانَ أبدياً.. حلمُ أجنحتنا.

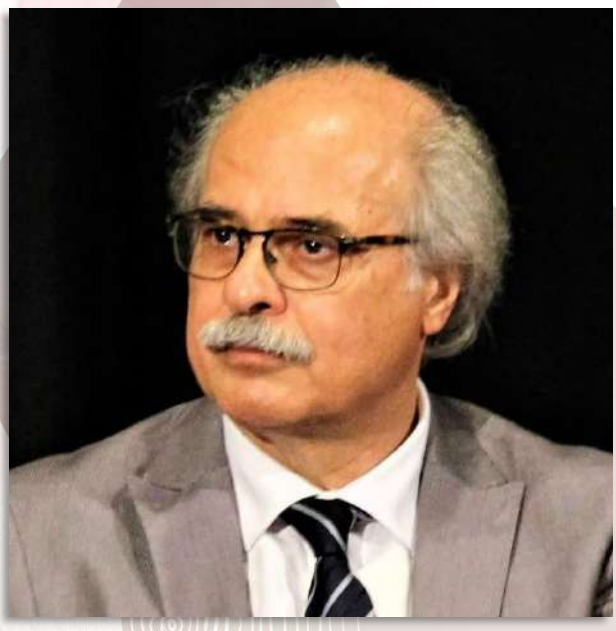

LA BILANCIA INFRANTA

DOMEMICO PISANA - Italia

Traduzione: TAGHRID BOU MERHI

في وطني.. حيثُ تضيءُ الشمسُ

أشجارَ الزيتون.. ويغنّي البحرُ بألم..

أسمعُ أنيناً يصعد.. وصراخاً حادًّا

وعميقاً من الساحات المزدحمة.. ومن

الأزقّة الصامتة..

هناكَ عروشٌ من رخامٍ في قاعاتٍ

مهيبةٍ حيثُ القانونُ باردٌ والعدالة صدىً

بعيد..

وحيثُ العباءة درعٌ والحكمُ نبوءة..

ومَن يقضي لا يحملُ أبداً وِزرَ أذاه.

الميزان المحطَّم

دومينيكو بيسانا - إيطاليا

ترجمة: تغريد بو مرعي

LA OTRA MITAD DE LAS LLAMAS

MARIELA CORDERO - Venezuela

Traducción: TAGHRID BOU MERHI

تحلمُ أن تُستَخرَجَ لا أكثر من دفءِ الاشتعال..

تطمحُ أن تحتفظَ فقط بتلكَ الحُروق المُزَيَّنة.. التي تُمتِعُ ملامسةَ العين..

لا ترغبُ في امتلاك النِصف الآخر من اللهيب..

تهربُ من الحريق الكامل الذي يدمّرُ ويحوّلُ كلَ تأرجحٍ إلى حجرٍ مطحون..

كلَ حبٍّ إلى نسيان.. وكلَ قلبٍ إلى رماد.

النصف الآخر من اللهيب

ماريلا كورديرو – فنزويلا

ترجمة: تغريد بو مرعي

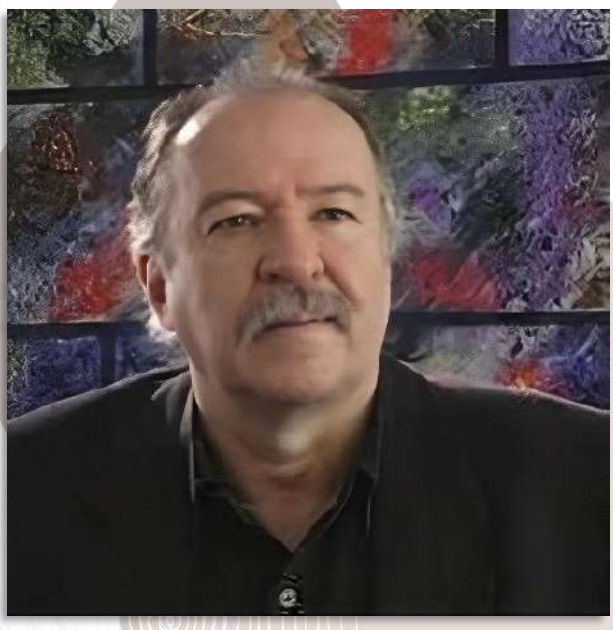

EL MUNDO

FERNANDO RENDÓN - Colõmbia

Traducción Al Árabe: TAGHRID BOU MERHI

العالَم

فرناندو ريندون – كولومبيا

ترجمة إلى العربية: تغريد بو مرعي

سيركٌ للكائنات الشاذّة..

دكانٌ كبيرٌ للبضائع الرخيصة.. ومحصّلةُ المسرحيات الباهتة..

ممرٌّ لغرورٍ مُعدم.. مأساةٌ تمّ التحذيرُ منها في كتابٍ ضائع..

منشرُ خشبٍ للغابات السحرية.. ومسرحٌ للمجازر الراقية..

حقلٌ يركّزُ فيهِ البشرُ على الموت.. وتنوّعٌ من الطرق لا تؤدي إلى أيّ مكان.. أو زمنٌ لجميع خلايا النحل..

اتفاقٌ صامتٌ بينَ أصوات الشتاء والربيع المتنافرة..

شاطئٌ للتأمل في محيط الوجود..

غناءُ مجموعِ الكوكبات..

مدٌّ من كائناتٍ لا تُحصى تنتظرُ قرارها الخاص..

لحظةُ الاختصار غير المُنتبَه له..

هكذا يرى العالم الكائنات.

CIRCLE INSPECTOR

BALACHANDRAN NAIR - India

Translation: TAGHRID BOU MERHI

مفتّش الدائرة

بالاچاندران ناير – الهند

ترجمة: تغريد بو مرعي

من الصعب نزعُ السلاح.. والانتصارُ عندما يكونُ القلبُ ممتلئاً بالحب حتَّى آخره...

هو وهيَ.. كانا نصفَيْ دائرة.. شيطانٌ وملاكٌ في تشابهٍ تام..!

أحدهُما مقيّدٌ بأنانيةٍ حادة.. والآخرُ مشدودٌ لنشاطٍ مطلق..

واحدٌ محشوٌّ كمسدّسٍ بلا ماسورة.. والآخرُ يضغطُ الزِنادَ بلا إبرة إطلاق..!

راحا يطلقان النارَ على بعضهما البعض.. من دون صوتٍ يُذكر أو دخان..

هيَ تعلّمت الدرسَ من إخفاقاتٍ مُركّبة (ستارشيب) لماسك.. وهوَ فكّر في صراعات أوكرانيا وغزّة المستمرة.. منهكان.. ولا طرفٌ ثالثٌ يتدخّل، وأخيراً وصلا إلى استنتاج: وقفُ إطلاق النار.. وجمع نصفَيْ الدائرة.. وألّا يذهبا بعدَ اليوم لتفحّص دوائر بعضهما البعض..

عقدا العقد.. وتركاه للآخرين.. كي يسجّلوا الملاحظة: لا تعدّوا ريشَ غيركم.

VERITÀ

ELISA MASCIA - Italia

Traduzione Al Arabo: TAGHRID BOU MERHI

الحقيقة

إليزا ماتشيا – إيطاليا

ترجمة إلى العربية: تغريد بو مرعي

في هذا العالم الذي تتوحّدُ فيهِ الوجوهُ أكثرَ فأكثر..

يقدّمُ كلٌّ نسختهُ المصوّرة عن ذاتٍ أخرى لا تنتمي إليه.. يميلُ إلى التماهي والخروج من حقيقته.. ويعرضُ عدمَ وجود القيمة الهويّاتية الفريدة التي لا تتكرّر..

مقابلَ قوالبٍ نمطيةٍ خاليةٍ منَ الروح.. وعقول أقلّ تفكيراً.. ألعابٌ طفولية كالغميضة لإخفاءِ أفكارٍ ملتويةٍ في مجتمعٍ يلامسُ حافةَ الانهيار الكوني..

توجدُ شجاعة في جيوشٍ تقاتلُ بحثاً عن الحقيقة..

جنودٌ يناضلونَ وقد تسلّحوا بالقوّة الإلهية للروح القدس.. ليوقظوا الضمائرَ التي تساومُ على الحقيقة مقابلَ الضياع..

يبيعونَ حريّتهم مقابلَ لا شيء.. أو القليل جدًّا.

حديثٌ غريبٌ بثوبٍ حجري.. يُحلّقُ مُهدِّداً في كلِّ خطوةٍ نخطوها..

قطراتٌ باردةٌ من المجاملة تحرقُ أنفاسنا..

هل توقّفَ الأملُ عن زيارة قلوبنا..؟

الثلجُ اليومَ ليسَ أبيض..!

إنهُ بلا لون.. كقزحية أعيننا.. كصباح الخير التي لا تخرج من شفاهنا..

هل توقّفَ الحبُّ عن زيارة قلوبنا..؟

ملصقٌ ممزّقٌ في دوّامة الريح..

كلُّ كلمةٍ منّا حصىً زرقاء غرقت في زرقة البحر.. هيَ أحلامُنا..

هل توقّفت القصيدةُ عن زيارة قلوبنا..؟

OUR HEART'S VISITORS

DIMITRIS P. KRANIOTIS - Greece

Translation: TAGHRID BOU MERHI

زُوّار قلوبنا

ديميتريس ب. كرانيوتيس – اليونان

ترجمة: تغريد بو مرعي

ROLLING SECONDS

RAJASHREE MOHAPATRA - India

Translation: TAGHRID BOU MERHI

الثواني المتدحرجة

راجاشري موهابَترا - الهند

ترجمة: تغريد بو مرعي

السنوات.. الشهور.. والأيامُ تدحرجت
بسرعةٍ متعاقبةٍ ولا تزالُ الذكرياتُ تطاردُ
بحثاً عن عزاءٍ دقيقٍ وسلوى..

مرَّ الزمنُ دونَ أن يُلحَظ.. صفحاتُ الحياة
الصفراءِ في كتاب الشعر.. تصوّرُ الجراحَ
العميقةَ التي تلقيناها..

ندوبُ المشاعر تقودُ إلى أوهامٍ متراكمة..
وذكرياتٍ باليةٍ تعتّمُ الرؤية..

بقعُ الدموع لا تزالُ تهمسُ بنغمة حب.. بأننا
سنلتقي مجدداً حتَّى وإن ظلَّ القلبُ الوحيدُ
ينتظرُ غيومَ الليلك المفعمة بالأمل والرخاء..
لتعيدَ مطرها من جديد.

فضيحة الحب الواحدة بعد الألف

رواية للكاتب
د. مجدي صالح

للقراءة عبر تطبيق

https://foulabook.com

قصة حب قديمة في ثمانينيات القرن الماضي، تدور الأحداث في قرية ريفية، حول ثلاثة أطفال عاديين، وهما باسل وسعاد وتامر. وما إن كبروا؛ حتى وجد باسل نفسه وسعاد تحت ظلال الحب الشريف والنقي، رغم صلة القرابة بين عائلة باسل ووالد سعاد المتغطرس الفاحش الثراء.

ليس الفقر سبب رفض الحب بينهما، فباسل صار غنيا، ولكن هناك سبباً ما يمزق قلب المتغطرس والد سعاد منذ ما يقارب العقدين.

الرواية هي أحداث ريفية دقيقة تفصيلية، وهناك عائق مختلف فقط، الزمان والمكان هو السبب في الأخير بعد تذليل العقبات.

الرواية جميلة في طابعها الريفي البديع، البعيد عن التكنلوجيا في زمن الطيبين، والتي تكشف عن سيكولوجية الطباع البشرية في حقبة زمنية ماضية.

هي تشبه أي ريف عربي، لأن الوصف مشترك بين الأرياف العربية.

من خلال رواية فضيحة الحب الواحدة بعد الألف، يبقى الحنين لزمن كم نتمنى عودته ولو لساعة.

الرواية أخذت طابع اللغة العربية الفصحى.

معزوفة قلم

حول جيد الأمنيات

للكاتبة
نهاية عبدالرحمن

ارتحل.. أيُّها الحزنُ الكئيبُ ارتحل.. قلبي مُضنى..

غادره.. اهجر جوفاً عليلاً أثقله الحُزن.. أتعبه..

يرزحُ تحتَ سياط الهوى مُغرماً..

والشوقُ بقلبي عاشقٌ سئمَ الجفاءَ يشكو لليلَ السُهّاد

مولعٌ باحَ في جُنح الظلام بالجوى..

قلبي متيمٌ يغازلُ الأقمارَ في عرض السماء.. ويطرّزُ النجمات طوقاً حولَ جيد الأمنيات

مجهدٌ قلبي.. يعاني ثِقلَ صمتهِ والسُّكات.

قلب متعب

للكاتبة
رغد حميد

أنا يا سيدي بلحظةٍ واحدة.. تركتُ مركبي..

سرتُ وحدي في متاهات.. لا توجد احتمالات..

قلبكَ المترف.. ليسَ فيهِ مدارات قلبي..!!

متعبٌ من المنايا.. أم اصطادته الحياة..؟!

لا سبيلَ لكَ سوى إرادة وعزم..

وحطّم سيلَ الحلقات.. قلبيّ المرهقُ مالهُ اغتالته الضحكات..؟

سأعلو وأعلو.. ليسَ في طريقي شيء.. سهلة كلُ المسارات..

سأعلو.. وأرى الغيومَ أسفلَ وأسفل.. ليسَ فوقي سوى السماوات..

لا تغريني المغريات.. ولا مسألة الحياة..

أهوى قلبي.. عقلي..

وروحي كم هي نقية..! كم نَمت فيها زهرات..!

لا تراهن على ضعفي.. أنا أقوى من كل الانكسارات..

كم نَمت على ضفاف تعبي ضحكات..؟

قلبي نهرٌ أبيض.. كم ماتت على ضفافه حمامات..!

لم يفت الأوان..

ما مضى لم يكن عمري.. قد بدأ العد الآن..

لا تراهن على ضعفي..

سهلة كُل الانكسارات.

(روبا فيكيا)
قصيدة لعراة العالم

للكاتبة
مجيدة محمدي

وها هي القمصان تترجّلُ من عرشِ الدولاب..
تفوحُ منها رائحةُ الوقتِ المُترَف..
والتأنّقِ البورجوازي..
وشيءٍ من الغطرسةِ الفجة.
تُلقى كأنها طُعوم لاصطيادِ الزهو..
كأنّ الكفنَ حين يُهدى..
يمنحُ حياة جديدة..
مع انه لا يفعل.
روبا فيكيا..
أغنيةٌ مقلوبة..
حيثُ يُعاد تدويرُ الخطيئة..
لإلباسها لوناً قابلاً للغفرانِ.
طفلَ الريح.. يرفضُ ارتداءُ قميصٍ قُدّ من استعلاء..
ولا يريدُ شكرَ أحد..
لان الشكرَ للسجّان يُطيلُ عمرَ القيد.
علمَ.. أنهُ..
ليسَ شماعةً لندمهم..
ولا واجهةَ عرضٍ لكرمهم المُتصَّنع..
فهو جسدٌ يليقُ بهِ الضوء..
لا ظلَّ رداءٍ خلعوهُ على عجل..
كي لا يروا أنفسهم عراةً من الرحمة.

ليلتي إلهام

للكاتبة
وسيمة اكدي

ليلتي إلهامٌ أنسجهُ من نَخبِ مُدام..
على سحر أنغامِ هديلِ الحَمام..
على صفحات دموع الشمعِ ثَمِلَتْ..
من أقداح حروفي وقالت نبضَ فتيلي..
غرامٌ بأريج المِسك عزفتها لحناَ..
على أوتار قلبي ارتوت منهُ رُؤاي..
تَلَحَّفَتْ ضفائرها في جيدها..
حَمَلَتْ قلمي راودتني بالرقص..
تتلعثمُ خجول رنينَ خلخالها..
طافت بين نجوم الليلِ..
أفلت عن الديار والخيامُ أشرقت..
في غسقٍ أنارت خلوتي..
أوحت إليَّ بهمسٍ غازلتني بنظرةٍ من مقلتيها..
وقالت في صمت..
أكادُ لا أسمعُ لهثها لا أبصر ظلها..
أُكْتُبْ بكل الحروف وَدَعْ عنكَ حرفين..
صُمْ عنهما لا تتكلم..

شموخ

للكاتبة
سميرة عبدالهادي

أنا أنثى الجمال والرقي..

ناعمة كطوق وردٍ مُزهر.. حسناءُ مدللة كقطعة سُكر.. أنفاسي كرشة عطر.. وعيناي بهما سحرٌ يفتن..

لي لغة كهمس البُلبل.. احتارت الحروفُ والكلماتُ بوصفي.. وتغنّى اللحنُ على خُطى سيري..

ابتسامتي تَشفي الجَرح.. ملامحي تمنحُ الأملَ لحب الحياة..

صامدةٌ أمامَ العواصف..

بسيطة لمن يفهمُني.. متاهة لمن يُعاندني..

ابتسامتي سرُ جمالي وعنواني مهما حزنتُ أو تألمت..

الصبرُ وشاحي مهما تعثّرت.. أداوي مهما انجرحت.. وأواسي مهما تكدّرت..

وسأظلُ قوية مهما خُذلت.. لأني أنثى الجمال والرقي.

عطر الياسمين

للكاتب
منير راجي

ها أنا أطاردُ طيفك..

وسطَ الأزّقة وشوارع المدينة..

يا من خرجتِ.. من عِطر الياسمين.. وقوافي القصيدة..

أمَا ودَّعنا الحروف..

واللّيالي الحزينة..؟

أمَا مزَّقنا رسائلَ الحبّ..

ودفاتر العشق القديمة..؟

أمَا رسمَ الدمعُ على وجنتيكِ..

ودياناً وأنهارا..؟

فاتركي الدمع..

ما عادت النجومُ.. تُضيئ ليالي السَهارى..

وما عادَ القمرُ.. يُنيرُ سَمرَ السَكارى..

يا من أعدتِ للحياة حياة..

بعدَ موتٍ واعتلال..

إنّكِ أسّمى وأشهى.. من نسمات التلال..

قولي أحبّكَ دونَ خجل..

قوليها بِلا وجل..

قوليها دونَ ملل..

فأنا رجلٌ إن أحبَّ..

أحبَّ دون أجل.

ليلٌ غائمٌ جزئيًّا

للكاتبة سحر علي النعيم

"يحدث الرحيل، فيقف شعور الفقد بشراسةٍ منتصباً في المنتصفِ.. ما بين ذاتك أيها البائس وما بين عالمك؛ محولاً كل ذلك السلام الداخلي الذي لطالما قاتلت بكلِّ جسارةٍ من أجله؛ إلى صخبٍ مشوه!"

عن (ماريا) الأخصائية النفسية، والتي في لحظةٍ ما، ودون إدراكٍ منها، يصبح مريضها (ليل) معضلتها القلبية، في حين أنها هي طوق النجاة الوحيد لعقله الذي أوشك على الجنون!

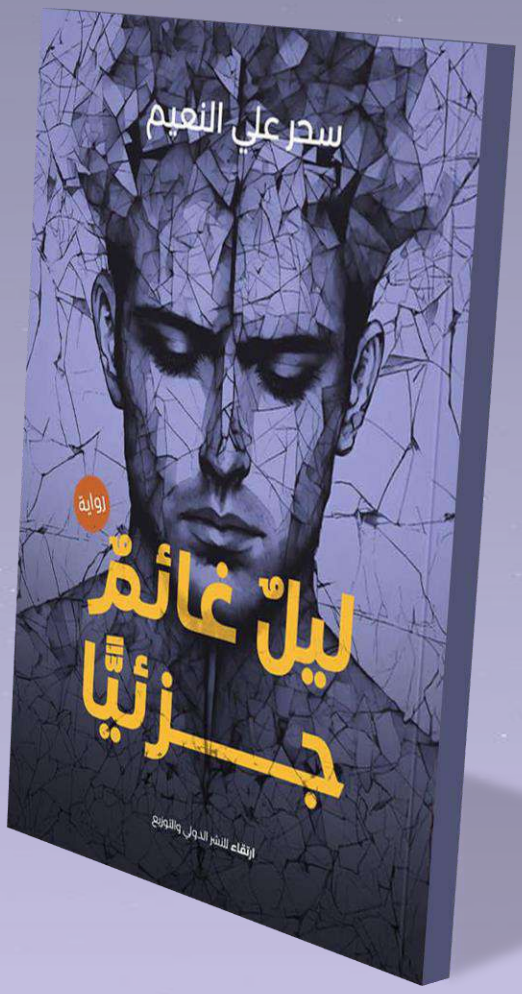

للطلب:

✶ منصة سماوي (المعروفة سابقًا بـ اطبع)

www.print.sa

✶ موقع نيل وفرات

www.neelwafurat.com

✶ موقع iRead shop

shop.ireadhub.com

قصص قصيرة

امرأة الأسرار

الجزء الثاني..

قصة للكاتبة

زينب الجهني

مرت ثلاث سنوات، حتى اكتفيت من الذهاب للعيادة، وقد أقنعني طبيبي، والذي بالمناسبة يدعى (رامي)

أتذكر ردة فعله حين أخبرته عن الكتب التي قرأتها في الغيبوبة، وكان في دهشة كبيرة حين أجرى أبحاثه وتأكد أن هناك بالفعل كتب أعرفها وهي لم تصدر بعد، وليست الكتب فحسب؛ بل أخبرته عن أماكن كثيرة لم أعرفها بالواقع، ولكني عشتها في حياتي الأخرى، وحتى تفاصيل دراستي وجامعتي.

حتى أننا قمنا بجولة في الجامعة، وبطريقة ما استطعنا أن نحصل على بعض أسماء الأساتذة والطلاب في تلك الفترة، ولقد تعرفت على بعضهم.

مع كل هذه المعلومات؛ كنت قد تصالحت مع فكرة أنني عشت حياة جيدة بطريقة أخرى، لهذا توقفت عن الذهاب لأي طبيب، أو الحصول على استشارات طبية، وكان (رامي) صديقي الذي يصدقني، كان هذا يكفيني.

استقرت حياتي نوعاً ما، وبدأت أتأقلم على الحياة حتى فقدت وعيي لمدة يومين وحدي في منزلي، لم يعلم بما أصابني أحد، أفقت في المستشفى أعاني من بعض

الرضوض والكدمات، علمت مؤخراً أن (رامي) اتصل بي عدة مرات ليومين متتالين، ولم يستطع الوصول إلي؛ فجاء لمنزلي واقتحمه برفقة رجال الشرطة.

كنت قد نسيت أمر هذه الإغماءات، والتي لم أصب بها منذ أن استيقظت من غيبوبتي الطويلة، ومن هنا بدأت مخاوفي، كوابيسي، عدت مرة أخرى للضياع، دخلت في مرحلة اكتئاب، اختلطت علي حياتي الواقعية والحياة الأخرى، بدأت أرى (شكيب) في كل مكان، في وجوه الناس، أراه أحياناً بجانبي؛ لأستيقظ من حلمي فزعة.

اشتقت إليه، كرهت هذه الحياة جداً، ابتعدت عن (رامي) لم أعد أريد الحديث معه، بالرغم من إنه عاد لارتداء معطفه الأبيض في علاقاتنا؛ ليحاول انتشالي من هذياني، لقد كنت أضيع في دهاليز اللا شيء.

عدت للواقع بعد أن وردتني رسالة من (رامي)

-(رشا) هل أنتِ بخير حقاً..؟ أجيبِ الآن قبل أن أحضر برفقة رجال الشرطة.

ضحكت، وقلت في نفسي: المرأة التي تفقد وعيها ويأتي الطبيب ورجال الشرطة لإنقاذها، كلهم يأتون، كلهم يعرفون طريقهم إلي سواك (شكيب) لا تستطيع أن تكون حقيقياً هنا وتأتي..؟

أدركت أن (رامي) أرسل الكثير من الرسائل، وأنا عقلي في مكان آخر أحارب في جهتين مختلفتين، كجندي يحارب على جبهتين، كحبل يشده كل طفل لجهته.

كتبت رسالة وأرسلتها سريعاً، آخر ما أريده أن يقتحم رجال الشرطة منزلي مرة أخرى.

-أنا بخير (رامي) لا داعي لإرهاق رجال الشرطة.

بدلت ملابسي وأخذت الكتاب، وذهبت في نزهة سيراً على الأقدام بالقرب من منزلي، فلا أريد أن أفقد وعي وسط الشارع لتدهسني سيارة ما.

كانت هناك على جانب الطريق بعض من المقاعد التي تطل على حديقة في الجهة الشرقية للطريق العام، رميت بنفسي على المقعد وجعلتها تحتضنني، تغمرني بالحب، تمسكني بقوة، بدأت أفكر لماذا طلب مني (شكيب) في تلك الغيبوبة أن أذهب لمنزلي وأحضر هذا الكتاب، كيف يعلم مكانه..؟

شعرت بشيء من الخوف، كانت هذه المرة الوحيدة التي لم أخبر بها (رامي) عن تفاصيل هذه الغيبوبة، فقط أخبرته أن هناك كتاب أريدك أن تقرأه، وبما أنه طبيب؛ خشي أن يحدث لي أمر سيئ، حاول منعي، ولكنني أصررت، لهذا لم يجادلني وتركني أفعل ما أريد.

ولكن.. ماذا الآن..؟ ها أنا تائهة لا أرى حقيقة ثابتة أركن لها وأصدقها، ربما أنا مريضة نفسية لا أكثر، مريضة مصابة بانفصام الشخصية، ربما كل الأطباء السابقين كانوا على حق، ربما (شكيب) مجرد شخصية خيالية ابتكرها عقلي ليسد فراغ السنين التي كنت أعيش فيها في غيبوبة..!

استسلمت لنوم هادئ عميق كما لم أشعر به من قبل، هلهذا نعاس أم أنني أفقد وعيي..؟ هل هذه هي طريقتك يا (شكيب) في استدعائي كلما شككت بحقيقته ووجوده..؟ أو ربما أشتاق لي، وربما يريد مني أعود له..؟

فتحت عيناي، قفزت من مكاني.

-(رامي) ماذا تفعل هنا، كيف جئت..؟

-لقد أدركت أنكِ لستِ على ما يرام، لهذا جئت وبقيت أراقبك حتى نمتِ كالاطفال.

-ربما فقدت وعي ولم أخلد للنوم.

-كلا، اطمئني لقد نمتِ فقط.

-حسنا، سأعود للمنزل، شكرا لك (رامي) لاهتمامك بي.

-هل هذا هو الكتاب الذي وعدتني به..؟

-لقد كذبت عليك، لم يكن الأمر هكذا، لقد أخفيت عليك أمر تلك الغيبوبة، لقد رأيت (شكيب) وطلب مني أن أذهب لمنزلي القديم وأحضر هذا الكتاب.

-حقا، هكذا الأمر إذاً..!

-نعم، (رامي) أنا لست بخير، أنا أعترف أن كل هذا هراء، أنا مريضة، عقلي ليس سليماً، ربما أصابه علة ما من الحادث الذي فقدت به والداي.

-(رشا) هذا لا يبدو منطقياً، هذه الإغماءات كانت تصيبك قبل الحادث.

-أنا أشعر بالارتباك، لا أستطيع التفكير بشكل صحيح، أنا الآن أفقد السيطرة على حياتي.

-حسنا، هدأي من روعك، الآن ما رأيك لو تأخذي شيئاً يجعلك تشعرين بالراحة، دواء ما..؟

-أدوية مجدداً..؟! إذاً لقد استسلمت لفكرة مرضي، وأن هناك حقاً خطباً ما ليس صحيحاً بي.

-أبداً يا (رشا) أنتِ لستِ مريضة، لم أشكك أبداً في تجربتك ووجود (شكيب) الذي أكرهه بالطبع.

ضحكت وقلت:

-حسناً، أعتقد أنه هو يكرهك أيضاً.

-(رشا) ماذا الآن..؟ ما الذي يوجد في هذا الكتاب ما المهم في أمره..؟

-أُنظر، لقد تصفحته، لم أجد فيه أمراً غريباً، فيما عدا هذا التاريخ المكتوب هنا، ولكني لا أتذكر حقاً متى كتبته أو سبب كتاباتي له، فلقد أخبرتك أن الإغماءات التي كانت تصيبني قبل الحادث كانت كثيرة ومتكررة، وبسببها فقدت ذكرياتي وتفاصيل كثيرة من حياتي، أنا مللت حقاً هذا الهراء، هل أخضع لجلسات كهربائية..؟ هل هذا أمر ممكن، هل هذا يساعد (رامي)..؟

-على رسلك (رشا) لا يجب التفكير في هذا النوع من العلاج، أريني الآن الكتاب سأتصفحه على مهل معك هنا، امنحيني تركيزك الآن.

-حسناً تفضل.

-أُنظري لهذه الخربشات، ماذا كانت تكتب تلك المراهقة، وما هذه الأسماء، هل هذه أسماء أصدقائك في المدرسة..؟

-لا أتذكر (رامي)

-علينا أن نبحث عن هذا الأسماء، لابد وأن وراءها أمراً ما..؟

-كيف ستبحث عنها..؟

-لا عليك، لدي أساليبي، عودي الآن للمنزل، سأرافقك، ارتاحي قليلاً، سآخذ الكتاب معي، أريد أن أقرئه، لقد حصلت عليه في النهاية، تعالي هيّا سأشتري لك طعاماً.

عدت للمنزل أحمل أكياس الطعام، وأحمل أفكاري المخيفة، نظرت للساعة، إنها تقترب من العاشرة صباحاً.

حسناً، سأتناول الطعام وأحدق في السقف، حتى يأتي (رامي) أو يتصل، أو يحدث شيء ما.

أفكر بجدية في إنهاء حياتي، لإني لم أختارها بكل بساطة، ولم أختر تلك الحياة الأخرى أيضاً، ما كان على (رامي) أن يتركني وحدي أبداً.

صوت طرقات الباب.

-(رامي) لقد تأخرت، لقد كنت أهلوس.

-دعيني التقط أنفاسي يا فتاة، لقد توصلت لشيء ما، تعالي اجلسي هنا تماماً حسنا، أُنظري لتلك الأسماء، إنها أسماء لمرضى مصابون بغيبوبة يا (رشا) لقد دخلوا في غيبوبة في أوقات متفرقة وفي أعمار مختلفة، ولكن الأمر الغريب، بعد هذا التاريخ الذي كتبته هنا في هذه الصفحة تحديداً.

-لا أفهم شيئاً..؟ ماذا عن (شكيب) اسمه غير موجود، من هو إذاً..؟

-(رشا) ما هو اسم عائلته..؟ لقد كنتِ تعرفينه جيداً.

-اسمه (شكيب أكرم)

-سأبحث عنه الآن، ابقي هنا، اتصال صغير و سأحصل على معلومات.

سرحت بأفكاري، لماذا لا أتذكر شيئاً من حياتي قبل الحادث..؟ لماذا هذه الأسماء جميعاً لأشخاص في غيبوبة، ماذا أكون أنا..؟

عاد (رامي) من الجهة الأخرى من الحجرة، أمسكني بيدي وصرخ وقال: "هناك بالفعل شخص بهذا الاسم في غيبوبة"

تسمرت في مكاني، هل أصبح (شكيب) شخصاً موجوداً الآن..؟!

لم أنطق، لم أجد صوتي، لم أجد نفسي..!

إننا على بعد حي سكني واحد من المستشفى التي أخبرونا بوجود اسم (شكيب أكرم) فيه كمريض غيبوبة.

أمسكت بيد (رامي) بقوة ودخلت، نظرت إلى المريض الذي تحيط به الأجهزة الطبية من كل مكان.

نظرت له ووجدته مجرد رجل كبير تجاوز عمره الأربعين عاماً.

صرخت وقلت: "إنه ليس (شكيب) ربما مجرد تشابه أسماء"

نظرت مرة أخرى ورأيت الندبة نفسها في مكانها، لم أصدق ما أراه الآن، كيف يبدو هذا المشهد حقيقياً..؟!

-(رشا) لدي بعض المعلومات عن حالته، لقد دخل في غيبوبة منذ أن كان في بداية الثلاثين من عمره، وكان يعاني من حالات إغماء كحالتك تماماً، لكنه لم يدخل بسبب حادث سيارة؛ بل بكل بساطة نام ولم يستيقظ.

-هذا ليس حقيقياً (رامي) هل فعلاً (شكيب) موجود، هل هو حقيقي، هل استدعاني، هل هو وحده الآن..؟

-أنا حقاً لا أفهم الأمر بشكل جيد، ولكن يبدو أنكما عشتما حقاً معاً في عالم آخر يا (رشا) لقد التقيتما بالفعل إذاً بطريقةٍ ما، كان كل ما أخبرت به الجميع حقيقي جداً.

-أنا لست بخير (رامي) ربما يريد أن أعود له..؟!

-لا أعتقد ذلك، ربما أراد أن تعثري عليه فحسب.

دقائق حتى علت أصوات الأجهزة من حولنا، جاءت الممرضة تبعها الطبيب، ثم طبيب آخر، ثم بعد محاولات إنعاشه؛ أعلنوا أنه فارق الحياة.

بعد سنة ونصف تقريباً، أخبرني (رامي) أني فقدت الوعي ودخلت في غيبوبة، وها أنا بخير تماماً، وفقدت كل ذكرياتي، لا أتذكر سوى وجه (رامي) الذي رأيته حينما أفقت من غيبوبتي التي استمرّت لمدة أربعة أشهر.

لا أصدق كل ما يخبرني به (رامي) فأنا أعشقه، كيف لي أني عشقت رجلاً قبله..؟!

ليس (رامي) الوحيد الذي يخبرني بهذه الأشياء الغريبة؛ بل الكثيرون، ولكن مازلت أصر على أنهم فقدوا شيئاً من قواهم العقلية، ولكن في النهاية توقفوا عن سرد هذه القصص لي، وتركوني وشأني ولنفسي، وللحياة الوحيدة التي أعرفها برفقة (رامي)

قضية أغسطس

الجزء الثاني..

قصة للكاتبة

إنصاف دغش

تحقيقات الليل ومفاجأة الحقيبة.

توجه إلياس إلى المحكمة التي كان والد يارا -القاضي توماس جاك- يعمل بها.

كانت أروقة المحكمة صامتة، لكن كل زاوية فيها كانت تحمل قصصاً ومآسٍ لا تُحصى، وكأن الجدران تتحدث عن تاريخ من القضايا المعقدة.

بدأ إلياس بتحرياته الدقيقة، باحثاً عن أي معلومات تتعلق بالأسماء التي ذكرتها يارا: الفريد، جاكلين، وتوم.

كان يقلب الملفات القديمة، ويستجوب الموظفين الذين شهدوا فترة عمل القاضي جاك.

تأكد إلياس أن توم -الذي ذكره والد يارا- هو نفسه رئيسهم السابق، وهو ما أضاف طبقة أخرى من الغموض للقضية، فكيف يكون رئيساً لهم وفي نفس الوقت متورطاً في موت والد يارا؟

أما جاكلين، فلم يسمع عنها أحد في المحكمة، وكأنها شبح لا وجود له.

أما الفريد، فقد أخبره شخص يدعى (ميل) وهو موظف قديم في المحكمة، بأنه سمع أن الفريد خاطب والد يارا بخصوص قضية هزت أرجاء المدينة منذ سنوات طويلة.

كانت تلك هي قضية (ويل بيت) الشاب الذي قضى على عائلة كاملة وأضرم الحريق بمنزلهم، قضية مروعة تركت ندوباً عميقة في ذاكرة المدينة.

لكن إلياس لم يطمئن لذلك الرجل (ميل) وشعر بغريزة قوية بأن هناك شيئاً غير مريح فيه، ولم يعلم لماذا؟ وكأن حدسه يخبره أن هذا الرجل يخفي شيئاً.

أما مارك، فقد بدأ تحرياته عن توم، كانت مهمته صعبة، فهو لم يجد أي ملف يخص توم في وحدتهم، وكأنه لم يكن موجوداً من الأساس، وكأنه محي من سجلات العمل.

لم يستطع حتى أن يسأل عنه بشكل مباشر في العمل؛ لأنه لم يرد أن يعلم أحد بأنه يجري تحقيقات خاصة بهذه القضية الحساسة التي تخص حياة يارا.

لذا، قرر مارك البحث في الحي الذي كان يسكنه توم، تحدث مع بعض الجيران، ومنهم امرأة عجوز كانت تسكن بجوار منزل توم.

أخبرته بأن هناك امرأة قد زارته قبل إطلاق النار عليه.

لكن الغريب أن هذه المرأة العجوز قد قالت شيئاً عجيباً:

"إنهم قالوا بأنه مات على يد عصابة، لكن الحقيقة أن هناك إطلاق نار، لكنه كان من شخص واحد فقط، وكان قد أعطى توم ظهره وكأنه متأكد أن هذا الشخص لن يغدر به"

والأغرب من ذلك، أنها أكدت أن من أطلق النار كانت امرأة.

سألها مارك: "هل تعرفين امرأة باسم جاكلين؟"

فأجابت: "أجل، كانت هناك امرأة بهذا الاسم، لكنها لم تستمر هنا بالعيش إلا شهراً فقط، وبعدها غادرت، ولا أعلم إن كان هو شكلها الأصلي؛ لأن شكلها يتغير باستمرار، كأنها متنكرة"

وعن الفريد، فقد قالت العجوز: "لقد أتى يوم من الأيام توم ومعه شخص، وقد بدا عليه أنه فاحش الثراء، وقد قال لي توم: 'سيدتي اللطيفة' – هو دائماً يناديني بهذا الاسم – 'رحبي معي بصديقي العزيز الفريد'

ثم أمسك بيد توم وقال: "لا تخبر باسمي، هو بدايته يا الفريد'.

ثم دخلا للمنزل."

أكملت العجوز بتساؤل، وعيناها تحملان نظرة شك: "لكن لماذا تسأل هذه الأسئلة؟ قبل أسبوع، شخص آخر سأل نفس أسئلتك، وقد طلبت منه مواصفات"

سألت يارا بتوتر، قلبها يدق بقوة وكأنها تتوقع شيئاً سيئاً: "من؟ من هو هذا الشخص الآخر؟"

رد مارك وهو يهز رأسه، وعيناه تحملان بعض القلق: "لا أعرفه، ولا أظن أنكِ تعرفينه، لكن هناك شخص آخر يبحث في نفس الموضوع، وهذا مقلق"

هنا قالت كريس، التي كانت تبحث مع يارا في المنزل، وصوتها يحمل خيبة الأمل: "أما أنا ويارا، فقد بحثنا في كل زاوية بهذا المنزل، ولم نجد شيئاً أبداً، لا يوجد أي دليل هنا، وكأنه محي تماماً"

اجتمع الأربعة في وقت متأخر من الليل في بيت يارا، بعد يوم طويل وشاق من البحث.

إلياس ومارك وصلا في ذات اللحظة، وكأنهما قد شعرا ببعضهما البعض، أو أن هناك قوة خفية تجمعهما.

إلياس: "مارك، قهوة؟ هل جلبت لي؟"

مارك: "لم تقل لي، ومن متى تشرب القهوة؟ أنت لا تشربها أبداً!"

إلياس: "من اليوم، لابد أن أصحو جيداً لهذه القضية! يبدو أنها ستطول"

مارك بجدية، وعيناه تحملان لمعاناً من الحماس: "وجدت شيئاً"

إلياس: "وأنت؟"

مارك: "سنتحدث في الداخل، ليس هنا، فالحيطان لها آذان"

إلياس: "هيا بنا"

فتحت كريس الباب قبل أن يطرقا، وكأنها شعرت بوجودهما.

سألها مارك بمرح، محاولاً تخفيف التوتر: "هل لديكِ حاسة سادسة؟"

ردت كريس بابتسامة مصطنعة، لم تصل إلى عينيها: "لا، ولكن طوني أراد أن يراني، وهو خلفكما"

التفت إلياس ومارك ليجدا طوني، وهو شخص غامض بعض الشيء، يقف خلفهما ببرود.

أشار إلياس بيده إشارة سريعة، ثم صافحه مارك قائلاً: "أتعلم، لن أستطيع أن أبتسم له إلا بسببك يا كريس، مرحباً طوني"

رد طوني ببرود شديد، لم يكترث لمزاح مارك: "مرحباً.. لستَ مجبراً على الابتسامة"

نظر مارك إلى كريس بابتسامة ساخرة: "أرأيتِ؟"

قالت كريس، محاولة إنهاء الموقف المحرج: "هيا ادخلوا جميعاً، يارا بالداخل"

اقترب طوني من يارا واحتضنها بلطف، ثم سأل باستغراب، كانت نبرته تحمل بعض الفضول الذي لم يكن يخلو من شك: "لماذا أنتم هنا؟ ولماذا في المنزل إذا كان هناك تحرٍّ خاص؟"

قالت كريس بتوتر واضح، متجنبة الإجابة المباشرة: "وددتُ لو أستطيع أن أخبرك يا طوني، ولكن لا أستطيع، إنها قضية حساسة"

ألح طوني، وعيناه تحدقان في كريس: "كريس، أخبريني ولن أخبر أحداً، أنتِ تعلمين أنني أثق بكِ"

كريس بضحكة مصطنعة، تحاول التهرب: "لا أستطيع يا طوني.

هيا، رأيتني وعانقنا بعضنا، هيا غادر، لدي عمل"

طوني: "أخبري يارا أنكِ تريدين، أنا متأكد أنها لن تمانع، هي أيضاً تثق بي"

ضحكت كريس بضحكة خفيفة، لم تخفِ توترها: "أنت مضحك يا طوني!"

طوني: "من الجيد أن أراكِ تضحكين، إلى اللقاء يا طفلتي"

كريس: "إلى اللقاء"

من نافذة المنزل، كانت يارا تبتسم ابتسامة خفيفة لكريس، بينما كان مارك جالساً على الأريكة وإلياس عابساً.

التفتت يارا إلى مارك وإلياس، كانت تعلم أن السبب هو طوني وغيرة إلياس المعتادة منه.

قال إلياس بغضب متصنع، محاولاً إخفاء غيرته الحقيقية: "أنا لستُ عابساً! ولكن كيف لها أن تحب أحداً بهذه البشاعة؟ ليس جميلاً! أنا أجمل منه بكثير!"

ضحك مارك بضحك هستيري، فقد كان مضحكاً للغاية: "أنت شخص مختل يا إلياس! مجنون!"

يارا بابتسامة: "جداً، لم ترَ شيئاً بعد من جنونه"

اعتذرت كريس: "أنا آسفة، هل تأخرت؟"

سألت يارا: "ماذا كان يريد؟"

كريس: "لا شيء، فقط كان يريد أن يطمئن"

يارا: "هل أنتِ متأكدة؟"

كريس: "أجل"

يارا: "حسناً، هيا أخبرونا ماذا فعلتم اليوم، لقد اشتقت لسماع أخباركم"

بدأ الياس حديثه: "سأبدأ أنا أولاً.

ذهبت إلى المحكمة ووجدت شيئاً غريباً.

أولاً، شخص ظهر من العدم أمامي وأخبرني عن الفريد، لكن الغريب أنه قد كلم والدكِ بخصوص قضية (ويل بيت) الشاب الذي قضى على عائلة كاملة وأضرم الحريق بها، القضية التي هزت أركان المدينة.

عندها هذا الفريد قد كلم والدكِ، ولكن بماذا؟ لا أعلم، وكذلك (ميل) الذي أخبرني بهذا الأمر، لكن أنا لم أطمئن من ناحية هذا الرجل، ولا أعلم لماذا؟

هناك شيء مريب فيه، وكأن وراءه سراً"

قالت كريس، وهي تثق بحدس إلياس الذي لم يخيبها قط: "أثق بحدسك يا إلياس، هو نادراً ما يخطئ"

يارا: "وأنا كذلك"

تابع مارك وهو يتجهز ليروي ما لديه، وعيناه تحملان إثارة الاكتشاف: "أما أنا، فسأقول لكم ما حدث معي.

بداية، في وحداتنا... ليس هناك أي ملف يخص توم، لا وجود له! وكأنه لم يكن يعمل معنا قط! اختفى تماماً من السجلات"

نظر الجميع بصدمة: "ماذا؟!"

مارك: "أجل، لا يوجد له ملف ولم أستطع السؤال عنه رسمياً، هذا غريب للغاية، وكأن هناك من أخفاه"

يارا بصدمة: "أحسنت، ولكن أين ملفه؟! لماذا اختفى؟!"

مارك: "لا أعلم، ذهبت إلى الحي الذي كان يسكنه توم، وتحدثت مع جارة مسنة كانت تسكن بجواره، وقد قالت إن هناك امرأة قد زارته قبل إطلاق النار عليه، لكن الغريب أن

هذه المرأة قد قالت شيئاً عجيباً: أنهم قالوا بأنه مات على يد عصابة، ولكن الحقيقة أن هناك إطلاق نار، لكنه كان من شخص واحد، وكان قد أعطى توم ظهره وكأنه متأكد أن هذا الشخص لن يغدر به.

والشيء الأغرب أنها كانت امرأة.

سألتها: هل تعرفين امرأة باسم جاكلين؟ قالت: أجل، كانت هناك امرأة بهذا الاسم، لكنها لم تستمر هنا بالعيش إلا شهراً فقط، وبعدها غادرت، ولا أعلم إن كان هو شكلها؛ لأن شكلها يتغير باستمرار، كأنها متنكرة.

وأما الفريد، فقد قالت إنه أتى يوماً من الأيام توم ومعه شخص، وقد بدا عليه أنه فاحش الثراء، يرتدي أفخم الثياب ويتحدث بثقة، وقد قال لها توم: 'سيدتي اللطيفة' – هو دائمًا يناديني بهذا الاسم – 'رحبي معي بصديقي العزيز الفريد'

ثم أمسك بيد توم وقال: "لا تخبر باسمي، هو بدايته يا الفريد' ثم دخلا للمنزل.

ولكنها قالت: "لماذا تسأل هذه الأسئلة؟ قبل أسبوع، شخص سأل نفس أسئلتك، وقد طلبت منه مواصفات دقيقة"

نظرت يارا بتوتر شديد، وقلبها يخفق بقوة: "من؟ من هذا الشخص الآخر الذي يبحث في نفس القضية؟"

مارك: "لا أعرفه، ولا أظن أنكِ تعرفينه، لكن يبدو أننا لسنا الوحيدين الذين نبحث في هذه القضية، وهذا يجعل الأمر أكثر تعقيداً"

هنا قالت كريس: "أما أنا ويارا، فقد بحثنا في كل شبر بهذا المنزل، ولم نجد شيئاً أبداً، لا يوجد أي دليل هنا، وكأنه منزل خالٍ من الأسرار"

مارك: "كريس، طوني غني جداً، ولديه نفوذ وعلاقات كثيرة"

يارا باستغراب: "أجل، ماذا تريد منه؟ ليس المال"

مارك: "ليس المال، ولكن هل لكِ أن تسأليه عن شخص غني اسمه الفريد، ولديه نفوذ قوي كذلك؟ ربما يعرفه أو يسمع عنه، فقد يكون لديه معلومات ثمينة"

نظرت كريس إلى يارا، تنتظر موافقتها على هذه الفكرة.

سألت يارا إلياس: "إلياس، ما رأيك؟ هل يمكن أن يساعدنا؟"

أجاب إلياس بتفكير، محاولاً تقييم الفرصة: "لا توجد فرصة كبيرة، فهناك الكثير من الأثرياء الذين يحملون هذا الاسم، ولكن من الممكن أن يساعدنا في تضييق الخناق إذا كان يعرف شخصاً بهذا الاسم وله صلة بتوم أو والد يارا"

يارا: "حسناً، اسأليه هذا السؤال فقط، وإن سألكِ بأنكِ قلتي، فقولي له بأنني رفضت الحديث في الموضوع، وأن الأمر لا يخصه"

نظرت كريس باستغراب: "ماذا؟ لماذا هذا الغموض؟" قربت يارا شفتيها من أذن كريس وابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم قالت: "هيا، لنفترق الآن وغداً لنا يوم جديد.

هيا، تصبحون على خير، سأنام أنا وكريس هنا اليوم في منزل أبي"

مارك: "هيا إلياس، ولنغادر، وإذا أردتم شيئاً، أخبروني على الفور"

أغمضت يارا عينيها بالإيجاب، في إشارة إلى موافقتها.

ابتسم مارك ابتسامة دافئة هنا وقال: "أقبل هاتين العينين الجميلتين" ثم ابتسمت يارا بخجل وقالت: "هيا غادر"

عندما خرجا إلياس ومارك من المنزل.

إلياس: "أبارك لك يا صاح، قد فزت بها، أنا أعلم، هي لم تبتسم هكذا إلا قبل وفاة أبيها، وقد فقدت ابتسامتها مع أبيها، عيناها كانتا تلمعان كنجوم الليل"

مارك: "أعلم، إني أشعر بها، أشعر بكل ألمها وحزنها، وأريد أن أخفف عنها"

إلياس: "هيا أوصلني معك إلى منزلي"

مارك: "قبل ذلك، هناك مكان أريد أن أذهب إليه، ربما نجد شيئاً يغير مجرى القضية بأكملها"

إلياس: "حسناً، هيا بنا"

توجه مارك إلى بيت توم، منزل صديق والد يارا المقتول، وقد دخله بخفية تامة، متسللاً كظل في الظلام.

أشعل المصباح الصغير الذي يحمله بيده، وبدأ يبحث هو وإلياس في كل زاوية، كل شق، وكل مكان يمكن أن يخفي شيئاً.

البحث كان مضنياً، والتوتر كان يخيم على الأجواء، وكأنهم يبحثون عن إبرة في كومة قش.

بعد بحث طويل، وجدا حقيبة معدنية مخبأة في مكان سري، خلف لوح خشبي في أحد الجدران، مكان لا يعلمه سواهما.

كانت عليها دماء قديمة وجافة، تشير إلى أنها بقيت مخبأة لفترة طويلة.

قال مارك، وعيناه متسعتان من الصدمة: "إلياس، هل يا تُرى هو حل للغز أم أنه لغز آخر يضاف إلى قائمة الألغاز؟"

كانت الحقيبة تبدو وكأنها تحمل سرّاً كبيراً، وقصصاً لم تُروَ بعد.

إلياس بجدية: "لا تلمسه، ودعني أطلب مساعدة فيكتوريا، هي فتاة أثق بها جداً، وتعمل في قسم التحاليل الجنائية، لن تخبر أحداً عن أي شيء، ولكن هل نخبر يارا وكريس؟"

مارك: "دعنا نعرف لمن الدماء، وإذا كان هناك بصمات لأحد عليها، لن نخبر أحداً الآن، حتى نتأكد من الأمر، حسناً؟ لا أريد أن أثير قلقهما قبل الأوان"

إلياس: "حسناً، سأتصل بفيكتوريا على الفور"

مارك: "بسرعة أرجوك، ولكن دعها تأتي إلى منزلي، سأبحث عن كيس متين لأحمله معي، لا أريد أن أترك أي أثر هنا، فنحن في مكان حساس"

إلياس: "حسناً، لنأخذ الحقيبة المعدنية التي غطتها الدماء، هناك الكثير من الأسرار في بيت توم، وبالذات في البيت المسكون بجواره الذي كان يُراقب منه توم.

وكان هناك من يراقب بيته، وأتمنى ألا يكونوا قد لاحظوا أننا كنا بداخل المنزل"

مارك: "هل لاحظت ذلك؟ كنت شاكاً بهذا الأمر، لا أتوقع أنهم شعروا بنا؛ لأنه لو شعروا بنا لكنا قد أصبحنا من الموتى الآن، ما الذي يخفيه أبو يارا وتوم ومن خلفهما؟ يا إلهي! هيا لنخرج بهدوء تام، وبدون ترك أي أثر"

إلياس: "أتعلم أنك ذكي؟ من الجيد أنك أوقفت السيارة بعيداً عن هذا الحي المريب"

مارك: "المرأة العجوز التي حققت معها ليست مريحة يا إلياس، وكذلك كنت أشعر أنها هي من تحقق معي وليس أنا، وللمرة الأولى أشعر بأني ضائع تماماً في هذه القضية، وكأنها تائهة في متاهة"

إلياس: "انتظر، هذا اتصال من فيكتوريا"

ثم أجاب الهاتف بصوت خافت، محاولاً عدم إثارة الشك: "فيكتوريا، أنا آسف أني أتصل بكِ في هذا الوقت المتأخر من الليل.

ماذا؟ لا لا، لا أريدكِ أن تذهبي للحانة! أريد منكِ أن تأتي لهذا المنزل، منزل مارك"

ثم ضحك: "فيكتوريا ما هذا؟ أنتِ تعلمين بأني أعتبركِ صديقة مقربة، وأريدكِ بأمر لا أريد من أي أحد يعلم به، وبالذات في العمل، إذا كان الأمر ليس شاقاً عليكِ، هناك حقيبة ومليئة بالدماء، وأريد أن أعرف دماء من، وكذلك إن كان هناك بصمات على هذه الحقيبة.

هل تستطيعين أم لا؟

أجل، شكراً شكراً لكِ.

حسناً، بمجرد أن أصل للمنزل سأرسل لكِ الموقع.

شكراً يا صديقتي، أنتِ منقذة"

مارك: "هيا لنسرع، لنجد سيارة أجرة، وكذلك لنذهب للمنزل قبل أن تنام فيكتوريا"

إلياس: "حسناً، لنركض يا صديق، الوقت يداهمنا"

ملح.. كذر الرماد

قصة قصيرة للكاتب
أحمد فاروق بيضون

اليوم عيد ميلادي والموافق احتفالية العيد المجيد، كثيرون يتمنون الانطلاق إلى هذا العالم ليستظل بأوار شمسه ويقتبس ضياء بضاً من قرص القمر، وتلفحه رمضاء شواء يتسلل بخاره خلف الأسوار، يهللون ويتسامرون ويرسمون ابتسامة تشي بتلك الانفراجة، والانعتاق والتحرر من أغلال الزنزانة، ليس وقتاً مناسباً لتصفية الحسابات.

ينظرون لبعضهم البعض ويتراصون كأسنمة تتمايل وتصدح بأصوات تتهدّج وتجفل بصخب أصدائها عبر الجدران المصمتة، المفتش يخترق الطاولة.. واحدة تلو أخرى حتى سمع زعيقاً لمتجهم مفتولٍ عابسٍ يعرفه جيداً.

على ما يبدو لديه (بصاصين) من ثلة ماكرة تتهافت على ضحية لا حول لها ولا قوة؛ فتسبح في سيل من الدماء بعدما يزهقون روحها.

لا غروَ بأنه مضطر لإظهار حنكة وفطنة لطريقة التعامل مع ذاك الذي يضرس أنيابه، أدلفَ مباغتاً: "أين الملح...؟" سؤال في غاية الغرابة بالنسبة لهذا المشرف الذي اعتاد أن يرى مائدة الطعام لا تخلو من الملح الذي يضاف كمقبلات لوجبة مخصصة لنزلاء السجن؛ ليصبح الطعام مستساغاً.

سأراقب الحدث عن كثب، بينما يفصلني عن مسرح المواجهة كرسيان.. يطمس معالمهما شخصان من غيلان المصارعة يتبعان رسائل سيدهما لتتمّة رقصة الضباع.

موقعنا ناتئ عن المعمار بمئات الأميال، ولا شيء في المحيط سوى أكواخ وكبائن للغجر والمطاريد، التحصينات على أعلى مستوى بتلك القفار والثكنات، هدوء يتوسد بالخارج ووطيس أتون سينفجر بالداخل، وأنا أخشى ما أخشاه من انخراط الحابل بالنابل، وتتقد شرارة معركة

تاريخية بين الرعاع والنبلاء، بيدَ أنني أعلم بأنني مظلوم تم الزج به في قضية لمجرد أنه أضاف ملحاً من نوع آخر لجروح متقيحة في مؤسسة خربة تموج في الفساد، الكل هنا سواسية، ولكن لابد من تنصيب الأكثر شراسة كضليع في التبلّس كهذا الهائج.

ماج الوحشان أمام مرأى محاجري الشاخصة، يتجهان صوب صويحب مدجج ببعض النياشين، وخلفه فرقة معتقة بالبارود علَّه ينفعها إن انبجست شارة البدء.

صوت صكيك أقداح يفزعني، وكأنها جحافل من المعالق جيشت طنينها.

فجأة.. انطلقت صافرة إنذار لا أعلم مصدرها، تم إشهار الصواعق وجلجلت نيران رصاصات، وأنا ألتهم وجبتي متوارياً بين مغاوير صمتي بأنين أكتمه في وشاحي، الذي ما لبث أن غاص في وديان دماء قانية، بتُّ أشعر بأني على بعد خطوة من الموت الزؤام، وسأرجئ أحلامي الوردية باحتفالية يوم مولدي وقدسية شعائر تلك المناسبة حتى ولوج ديار أخرى.

يا لحظي العاثر!.. لكن الوصول الذي أرجأه ذاك الطاهي الغير آبه إلى ساح الاقتتال ووديان الثأر بسبب انعدام الملح، قد وأد الفتنة وأطفأ الثائرة، لا غرو بأنه تأخر كثيراً!!.

أرتال من مُغلفات تحوي ذاك السم الأبيض ملأت القاعة، حتى تناثر لونها الأبيض على تلك الأجساد المسجية المحتضرة بعضها، والآخر مصاباً، أما أنا فَنجوت بأعجوبة وأعرف أن تناول الملح هذه المرة يعدّ انتحاراً، حتى يتجلط الدم ويندمل قطع على إثر الشظية الطائشة.

لم أنبس بكلمة، ولكن تناهى لأسماعي أخيلة من شتائم وألفاظ نابية، وسليق تلاسن ينسغ أصحاب الهيمنة، (القصاص.. القصاص).. غمغمات بتلك الكلمة تكاد تقتلع زفراتي وأنا مطأطئ الرأس وأكمل ما بدأت.. ليصبح فتات وكسرة وشطرة ثمَّ بقايا ذكريات لأحلام مبتورة زائفة.

صحيح بأن الملح أنقذَ مطعمي، لكن عجباً.. شاحت نظرة مني وأنا أسمع من يناديني باسمي بين عالمَين بعدما تلاشى الغول ومناصريه، وكذلك قوات منع الردّة وإعادة الانضباط كما أنعتهم.

حسناً.. اسمي المنادى.. "إفراج".. لأول مرة أدرك بأن للملح طعم مرارة آخر أشبه بتجرع الثرى الذي هيلَ على الجثامين إبّان موكبٍ جنائزي احتفاليّ، محمول على الأعناق في كفنٍ كبياض الملح الناصع الخالص، منغمس في أبهى الحُلل وأزكى رائحة لوليمة فاخرة وبمعيّة الأقربين والأصدقاء.

مازلتُ أتساءل سادراً عن ذرِّ رماد يلفحني: "هل سيختفي ملح وضيمتي هذه الكرَّة في عالم فقد حاسة التذوق؛ بل أضحى متعطشاً لسائل لزج ينهمه دونما هوادة؟!"

في.. العربة الأخيرة

قصة للكاتب
سمير لوبة

على رصيف المحطة يتنفس القطار ببطءٍ، مثل عجوزٍ يتكئ على عصاً من حديد، يزحف فوق قضبانٍ تنبعث منها رائحة الصدأ والذكريات، عربة الدرجة الثالثة الأخيرة، تلك التي تتنهد فيها الرحلة وتُقال فيها الكلمات غير المسموعة، اهتزَّت اهتزازاً خفيفاً وهي تغادر المحطة، تتثاءب مثل رضيع خرج لتوه من حلم دافئ.

في الركن تجلس (أم عبد الله) تضع حقيبتها القماشية عند قدميها، وتضم إلى صدرها كيساً من قماشٍ به دجاجة مذبوحة، ملفوفة في كيس بلاستيكي أبيض مطبَّع بزهورٍ حمراءَ، عيناها صامتةٌ، تحاول تذكُّر وجه ابنها الذي وعدها أن يستقبلها في محطة الوصول، ولم يفعل.

إلى جوارها شابٌ يلبس قميصاً مفتوح الأزرار، في أذنه سماعةٌ تتدلَّى بخفةٍ كأنها تخجل من الضجيج، يعبث بهاتفه، وقد وضع كيس بلحٍ بجواره، يتلو صمتاً داخلياً بلغةٍ لا يسمعها أحد.

تدخل البائعة الصغيرة (سماح) ذات الاثني عشر ربيعاً، شعرها تغطيه طرحةٌ مهترئةٌ باهتةٌ، وقميصها أطول من جسدها النحيل، تحمل على رأسها صينية بلاستيكية خضراء فيها كعك، تقسم وتؤكد للركاب أنه ساخن.

تغني بابتسامة عريضة:

- يا كحك العيد يا احنا، يا شرباتات يا احنا.

فيضحك الرجال، وتبتسم لها النساء، وتشترى منها أم عبد الله كعكتين، تعطيها فوق السعر جنيهاً، وتربت على كتفها وحال لسانها يقول لها:

- أنتِ أقوى من الدنيا يا بنتي.

وسط العربة يمشي عم (شحاتة) بائع الشاي، يحمل صينيته الألومنيوم على كفٍ، وعلى كتفه سخَّان الماء، يهتز بهما كلَّما اهتزت العربة:

- شاي.. السخن.

وبحركةٍ مسرحيةٍ، يصبُّ الشاي في أكوابٍ بلاستيكيةٍ تطلق بخار الشاي الممزوج برائحة الحقول المترامية على جانبي السكة الحديدية، ومن النوافذ المهشمة يتسلل الهواء المغبَّر بتراب الطريق وحرارته، محمَّلاً بعطر الحقول الخضراء، ونقيق الضفادع.

العربة الأخيرة معرضٌ للحياة، كل وجهٍ فيها يحمل فصلاً من كتاب، وكل صوتٍ فيها يحمل رسالة، في الخلف، يجلس (أحمد) العائد من المدينة بعد أن فشل في إيجاد عملٍ للمرة الخامسة، يضع على فخذيه حافظة تحوي شهادات تقرُّ بتفوقه عند تخرجه في الجامعة، يراقب الحقول الخضراء، وعيناه تدمعان ليس حزناً، إنما من الهواء الذي يضرب وجهه ليظل متيقظًا لحاله ولا يغفل عنها.

في المقعد المقابل صبيٌ يحتضن قفصاً فيه بطتان تصدران صياحاً متقطعاً كلما اهتزت العربة، فينظر إلى أمه ويضحك، فالبطتان تؤنسان وحدته، السيدة (رجاء) تُخرج من شنطتها حلاوة عسلية بالسمسم، توزعها على الأطفال حولها دون أن تقول شيئاً؛ يتناولونها ببسمةٍ وفرحة.

القطار يصرخ بين حين وآخر، صوت احتكاك الحديد بالحديد مثل زفرة رجل أرهقته الحياة، وعلى جانبي السكة تمرُّ البيوت، وأشجار الصفصاف على الترع والمصارف، أطفالٌ في الحقول ينحنون لطين الأرض، ماشية تركن للظلال، وسماءٌ تمضي بسرعةٍ لا تشبه أي زمنٍ، العربة تتمايل كراقصةٍ أنهكها الرقص في عرسٍ بأحد الشوارع الشعبية، ولا تستطيع أن تتوقف، وكلما مرَّ بائعٌ جاء غيره، هذا يحمل الفول السوداني، وذا اللب، وذاك ألعاب بلاستيكية تصدر ألحاناً مزعجة، بينما يلقي أحدهم كتيبات الأدعية والأذكار على أفخاذ الجالسين.

محطة الوصول تقترب، تتباطأ العربة كأنها لا تريد أن تنتهي الحكاية، الركاب يجمعون حاجياتهم، النظرات تتبادل الوداع بين أناسٍ تقاسموا العيش والملح والأنفاس لساعاتٍ معدوداتٍ، يخرجون من العربة الأخيرة ببطءٍ، كمن يستيقظ من حلمٍ لم يكتمل.

أم عبد الله تتلفت في وجوه المستقبلين، فلا تجد ابنها كالعادة، تنزل وتجلس على كرسي حجري ناءٍ في أخر الرصيف، تفتح الكيس وتُخرج رغيف خبزٍ وقليل من الجبن، وتأكل.

صاحب القميص مفتوح الأزرار يتلقى اتصالاً ويقول:

- آه يا ماما وصلت.

سماح تجمع نقودها، تقفز إلى الرصيف الآخر، تنتظر القطار العائد لتعيد الكرَّة.

بينما عم شحاتة يجلس على أحد المقاعد على رصيف المحطة، يرتب نقوده، خوت العربة من الركاب كما تخلو الذاكرة من صخب النهار عند المغيب، غابت الأجساد، وانسحبت الأصوات، ولم يبقَ في العربة الأخيرة سوى (الكمساري) يجلس متعباً كمن وصل أخيراً إلى حافة نفسه، قميصه الأزرق، وقد شرب العرق من ياقة العنق حتى خاصرتيه، ملتصقٌ بجسده كظلٍ ثقيلٍ، من عنقه تدلَّت سلسلةٌ رفيعةٌ تتأرجح مع أنفاسه، تنتهي بنظارته الطبية ذات العدسات الصغيرة، وقد تجمع عليها بخارٌ خفيفٌ من أثر المسير الطويل بين العربات، في المقعد بجوار النافذة يجلس ببطءٍ، وكأنه يخشى أن يوقظ شيئاً ما في الصمت، يخرج من جيبه دفتر أوراقه، وعملاتٍ نقديةً أخذ يعيد ترتيبها بإصبعين متعبين، يمسك بقلمٍ جافٍ رخيصٍ، غطاؤه ممضوغٌ بأسنان القلق، أو عادةٍ قديمةٍ من أيام الخدمة الأولى.

المشهد كله يبدو كصورةٍ معلَّقةٍ خلف زجاجٍ معتمٍ، لا يُروى بالكلمات؛ بل يُحسّ، كرائحة نهاية اليوم في قطارٍ عجوز، توقف فيه الزمن قليلاً ليمنحه هذا السكون ليجمع أنفاسه، وحده تماماً مع هذا الصمت.

العربة الأخيرة تهدأ، يُغلق بابها الحديدي بصوتٍ مكتوم، بينما الحكايات التي مرَّت بها تظل تترنح مع الهواء، وتتحرك العربة من جديد، بشاي عم شحاتة الساخن، وبكعك سماح، وبركض (الكمساري) بين المقاعد، وبكاء طفلٍ يريد أن يجلس بجوار النافذة، رحلةٌ تبدأ من جديدٍ، لأن العربة الأخيرة باقيةٌ لا تنتهي.

قتلت بلا دماء

قصة للكاتبة

أم الخير حميد النجار

في زوايا مظلمة.. كهياكل تحتضر بلا أنفاس، حيث لا يُحفر إلا الألم، وُلدت أمل، زهرة تجترّ أوجاع الصخور لتنبثق بضوءٍ بائس.

ليست طفلة على العتبات فقط؛ بل شمع يذوب في عمق الجحيم كلما أمسكته يد القسوة.

في ذلك البيت الذي نثر الجفاء في أروقته، كصدعٍ يتسع كلما دقّ فيها صرير الباب، مراهقتها كانت بلا دفء، ضلوعها تتصدّع كل صباح من شدّة الوحدة، كبيتٍ خالٍ من هيبه القمر.

وحيدة بين إخوة قساة، وأشدهم ظلماً أخوها (جلّاد) يضرب كأنها رماد يُنسى، يغرق كبرياءها بإهانةٍ فوق إهانة.

ينهش الكبرياء كما تنقضّ النيران على الورق، يضعها لتنظيف حذائه بيدٍ ترتعش، ثم يحملق فيها ببرود المرض، كخلل لا يليق إلا بالصمت.

ثم تنهال الصفعات، كالثلج الأسود يسقط فوق قلبٍ متعب، فتنهار أفق سماواتها على الأرض.

كل كلمة تنطق بها تُنسج في قلبها كـ كابوس مقيّد بالأغلال.

صمتها صار خنادق مظلمة تحكم قبضتها على روحها، في ظل اسم (البيت) قبر حي تطؤه كل فجر.

صرير الأبواب، أنفاسها المختنقة، وحتى صدى خطواتها يحمل رسالة: (لا مكان للأحلام هنا) ورغم كل ذلك، كانت أمل تحمل في قلبها نوراً لا ينطفئ.

كانت ذكية، شغوفة بالدراسة، تحفظ دروسها، وتصنع من ساعات الليل شموعاً تقرأ على ضوئها.

وعندما وصلت إلى الصف التاسع، كانت تستعد لامتحانات مصيرية، تحلم أن تنجح، أن تُغيّر مصيرها.

لكن الحلم لا يكتمل حين تسكن بين أناسٍ يكسرون الأجنحة.

في ليلةٍ شديدة البرودة، دخل أخوها الآخر – الذي لم يكن أقل قسوة – إلى غرفتها، مزّق كتبها، دفاترها، ملازمها، ولم يترك لها شيئاً يُذكَر.

سقطت الأوراق على الأرض كأنها أحلامها تُنتزع أمام عينيها، شعرت وكأنها تُسحب من الحياة نفسها، سقطت الأوراق على الأرض كأنها أحلامها تُنتزع أمام عينيها.

في زوايا مظلمة تشبه رؤوس الجدران المتهالكة، ينبعث من ركن صغير صوت خافت، صرير خشبٍ يئنّ مثل قلبٍ مكسور، رائحة الحبر المنسكب تختلط بالعرق البارد الذي

تركه الصمت على جبهتها.

لم تجرؤ أمل على الحركة، المساحة حولها تضيق أكثر مع كل نفسٍ يلفح صدرها، وجاء الصمت ثقيلاً، كتوابيت تُغلق فوق حواسّها.

انحنت لتلتقط إحدى الورقات، لكنها ترددت، خوفها كُبت في صدرها، وتحسس رعشة على أطراف أصابعها، رعشة تتسع داخل جسدها، كأنها انكسارٌ داخلي.

ثم سقطت دمعة، تذوقت مرارة فقدان أمانها، ورمت بالمنديل على الغطاء الممزق، ليصبح شاهداً على جزء آخر من براءة ذابلة.

كادت تجن.

كيف ستدرس..؟ من أين تبدأ..؟ من يعينها وهي محاطة بمن يكرهونها..؟ لكن الله لا يترك عبده.

كان لها صديقة تُحبها بصدق، احتضنتها حين ضعفت، وأعارتها كل ما فقدته، لم تكتفِ بالكتب؛ بل منحتها حباً وأماناً لم تذقه في بيتها.

رغم الألم، واصلت أمل دراستها، ونجحت، وتجاوزت مرحلة تلو أخرى، دخلت الجامعة، وهي تحمل طموحات كبيرة: أن تُكمل تعليمها، أن تعمل، أن تُثبت أنها قادرة رغم كل شيء.

لكن الجسد لا ينسى الألم، وتراكمات السنين، وكأن جسدها سجّل كل لحظة وجع، وكل خيبة، وكل ليلة نامت فيها باكية.

تراكمت القسوة على روحها حتى أثقلت أنفاسها، وبدأت حالتها النفسية تتدهور شيئاً، فشيئاً، حتى انعكس الألم الداخلي على جسدها.

كان واضحاً لكل من عرفها أن المرض لم يأتِ من فراغ؛ بل تسلل إلى أحشائها من كل لحظة إذلال، من كل صفعة، من كل صرخة مكتومة.

القهر الذي عاشته في صمت، تحوّل مع الوقت إلى سرطانٍ في المعدة، ينهشها كما نهشها أخوها بالكلمات والضرب.

وفي يومٍ شديد الألم، انهار جسدها تماماً.

فحوصات، قلق، ثم تشخيص قاسٍ: (أنتِ مصابة بسرطان المعدة) انهار العالم من حولها، لكنها وقفت، كعادتها، بصمت.

لم تبكِ، لم تصرخ، فقط نظرت في الفراغ وهمست: ولماذا لا..؟ هذا الجسد تعوّد على الطعنات.

قررت ألا تخبر أحداً، أخفت كل شيء عن إخوتها، وحتى عن والدتها، التي لم تكن تعلم شيئاً.

وحده والدها عرف، ولم يقل شيئاً، إذ لم يُرِد أن يزيد الطين بلة.

نُقلت إلى مدينة أخرى للعلاج، وبدأت جلسات الكيماوي تنهش ما تبقى من جسدها.

كانت تتساقط خصلة شعر بعد الأخرى، ومع كل خصلة، كانت تسقط ذكرى، حلم، أو وجع قديم، ومع ذلك، كانت تتصل بأمها وتقول: "أنا بخير... فقط متعبة قليلاً" لكنها لم تكن بخير.

كان السرطان يأكل أمل قطعةً، قطعة، وكأنه ينتقم منها على صبرها الطويل، كانت تُقاوم، لكن المرض أقوى، والوحدة أشرس، كانت تنام على سرير المستشفى وحيدة، لا أحد يزورها سوى صديقتها، التي بقيت إلى جانبها حتى آخر نفس.

وفي ليلةٍ هادئة، فتحت عينيها بصعوبة، وضحكت ضحكة خفيفة وقالت: "كنت فقط أريد أن يحتضنني أحدهم يوماً.. لا أكثر"

ثم همست: "سامحتهم... سامحتهم كلهم... قولي لهم إنني لم أكرههم يوماً" بعدها، أسلمت الروح.

رحلت أمل، ورحلت معها كل أحلامها، دفاترها، أحزانها، وصوتها الصغير الذي ظل يقول طوال حياته: "أنا بخير" لكن الحقيقة كانت تقول شيئاً آخر: لقد ماتت أمل لأنهم قتلوها، لا بسلاح؛ بل بصمتهم، بقسوتهم، وبأحذيتهم التي جعلوها تلمعها، وهي تحلم فقط بأن تُعامل كإنسانة.

جنين القلب

قصة للكاتبة

أ. د. فتحية الفرارجي

من خلف البحر والهواء سابق الخطوات، وفي صمت جميل كانت تعلو في أذنيها الكلمات.

ولكن هالة غريبة بعيدة تخيم في بالها من بعيد، بشيء مقلق وليس بأكيد.

تزينت والزينة بهجتها لذاتها وليس من أجل نظرات الآخرين، وضحكت وهي ترتدي كل قطعة انتقتها بعناية من ثيابها ويتلألأ الفرح في عينيها وهي تبتسم لذاتها بالمرآة.

وحينما خرجت، كانت تشم رائحة نظرات غريبة خارجة من أنفاس كانت لنفسها محببة وقريبة.

لكن لا تلك المرة، بدون نظارتها ألقت بعمق عينيها في قلب الجفون، فخافت مما تخفيه وراءها وتعوذت وحينما سارت في الطريق تحسست أجنحة السيارة بجوار ذراعها، وحملتها أيادي القدر على جانب الطريق.

سقطت، تبعثرت كل مقتنياتها العزيزة عليها، تبعثرت عقارب ساعتها الجديدة بسوارها الذهبي؛ فاستعادت رؤيتها للوقت من جديد.

وأغمضت عينيها وهي تلملم قلادة رقبتها التي لا يضاهيها بريق الليل، ومعها سقط كل من كانوا يتعلقون بجوار قلبها وهم في تلك اللحظة أول الغائبين وآخر المسرعين عليها.

كل ما كان يشغلها هي أن تقف ولا شيء غير ذلك.

تلملمت وانتظر الملتفون حولها حتى نظرت إليهم وتكلمت، وقالت: "الحمد لله"

فنظر إليها من لا يعرفونها، لأول مرة ينظرون لابتسامتها الواثقة بالحمد والرضا؛ بل ابتسامتها الصافية الشفافة التي تغطي نبتات شعرها وردد معها الجميع الحمد لله.

وما أن أجلسوها على الكرسي، وقبل الإسراع بها لطبيب أو جهاز أشعة، رن الهاتف وصار الصوت جنينا في قلبها.

ومدت بنظرها على الكرسي الذي لم ترغب في الجلوس عليه، لأنها لم تعتد أن تطلب من أحد أن يسير بها في طريقها ويدفعها حينما تعجز عن الحركة.

لكن وقف الجميع يمدون أيديهم، وهي تود في تلك اللحظة الوقوف.

لكن حينما أصاب النظر خطواتها وصار كأرجل الخيل حينما تقاوم الانجراف على الأسفلت، وربما حذوة الحصان تحميه.

انبرت أصابع قدميها وهي تقاوم السقوط، وانبرى طلاء أظافرها على حبيبات الأسفلت الحامية.

تساقطت قطرات دماء ونزعت كل طبقات جلدها.

وكلما انسكبت قطرات الماء؛ كان يغسل معها الدماء.

وحينما بات من لا يعرفها يهرع لنداء الطبيب، ويهرع لنداء من يعاونها، حينما رقدت تحت جهاز الأشعة حتى لا يتركها وحدها.

لا يعرفها ويسرع الخطوات في كل اتجاه يمينا ويساراً ويبحث لها عن الدواء.

رغم أن وقته ثمين، ولكنه سعي بإنسانيته لمن لا يعرفه (أمير)

ترقرقت الدموع في عينيها حينما نام الجميع وسهرت عين عملها الذي قدمته لكل من لا تعرفه، وتسعي معهم بقلبها لخزانة بعيدة لا تملك مفتاحها.

كانت تنتظر من أسكنته وأعطته مفتاح باب قلبها.

كيف وكان صداه جنينا في قلبها، كانت تظن أنه سيخفف من وطأة ألمها..؟!

وحينما قامت، كانت واثقة من وجوده بجوارها، فهو مسامر الليل سعيد بلحظاتها، محب لصوتها.

أخبرته بمكانها وانتظرته ليجاورها.

لم يطل الانتظار طويلاً، فقد انجلي الصدأ أمام عينيها وسقط صداه من قلبها، ونبض بريق قلبها بأعين باتت تسهر على حبها، ليس كل جنين يسكن القلب يملك باباً يستحق سكانه.

وكم من قلوب لم نعرفها من قبل سكنت في القلب وملكت أبوابه.

جنين الخير لا يفني، يسبق الخطوات ويحمل ثقال الأقدار، وسقط الصدأ وأسدل الستار.

تبعثرت، تلملمت، ولدت نفسها من جديد.

وظلت تهمس في نوم عميق بعد تعب طويل: جنين الخير لا يفنى.

حين اكل البحر اسمه

قصة للكاتبة

ترتيل أحمد

أوقف سيارته عند طرف الشاطئ، ترجل بهدوء، ومشى كأنّه يعرف طريقاً لا نعرفه.

لم تكن نيّتي أن أتبعه، كنت فقط أراقبه من بعيد.

ظننتُ، لوهلة، أنني أعرف خالد جيداً، لكن في تلك اللحظة، لم يكن يشبه أحداً.

لا نفسه، ولا أحداً آخر.

كان البحر هادئاً، دون موج، دون رياح تسرق الأصوات، حتى الشمس كانت في موضعها، كأنها اختارت ألا تتدخل.

خالد خلع حذاءه، وضعه بجانب حجر صغير، ثم مضى.

خطوة، فخطوة، ثم... لا شيء.

لا مقاومة، لا ارتباك، ولا حتى التفاتة واحدة إلى الوراء.

في البداية، حسبتُه يمازحني.

خالد كان يحب المفاجآت الصغيرة.. لكنه لم يرجع.

وبعد دقائق، دخل الغياب كأنه خُلق له.

اليوم، لا أستطيع أن أتذكّر آخر ما قاله لي بوضوح، لكن نبرة صوته لا تزال عالقة داخلي.

كانت نبرة شخص يعرف أنه راحل، لكنه لا يريد أن يُقلق أحداً برحيله.

بعد اختفائه، بدأ الناس يتحدثون.

قالوا إنه غرق، قالوا إنه انتحر، قالوا.. إنه قرر أن يختفي بإرادته.

لكن خالد لم يكن من أولئك الذين ينسحبون، هو فقط.. كان يعرف الكثير.

كان يراقب بصمت، ويكتب أشياء لا نراها، وكان كلما فكّر، توتر، وكلما تكلم، راوغ.

وكأنّه يخبئ شيئاً لا يحتمل الضوء، شيئاً أكبر منه، ومنّا.

قبل أسبوع من اختفائه، كتب في دفتَره القديم: بعض الناس تُدفن قبل موتها، فقط لأنهم قالوا الحقيقة.

ظننتها جملة عابرة.

اليوم فقط، أدركت كم كانت عميقة.

لم أبحث عنه كثيراً، ولم أتناقش مع من حاولوا إقناعي بأنه اختار الرحيل.

أنا لم أصدّقهم، لأنني أعرف، حين يُسقط أحدهم عنك صوته، فالأمر ليس انسحاباً؛ بل إسقاط.

وخالد، على الأرجح، أسقِط.

ربما لم يكن يملك خياراً، وربما.. كان يعلم، وقَبِل، لأنه لم يعد يريد أن يشرح نفسه لأحد.

لم أبكِ..! لكني شعرت أن المكان نفسه خسر شيئاً لن يعود.

كأن وجوده كان حاجزاً بيننا وبين شيء غريب لا نراه.

واليوم، لم يبقَ من خالد سوى الفراغ الذي خلّفه، فراغ يشبه صوت الموج حين يصطدم.. ولا يعود.

أخبرتُ نفسي مراراً أنني لست مطالباً بفهم كل ما حدث، لكن هناك أشياء حين تقع؛ تظلّ فيك كأنها لم تقع بعد؛ بل تنتظر منك أن تراجعها ألف مرة، علّك تكتشف فيها ما فاتك.

كنت أعود كل ليلة إلى نفس النقطة على الشاطئ، أجلس حيث جلس، أنظر إلى الأفق حيث مضى، وأصغي.

ليس للبحر؛ بل لنفسي.

في الليلة الرابعة، وجدت أثراً لقدم واحدة على الرمل، تبدأ من اليابسة.. ولا تعود.

وفي السادسة، رأيت ظلًّا على صفحة الماء، كان يشبهه، لكنه لم يتحرك.

لم أقترب، خفت أن يتحول الظلّ إلى شيء أعرفه.. أو شيء لا أستطيع تحمّله.

وفي الليلة السابعة، سمعت اسمي.

مرة واحدة.

بصوت لا يشبه أحداً إلا هو.

لكنني لم ألتفت.

ليس خوفًا؛ بل لأنني أعرف أن ما اختفى في البحر، لا يعود من نداء.

بدأت أفتّش في أشيائه القديمة.

دفتره، ملاحظاته، رسوماته الصغيرة التي يرسمها على أطراف الورق، لم أجد شيئاً واضحاً..؟!

لكنني وجدت عبارة واحدة مكررة، كُتبت ثلاث مرات في صفحات متفرقة: (أخاف أن يقول أحدهم: لم يكن موجوداً أصلاً)

كأنّه كان يخشى أن يُمحى، أن يختفي بطريقة تجعلنا نشكّ أنه عاش من الأساس.

وخفت.. خفت أن نخذله حتى بعد اختفائه، لأن العالم لا يُصدّق ما لا يرى، ولا يفتّش إلا في الأماكن المعتادة.

أما خالد.. فلم يكن عادياً، ولا اختفاؤه كان صدفة.

اليوم، حين يذكره أحد، يذكره كنقطة غامضة في سطر طويل، كاحتمال.. كاحتمال مؤلم.

أما أنا، فلا أذكره كغائب؛ بل كشيء ما زال حيًّا، يمشي في منطقة أخرى من الزمن، اختارها أو اختير لها، لا فرق.

لست واثقاً إن كنت سأراه يوماً، لكنّي واثق أنّه لم يرد أن نبحث عنه؛ بل أن نفهم.

وخالد، حين يختفي، لا يعني أنه انتهى.

يعني فقط.. أن الحكاية بدأت في مكان لا نعرفه بعد.

ظل ديسمبر

قصة للكاتب

يوسف آيت بران

جلست على الأرض، قرب سريرها، وضعت الصورة في حضنها، ووجّهت بصرها نحو السقف.

لم تكن تبكي، فقط تتنفس ببطء كأنها تودّع الهواء أيضاً.

أمسكت الشفرة بيد ثابتة، ثم همست لنفسها، بصوت شبه معدوم، آخر كلماتها: أنا آسفة يا أمي.. لقد حاولت.

لكن العالم لا يسمع من يتكلم من تحت الماء، الوجع لا يُشفى.. وإنما يُنسى فقط بعد الرحيل.

كان ديسمبر قد بدأ منذ أيام، المطر لا ينقطع، والبرد يتسلل من تحت الأبواب والنوافذ، كما لو أن البيت نفسه صار غير معنيّ بالعزل.

في الطابق الثالث من عمارة قديمة، كان اسمها عمارة الهدى، جلست هاجر قرب نافذتها، تنظر إلى الشارع كما لو أنها تنتظر شيئاً، لكنها لم تكن تنتظر أحداً.

منذ سنوات، لم يطرق بابها زائر، ولا هي رغبت في ذلك، كل شيء فيها كان ساكناً، عدا عينيها، كانتا تتحركان كأنهما تبحثان عن أمّها في وجوه المارّة في زحمة الشوارع.

هاجر فتاة في الثامنة عشرة، تبدو أكبر من عمرها، وجهها شاحب، حركتها بطيئة، صوتها نادر لأنها لا تتحدث إلا نادراً، وإن فعلت، فهي تتحدث مع القط (مشمش) الذي كان أقرب شيء إليها كان يشبه الأمان.

في الغرفة القديمة، هناك آلة موسيقية من زمن الأم، وصورة لها مؤطرة بإطار خشبي، موضوع على الرف.

لا شيء يتغير في المكان، حتى الفوضى كانت كما هي.

كان والدها يكتفي باتصال هاتفي قصير كل أسبوعين، يسأل إن كانت بخير، ويغلق، لا يأتي، ولا يسأل أكثر، منذ وفاة الأم، صار بعيداً، كأن موته العاطفي سبق موت زوجته.

المعلمون في المدرسة يلاحظون حزنها، صمتها، شرودها، المعلمة خديجة حاولت مراراً أن تفتح معها حديثاً، لكنها لم تحصل إلا على جمل قصيرة، باردة، تنتهي دائماً بجملة: لا داعي، أنا بخير.

الجار العجوز، في الطابق الأسفل، كان يضع الخبز أحياناً عند بابها، لا يطرق، لا يتكلم، فقط يترك الخبز ويمشي، ربما كان يشعر بشيء لا يُقال، لكنها لم تكن تنظر إليه أبداً، ولا تفتح الباب إلا بعد أن تسمع خطواته تبتعد.

في تلك الليلة، كما في غيرها، كانت تقلب في دفتر رسائلها، رسائل كتبتها لأمها، لكنها لم ترسلها، كانت تكتب، وتطوي الورقة، وتضعها في الدرج.

كل رسالة تبدأ بجملة: أمي، أنا لا أعرف إن كنتِ ترينني الآن.. كان صوت المطر هو الشيء الوحيد الذي يملأ الصمت.

لكن هاجر لم تكن تسمعه، كان المطر بالنسبة لها مجرد تذكير بشيء قديم، شيء لا يمكن الحديث عنه، شيء يشبه آخر اتصال لم يصل.

في المدرسة، لم يكن أحد يلتفت لهاجر إلا حين يُطلب منهم تعبئة جدول الغياب، كانت تجلس دائماً في أقصى الطاولة، تفتح دفترها ببطء، وتغلقه بنفس البطء، دون أن تكتب كثيراً.

في الفسحة، لا تتحدث، تنظر إلى الأرض، تمشي وحدها، ثم تعود إلى مكانها، لم يكن أحد يضايقها، لكنها كانت تشعر أن وجودها يُزعج الجو العام.

الضحك الذي يدور في الأرجاء كان يبدو بعيداً عنها، كما لو أنه يحدث في مدينة أخرى.

كل شيء في تلك المدرسة كان يذكّرها بأنها لا تنتمي، حتى الكراسي الخشبية، كانت أكثر ثباتاً منها، وحتى الأسماء، كانت ثقيلة عليها، اسمها يُنادى في القسم، لكنه لا يرد داخلها، كأنها لم تعد مقتنعة بأن لها اسماً أصلاً.

عند عودتها إلى المنزل، لا شيء يتغير، هي نفس الوجبة الباردة، نفس الروتين الباهت، ونفس الغرفة المغلقة التي تشبهها كثيراً.

كانت تمشي أحياناً إلى المطبخ دون سبب، تفتح الثلاجة، وتغلقها، فقط لتكسر الصمت، تنظر إلى المرآة، لا لترتب شعرها؛ بل لتسأل سؤالاً لا يُقال: هل ما زلتُ هنا..؟

في الليل، كانت تكتب رسائل جديدة، واحدة منها كانت تبدأ بـ: أمي، كل شيء ينقصني.. لا أتحدث عن المال، ولا الملابس، ولا الطعام، أنا أفتقد شيئاً لا أستطيع وصفه، شيء يشبه الشعور بالاتجاه، لا أعرف إلى أين أذهب، ولا لماذا أستيقظ، الناس يضحكون، يخططون، يتحدثون عن المستقبل، وأنا فقط أنتظر شيئاً لا أعرفه.

كتابة الرسائل لم تكن فعلاً للتواصل؛ بل طريقة لفهم ما يحدث بداخلها، لكن كل مرة تنتهي الكتابة بنفس الطريقة: طي الورقة، ووضعها في الدرج.

حتى القط (مشمش) الذي كانت تحبه، صار يتجنبها أحياناً، كأنه شعر بأن صمتها بدأ يتحول من عزلة إلى هوّة.

ذات مساء، نظرت إلى دفترها القديم، حيث كانت تكتب خواطرها في أيام الطفولة.

وجدت جملة كتبتها وهي في الثانية عاشر من عمرها: أمي، أنا أحبك كثيراً، لا تذهبي أرجوك.

لكن الأم ذهبت، ومنذ ذلك اليوم، بقي كل شيء ناقصاً.

في الأسبوع التالي، تغيّر شيء صغير، هاجر لم تعد تنهض باكراً، لم تعد تغلق النافذة، ولم تعد تشغّل الراديو، كانت تفتح عينيها فقط لتدرك أنها لا تزال هنا لا أكثر.

المعلمة خديجة لاحظت غيابها عن المدرسة، حاولت الاتصال بها، لكن الهاتف ظلّ يرن دون إجابة.

أرسلت لها رسالة قصيرة: "هاجر، إذا احتجتِ أي شيء، أنا هنا" لكن الرسالة لم تُفتح.

في الداخل، كانت هاجر تعيش أيامها بشكل مفرّغ من المعنى، تأكل أقل، تنام أكثر، وتتحدث مع (مشمش) بصوت خافت.

كانت تمسكه بين ذراعيها أحياناً، تنظر إليه، وتقول: "أنت لا تفهم، أعرف، لكنك الوحيد الذي لا يغادر"

في إحدى الليالي، جلست إلى الطاولة، أخرجت جميع الرسائل القديمة من الدرج، رتّبتها، ثم قرأت بعضها بصوت منخفض.

كل ورقة تحمل صوتاً مكتوماً من الألم، وكل سطر يشبه الآخر: غياب وانتظار وتساؤلات وحنين لا يتغير.

لكن الرسالة الأخيرة كانت مختلفة، كتبتها بهدوء، وبخط واضح، دون تردّد أو شطب: أمي، لم أعد أنتظر، لا شيء هنا يخصّني، الحياة بدونك كانت طويلة، باردة، لا تطاق، لا أريد أن أعيش لأتأقلم مع الغياب، أريد فقط أن أراك، مرة واحدة، ولو في جهة أخرى من هذا الوجود، سامحيني.

وضعت الرسالة فوق الطاولة، قرب صورة أمها، ثم ملأت كوب الشاي، ولم تشرب منه، جلست بهدوء، نظرها كان ثابتاً نحو النافذة، حيث المطر ما زال ينزل، بصوت رتيب لا ينتهي.

مشمش تمدّد قرب قدميها.

الغرفة كانت صامتة، كل شيء ساكن، وكأن الزمن توقف عند تلك الليلة.

مع حلول الفجر، لم تُفتح النافذة، ولم تُضاء المصابيح.

وفي الطابق الأسفل، كان الجار العجوز يضع الخبز كالعادة عند الباب، ينتظر قليلاً، ثم ينصرف.

لكن هذه المرة، القط جاء نحو الباب، وجلس أمامه، يحك رأسه بهدوء، كما لو أنه يطلب من أحدهم أن يفتح، لكن الباب لم يُفتح، وبقي هكذا.

الجار يعود في المساء، يدق الباب.

لا رد.

وفي الداخل، بقيت رسالة مفتوحة على الطاولة، وكوب شاي بارد، وقط ينتظر صوتاً لن يعود.

عجوز الصباح

قصة للكاتب

محمد هلالي

في صباح شتوي مظلم، رأيتها، عجوز قصيرة، مقوسة الظهر، تسعى في حماس عجيب، تحمل لفافة خبز، تقطع الطريق حثيثة في ردائها الأسود القصير البالي الذي أظهر عظام أقدامها الناتئة، تعدو كأنها تسابق السحب التي تتهيأ للهطول الوشيك.

كنت كعادتي اليومية أمشي بطريقي المعتاد مهندماً في بذلتي الرسمية الأنيقة، تلاحقني أعين المارة القليلين، تارة بالإعجاب الممزوج بالنفور وتارة بالحسد والازدراء، أتفهم تلك المشاعر الإنسانية العادية ولا أستهجنها أبداً، هي الوحيدة من بين المارين القلائل التي لم تعرني اهتماماً.

كانت مصوبة العينين نحو هدف واضح في مخيلتها، وهو اللحاق بشيء ما، لا أدري ما هو ذلك الهدف على وجه الدقة، خاصة أن أغلب ملامح العجوز كانت مختبئة خلف غطاء رأس محكم، كانت أسرع مني قليلاً رغم طولي الفارغ وقوامي المعتدل، لكن خطواتها -ويا للغرابة- كانت سريعة جداً، وبها مقدار عظيم جداً من الإرادة البشرية الصلبة.

لا أعلم ما الذي دعاني إلى تغيير مسار خطواتي الواثقة برحلتي اليومية كي أتبعها، خاطرني شعور بالفضول، أردت أن أعرف وجهتها، تبعت حدسي على غير العادة، تخليت عن انضباطي المعتاد وحرصي على الالتزام بخططي المسبقة.

أكاد لا ألحق بها، تلك العجوز القصيرة التي تطوي الأرض طيّاً في نشاط مثير للإعجاب والتساؤل، تنظر بين الحين والآخر لما بين يديها من خبز طازج يصعد بخاره المقدس في الأفق، ثم تتطلع للسماء كما لو كانت تهمس للرب راجية أن يحبس انهمار السحب المتكاثرة فوق رأسها بالفيض المبارك.

خاطرني حدسي ثانية: لا تضع وقتك بالسير خلف هذه العجوز، لن تجد بالنهاية ما يستحق، جدة عجوز لصغار يتامى رفقة أمهم الشابة النحيفة التي تبذل جهدا لإدرار اللبن من صدرها الجاف لصغارها الكثر إثر الجوع والبرد، ربما مات أبوهم الشاب فجأة أو أقعده مرض لا يغادر، فخرجت العجوز مرغمة بدافع الشعور بالواجب والمسئولية

رغم مرضها الظاهر في اصفرار جلدها، خرجت وحيدة في ذلك الصباح الشتوي القاتم لجلب الخبز للجميع.

قررت الانسحاب، ولكني مع أولى خطواتي على طريق العودة، شاهدت على خدها المجعد دمعة كبيرة توقفت بواد عميق، وادٍ طولي من بين أودية متعددة تصل ما بين عينيها وفمها الصغير ذي الشفاه الزرقاء من أثر الصقيع.

ترى ما سر تلك الدموع أيتها الجدة..؟!

ألهث خلفها من بعيد في أزقة ملتوية لم أعتد عبورها من قبل، كيف لم أجتز تلك الأزقة طوال أربعين عاماً..؟! هي سنوات عمري الطويلة، كأنني غريب، ولست من سكان تلك البلدة.

كانت آبار الصرف الصحي بلا أغطية، حتى بعضها شبه المغطى كان طافحاً بمخلفات الإنسان ودلائل دنوه، راعني قدرتها العجيبة على تفادي السقوط بالماء القذر ذي الرائحة المنتنة، كراقصة باليه روسية محترفة ممن يتراقصن على الشاشات البيضاء في نحافتهن ومهارتهن البديعة، كانت تعبر في سهولة ومرونة محافظةً على ما بين يديها من كنوز الحياة، لا تنظر أبداً إلى ما بين قدميها، بينما تعثرتُ أنا عدة مرت وكدت أسقط.

أحست بي لما عبّرتُ عن غضبي بصوت اعتراض مختنق، رمقتني بامتعاض وسخرية ومضت في طريقها لا يفتر نشاطُها ولا تقل سرعتها.

اضطربتُ قليلاً، هل شعرت بمراقبتي لها، أم أنها كانت تسبني في سرها ناعتةً إياي بالحداثة واللين، لم أنجح بالحفاظ على حذائي نظيفاً، لكنها نجحت رغم أن حذاءها البالي لن يتأثر كثيراً إن لحقته قذارة الأزقة وعفنها.

تعمدت التراجع قليلاً، رأيتها تنحدر إلى زقاق جانبي ضيق، قلت في نفسي: إن براعتها في السير بين القاذورات وبرك ماء الصرف الصحي عبر الانتقال بقدمين رشيقين فوق أحجار صغيرة متباعدة خطرة تنبئ أن السيدة العجوز معتادة على ذلك، ربما هي من وضعت تلك الأحجار وصفّتها في مواضعها المحددة عبر الزقاق الطويل.

أخرجت منديلاً ورقياً وتوقفت عند نهاية الزقاق أمحو عن حذائي بعض قذارتي بالتبعية، حين انحنيت شاهدتها تصل نهاية الزقاق الفرعي المسدود بجدار أسمنتي قصير، أملت رأسي أمسح حذائي حتى إذا التفتت بالنهاية رأتني منشغلاً به، حين اعتدلت واقفاً كانت قد اختفت تماماً.

شعرت بالإحباط، كان علي أن أظل مراقباً لها، هل أعود أدراجي وكفاني ما خضت من خطوات..؟ كان ذلك اختياراً مستحسناً في عقلي، التفتُ عائداً، لكن شيئاً ما استوقفني، إنه صوت عراك، وصرخات تستغيث.

كان الزقاق خالياً كأنه قبر مفتوح، وجدتني وحيداً في الفراغ الخانق، تردد السؤال في عقلي، هل أذهب أم أذهب..؟ قلت في نفسي: هل قادتني العجوز لحكاية أخرى غير حكايتها العادية القديمة، لم لا، ربما..؟!

أطلقت ساقيّ ووصلت إلى نهاية الزقاق حيث الجدار الأسمنتي الذي لا يسمح للرائي بالتطلع إلى ما خلفه، أصوات الشجار تخبو وتشتعل، اقتربت من نافذة خشبية خفيضة بالية، تساقط منها القليل من أجزائها ذات اللون الحائل، الفتحات الكبيرة سمحت لي بمشاهدة المشاجرة عن قرب، كانت العجوز نفسها مكومة محاصرة على أريكة قديمة بنية اللون يخرج القش من جنباتها، يحاصرها شاب قوي فارع الطول قاسي الملامح غاضب النظرات، يحمل بين يديه حزاماً جلدياً سميكاً أسودا، ينهال به ضرباً على جسد العجوز التي تحاول إخفاء أرغفة الخبز من ضرباته القوية، بينما تحاول فتاة شابة جميلة منعه من استكمال هجومه الوحشي الضاري على العجوز الضعيفة قائلة في يأس: "حرام عليك، إنها أمك..!"

بينما تقول له العجوز في توسل وانكسار عظيم: "استمع إلى كلمات امرأتك، أنا أمك، حرام عليك أن تفعل بي هذا"

توقف عقلي قليلاً وأنا أحاول ترتيب الأشياء والأحداث، بينما الشاب الغاضب يلعن أمه العجوز دون زوجته الشابة، يحرص على توجيه ضرباته لجسد أمه المرتجف التي تمارس حرصاً مغايراً على ألا تتمزق أرغفة الخبز التي ستطعمه إياها بعد قليل، لم تبكِ رغم شدة الضربات المتلاحقة، لكن حين ارتفع صوته بالسباب ووسمها بالعهر

والوساخة، بكت العجوز، سمعتُ صوت البكاء عالياً.

ما هذا الجبن الذي ينتابني، لماذا لا أقتحم عليه همجيته البدائية..؟ وأستلب السوط من يده وأوسعه ضرباً، لم أفعل، لا تثمر النوايا الجيدة شيئاً إن لم تتبعها أفعال حازمة، نجحت زوجته الشابة أخيراً في تهدئة غضبه، جلس عصبياً، وقال في اعتقاد: "هي السبب، تتأخر كل يوم في إحضار الخبز، وتحضره إلينا بارداً"

لما أمنت العجوز غضبه، حركت جسدها النحيل في بطء، حافظت على استواء الخبز بين يديها، ملامحها تبدي تجلداً كلما نظر لها في تحفز واستعداء، وضعت الخبز في حجر الشابة، ربتت على كتفها وقالت في سكينة واقتناع: "أعدي له الإفطار، قبل أن يبرد الخبز، الجو اليوم بارد للغاية"

مازالت تبكي، خرجت إلى الزقاق، كان المطر الغزير يغسل الزقاق من قذارته، ورائحته الطيبة تقاوم انتشار الرائحة البشرية السيئة، لم ترني رغم أني كنت واقفاً أستند إلى الجدار يائساً حزيناً، كان بيدها منديل أبيض تحول لونه إلى الاصفرار، شرعت تستكمل البكاء وصوت نهنهتها يعلو شيئاً، فشيئاً.

اقتربت منها مترددا، يكاد قلبي ينفطر والمطر يهطل أكثر، مسحت على رأسها بيد حنون، انتبهت معتقدةً أنها يد ابنها العاق، في تطلعها الراجي حملت ابتسامة حلوة عوضاً عن الدموع، لكنها حين رأتني استحال وجهها عبوساً غاضباً، دفعت يدي بعيداً، وقالت في حنق وعدائية كبيرة: "من أنت..؟ اذهب من هنا، الله يلعنك"

لم أعلم ماذا يجب أن أفعل..؟! استدرت عائداً، قطعت ثلاث أو أربع خطوات، توقفت، عدت إليها، جثوت عند قدميها غير مبال بالماء والطين، رفعت وجهها لي، كان غارقاً في الأسى والدموع والألم، تجاعيده ترتعش تشكو العجز والكبر والتحول.

قلت لها في خجل: "هذا ليس ابناً صالحاً، لا بد أن تطلبي من الشرطة حمايتك"

كان المطر يسفح غزيراً وجهينا معاً، دموعنا المالحة اختلطت بطهارته البكر، شعرت أنها أمي تسألني النجاة من توأمي السيئ، ذاك الوحش الجالس خلف النافذة البالية يأكل خبزها بشراهة ونهم، وبينما نتبادل نظرات مودة لأول مرة منذ لقائنا القصير، إلا أنها انتفضت فجأة، استحالت وحشاً، انتزعت حذاءها البلاستيكي الرديء، فظهرت لي عظام قدميها بشعة الهيئة، وضعت الحذاء بوجهي تماماً، وقالت في تحد: "لعنة الله عليك، أنت مَن أفسدت علينا هذا الصباح، اذهب، عليك اللعنة"

البيدق يترقى

قصة للكاتب

محمد محمد السنباطي

على مقهى المحطة، زجاجيّ الواجهة، امتدت رقعة الشطرنج بينهما، والليل جاثم على قضبان السكة الحديد التي كتِبَ عليها أن تنتظر مرور العجلات الحديدية فوقها، ويلمع جزءٌ منها تحت ضوء مصباح هزيل معلناً عن يقظة دفينة.

بإصرار على الفوز ترسب في قلبه من أيام الخدمة العسكرية شرع يرصُّ القطع البيض في الصفين القريبين من صدره.

ألقى على خصمه نظرة متحدية بعد أن نقل البيدق الذي أمام الملك الأبيض خطوتين.

تلك هي الجولة الثانية التي سيُطلق عليها (جولة الأبطال) بعد أن سميت الأولى (جولة الشهداء) ويبدو أن رذاذ مطر خفيف بدأ يتناثر في الخارج لأن رصيف المحطة المبلط حديثاً بدا الآن نظيفاً مستحمًّا وثياب المارة غطَّاها بعض البلل.

أما طقطقات المطر فتذكره بطقطقات الفشار المستغيث في الوعاء المطبق فوق النار.

لن يصرف انتباهه شيءٌ عن جدية المباراة فهي مباراة حياة أو موت، وسيحمل على عاتقه استرجاع حق الشهيد.

مع ذلك يلاحظ قدوم القطار وإغلاق المزلقان وازدحام (التكاتك) المتراصة والعربات المتذمرة قبل أن يأتي إليه عراك صريف العجلات مع القضبان التي نفضت النوم عن جفنيها لتعيش لحظات الاحتدام.

وفي الكمين جنوب (الشيخ زويد) كان ثمانية من البيادق الجدد قد انضموا حديثاً للقوة وانتشروا في أرجاء اللوحة مجهدين بعد ساعات طويلة من السفر المضني.

تفقدوا المكان بأعين مترقبة يرتد طرفهم عن (شكائر) الرمل المتراص بعضها فوق بعض هابطاً باتجاه الملجأ المدفون بجوف الأرض.

ثم يحدقون في كتل المدفعية الرابضة المتأهبة أبداً.

يتطلعون في الوجوه القديمة التي أحرقت الشمس أديمها.

تدور أعين البيادق الجدد في الأرجاء القاحلة تتشمم دخان الخطر.

قلوبهم وجلة إلى حد ما، فطمأنتهم البيادق القدامى: كنا مستجدين زيكم كده، ثم انقضت الأيام سريعاً فلا تقلقوا.

المكان هنا هادئ إلى حد كبير، أهدأ من غيره.

لكن صوت شاويش ضخم الجثة، يشبه الحشرجة فاجَأَهم:

- شدوا حيلكو يا أبطال، انتوا اللي هتاخدوا حق الشهيد..! سيتولى القدامى شرح مثل تلك المصطلحات فلا تتعجلوا..!

في الأيام الأولى لا يفكر الجدد سوى في استئناس المكان ومصاحبة القلق والتعود على شيئين: نسيان الأهل إلى حين، وملاحظة الفئران الصغيرة المارقة كالسهام إلى جوارهم وهم نيام في الخندق.

يقفون في الخدمة مشدودين لأوقات طويلة ثم يسقطون في نوم كالإغماء، كلنا مررنا بهذا.

- هجوم مزدوج: كش ملك وطابية..! الحصان يفعل ما يريد..!

وكان ساعتها يحمل الـ (آر بي جيه) ويسرح بخياله إلى خطيبته التي فسخت خطبتها به لأنه لم يجد وظيفة حتى الآن.

عندما تردد صوتٌ حازمٌ من مكبر صوت صغير يحذر كل من في الكمين من خطر داهم؛ فإحدى العربات المعادية تم رصدها تندفع بأقصى سرعة باتجاههم ولا تتوقف رغم التحذير المتكرر، ورغم إطلاق النار عليها.

تمكن بيدق أسود من التقاط فيل أبيض في لحظة شرود، لكنه لم يشرد ساعتها وتحول إلى كتلة من الانتباه والتحفز، فهو الذي كان عليه مواجهة تلك العربة.

الموقع كله يقع الآن تحت مسئوليته ومدى تحكمه في

أعصابه ودقة التصويب الذي سيقوم به الآن.

يعرف ماذا يفكر فيه هؤلاء الأعداء الجدد.

يريدون تفجير العربة في الموقع، وتحدث حالة من الهرج والمرج فينقضون على المدافع ويستولون عليها ليضربوا الجيش بأسلحة الجيش.

عيناه على المكان الذي ستظهر منه العربة، ومع ذلك ألقى نظرة جانبية سريعة فرأى الترقب الفزع على ملامح البيادق الجدد والقائد يشجعه بكلمات، وهو كتمثال متأهب وثابت.

لم تصدر الأوامر إلا إليه هو وحده حامل الـ (آر بي جيه) من كان عليه ردع الطابية المندفعة نحوه كالقذيفة.

تجمد تفكيره لحظات، وقد رآها الآن فقال لها تعالي يا امرأة تسكنها الجنيات..! سأشطرك بأجمل قذيفة عندي..! وبالفعل أحكم التوجيه وضغط في الوقت المناسب.

رآها وهي تنفجر في حريقها، فإذا بالورك الطري في ناحية، والذراع البيضاء الناعمة مغطاة بالدم في ناحية، وحقيبة اليد ملقاة هنا، والكعب العالي هناك والرأس المقطوع ما يزال يلوك العلكة (ويطرقع) بها.

فابتسم..! اتسعت ابتسامته.

وجد نفسه ملقى على الأرض وزملاؤه فوقه يعانقونه ودموع الفرح من عيونهم تسيل.

كان هو منهمكاً في إعادة تشكيل الأنثى على هيئة حمامة، وصار محور ارتكاز الفخر.

أعطاه فيلُ الكمين من جيبه الخاص مبلغاً من المال فخوراً بشجاعته.

وعندما اتصل به الوزير يشكره؛ وعده بمكافأة مالية من جيبه الخاص أيضاً، وبترقية.

البيدق سيترقى إلى عريف، والحمامة كانت قد أتمت جمع أشلائها فاحتضنها وقبلها، ورفع يده وأطلقها في الريح صائحاً بها: طيري إلى مكان عامر بالخضرة..! هيا يا امرأة تسكنها الجنيات..!

ألف جنيه من الوزير ونصفهم من الفيل، وأدفع لك ثمن فستان الزفاف لو كان المبلغ يكفي..!

وشيئاً، فشيئاً، رأى الدخان الأسود وشمَّ رائحة البارود و(الكاوتش) المحترق والأشلاء المتفحمة لصبي أوهموه أنه سيدخل الجنة..!

- كش ملك يا بطل..!

- الملك محمي بالفيل..!

- انت بتهرج..!

لم يكن يهرج في ذلك الزمان ولا في ذاك المكان.

وكانت التنبيهات تأتيهم بأن طيراننا سيدك الجبل، وأن عليهم اليقظة، وبعد قليل ينهمر الأزيز الراعد وتزلزل الأرض من قوة الدك.

إذاً.. فقد تم تحديد مكان الأمير، وتلك قطعة لم تكن موجودة على الرقعة الشطرنجية في غابر الأيام وإن كانت فكرتها قديمة متداعية.

وبدون (كش أمير) انطلقت الصواريخ تجاه هدفها المتخفي، وها هي على الشفاه تتردد عبارة (حق الشهيد) وها هم البيادق الجدد الثمانية يشعرون بأن التاريخ يكتب هنا أمام أعينهم، وأن الدور عليهم لكتابة بعض السطور الجديدة فيه.

وتمر الأيام المتبقية له في الخدمة، وترص قطع مكان قطع، وتبقى اللوحة حافلة بالذكريات.

انقطع المطر في الخارج وخفت الرجل، ولفحة حنين دافئة شرعت تعبر القلب كأنها خارجة من فرن.

مر قطار سريع لم يقف في المحطة، وما زال الصوت الفخم يتردد في أذنيه واعداً بالمكافأة والترقي هو الجندي المجند حامل الـ (آر بي جيه) الذي لم يكن قد تبقى له في الخدمة العسكرية سوى شهرين مرَّا على خير.

- تلعب دور تاني..؟

- كده تمام..!

الأم زمرد

قصة للكاتبة

آية مصدق

كادت العاصفة الثلجية أن تقتلع المنازل المصنوعة من الطوب والحجارة من جذورها.

عاد الشتاء هذا العام باكراً وكأنه يحاول قبض الأرواح التي لم يقتلها الوباء في الخريف.

بالنسبة لسكان مملكة (ألثيرا) الموت بالوباء أو بالبرد ليس مهماً، المهم أن لا يكونوا وجبة لوحوش (الغلاثيرا) التي يُفترض أنها انقرضت منذ مئات السنين.

لكن حادثة اختفاء تاجر الجملة ومن معه واحتراق قافلتهم أعادت (الغلاثيرا) للمسرح، فهي وحوش نارية لا تترك خلفها سوى الرماد.

لم يكن أحد متأكداً ما إذا كانوا هم أم لا، لكن الجميع تأكدوا أن الشتاء هذه المرة لن يعود وحده.

التفت الأم (زمرد) بالبطانية التي بالكاد تكفي لها ولولدها، حرصت أن تجعل الطفل النائم دافئاً في حضنها، فالصقيع حارق، وكلما اشتد البرد اشتدت نيرانه.

كان الصغير نائماً بأمان في حضن والدته، يعلم أنه لن يتأذى هناك.

داعبت الأم خده، يشبه والده كثيراً بعيونه السوداء كحبات زيتون لامعة، بشرته الحنطية، وأنفه الحاد، وشعره الكستنائي.

رغم أنها تكره زوجها كثيراً، لكنها لن تكره ابنها أبداً، روحها متعلقة به وأنفاسها رهينة وجوده.

أشاحت بوجهها إلى النافذة، كانت السماء خالية من مصابيحها، مظلمة وداكنة كحفرة عميقة بلا نهاية.

هدأت العاصفة وبدأت ندف الثلج تطرق الزجاج بلطف.

ظلت تتأملها بهدوء وهي تحاول اختراق النافذة والدخول إليها، على الأقل هي تسعى لما تريد، أما هي، أم ثلاثينية شاحبة الوجه وكأنها خرجت للتو من مغسلة الموتى، رسم الشيب خطوطاً بيضاء على شعرها الفاحم واغتال ظلمته.

جسمها هزيل بسبب قلة التغذية، مجرد أم بائسة تركها زوجها لغول الوحدة، لولا وجود ابنها لوضعت حداً لهذا الجحيم.

تنهدت بعمق، وأنذرتها الدموع بالنزول لو لم تطفئ السراج وتخلد للنوم.

سقط السراج من يدها على السجاد، وسرعان ما تحررت النار وبدأت تلتهم السجاد.

شعرت الأم بالذعر، ولم تفكر سوى بابنها زين.

منحتها غريزة الأمومة قوة لم يعهدها جسمها الهزيل، وسارعت بحمل ولدها والهروب من النيران، التي حرقت جزءاً من ذراعها.

تحملت الألم ونجحت في إنقاذ ابنها.

عندما أصبحت في الخارج، شلت الصدمة حركتها واحتلت أدق تفاصيل وجهها.

عكست عيناها الزرقاوان ألسنة اللهب المرتفعة، لقد كانت المملكة تحترق أمامها.

فجأة، التقطت مسامعها صوت أنفاس تتردد بقوة خلفها، بدت وكأنها أنفاس وحش.

قطع غيار

قصة للكاتب
شعيب الحربي

أوصيتُ أمي أن توقظني مبكراً، عليَّ أن أغتنم الفرصة، أعضاءٌ جديدة وبأسعار مناسبة ستكتسحُ أسواق (صنعاء) غداً، هذا ما قرأته في إحدى الصحف المحلية قبل أيام، أخي (الأفطَس) أخبرني متحمساً أنه يرغب في شراء (أنف) كبير وجميل، وأمي منذ أن شاهدت الإعلان الترويجي من فضائية (السعيدة) وهي تدَّخرُ النقود.

سألتها عن العضو الذي ترغب في شرائه، فتحفَّظتْ عن الإجابة، غير أن حدسي أخبرني بأنها ستشتري (رُكَباً جديدة) خاصة وأنها باتت تعاني كثيراً من (الروماتيزم) في الآونة الأخيرة.

بالنسبة لي صار بإمكاني أخيراً أن أكون (وسيماً) وألْفِتُ نظر (ريناد وصويحباتها) في الكلية بعد أن فشلتْ كل أشياء التجميل الثمينة في ذلك، أجْوَدُ خلطات تفتيح البشرة، وكل أنواع الكريمات المتوفرة في سوق الملح تقريباً، بالإضافة إلى أرقى ماركات الملابس، وريناد والفتيات ما زلنَ يصرِرْنَ على تجاهلي، ومغازلة (إبراهيم) وحده.

- وأين الجمال في إبراهيم..؟

سألتُ نفسي في حُنُقٍ وغيرةٍ وأنا أسترجع صورة إبراهيم في خيالي، وحتى أكون عادلاً، كان لابدّ من تخيّله فتاةً مثلهن، إذ أني عادةً لا ألاحظ أي جمال في الذكور مثلي، ولأكن صريحاً، لقد وجدتني معجب بالفتاة إبراهيم أكثر من إعجابي بالفتيات أنفسهن، بما فيهن ريناد.

لإبراهيم وجهٌ بَضٌّ، وعينان كحلاوان، وأنفٌ قويم، وفمٌ صغير، بالإضافة إلى شعرٍ سَلِسٍ فحميّ اللون.

قضيتُ ليلتي أَرِقَاً، أتململُ تارةً وأغادر السرير تارة أخرى، أقِفُ أمام المرآة الكبيرة التي أدمنتُ استعارتها من (زوجة أخي)

مُذ تسللت ريناد إلى قلبي، أتأمل وجهي باحثاً عن البشاعة التي حدثني عنها الجميع، لأول مرة تصارحني المرآة بأن أحداً منهم لم يكن يبالغ كما كنت أتوهم، وجهي الذي تشوّهه الندوب يشبه (تنكة) قديمة أصابها الصدأ، جمجمتي كبيرة جداً كأنها نصف صينية مكسورة، عيناي محمرتان وبارزتان كرمانتين يانعتين توشكان على السقوط، شعري المجعدُ يشبه فعلاً (القنفذ الجبلي) الذي شبَّهتني به ريناد ذات مرة، رقبتي طويلة إلى حدٍّ ما، كأنها برج (بيزا المائل) لولا أنها مستقيمة، أو كأنها مع رأسي (منطاد كبير معلق في الهواء)

ضحكتُ ساخراً وأنا أحصي كل ذلك في ورقة صغيرة، (لم أكن أعرف أنني بَشِعٌ إلى هذا الحد) قلت في نفسي بجدية.

- سأحتاج نقوداً كثيرة إذاً لأكون أوسم من إبراهيم.

شطفتُ وجهي بالماء بسرعة، وتناولت لقمتين على عجالة، ثم أخرجتُ النقود من جيب معطفي المعلق على جدار غرفتي ووضعتها في جيب قميصي دون أن أقوم بِعَدِّها، وغادرت المنزل ناسياً أن أغلق الباب ورائي.

كان صباحاً بارداً، توقفتُ على الرصيف وأنا أرتعش، وأفركُ يدَيَّ ببعضهما في محاولة خائبة لتوليد الحرارة، لم أكن أدري ما هو السبب الكامن وراء هذا البرد القارس، هل هو الطقس..؟ أم هو الحماس الكبير الذي أشعر به..؟

كنت متلهفاً جداً لأن أرى صورتي الجميلة التي سأكون عليها بعد قليل، ومن ثُمَّ؛ ردة فعل (رينادي)

عندي ثقة بأنها ستعجب بي بالتأكيد، أو على الأقل لن تسخر مني كما كانت تفعل من قبل.

أتذكر كيف كانت تدير لي وجه مرآتها اليدوية - هازئة - في كل مرة أعبر لها عن مشاعري بتشكيل يديَّ على هيئة قلب، أو حينما أغمزُ لها برومانسية عندما أصادفها تخرج من قاعتها، فيكون ردها دائماً:

- تف عليك، ألا ترى وجهك كأنه إبريق جدتي القديم..؟

وبالرغم من كل تلك القسوة التي كانت تبادلني بها من قبل، فقد خالفَتْ توقعي بالأمس وأبدَتْ موافقتها على الفور عندما طلبت منها أن نتقابل، ربما أشفقَتْ عليَّ عندما ألفتني مرابطاً لدى باب قاعتها وهي تفتحه مغادرة، أو لعلَّ وعدي لها بمفاجأة لم يترك لها بدّاً من الموافقة، فريناد تحب المفاجئات كما أعرف، فهل يا ترى ستعجبها مفاجأة وسامتي الخارقة..؟

مرَّتْ دقائق ولم تمر بي أي وسيلة نقل، شعرتُ بالحاجة إلى التبوُّل، تذكرتُ أنني نسيتُ أيضاً أن أتبوَّلَ في المنزل.

اتجهت إلى دورة مياهٍ قريبة، كانت مغلقة من الداخل، لعنتُ حظِّي وهممْتُ بالانصراف، غير أنَّ رجلاً كان قد فتح الباب وغادر الحمام مخلفاً وراءه رائحة نفاذة، أغلقتُ أنفي بإصبَعَيَّ، وتفكَّرتُ مستغرباً:

- كيف احتمل أنفه هذه الرائحة الخبيثة..؟

- أنوف أصلية مقاومة للزكام، رجالية نسائية ولَّادية بنّاتية، الأنف الواحد بألف ريال، مات الغلاء مات الحقوا التخفيضات.

تأملته بسخط قبل أن أغلق الباب عليَّ، كان دون أنف، هممت أن أسأله عن أنفه، غير أنه سرعان ما أدخل يده في جيبه وأخرج أنفاً ذا نخرتين واسعتين وركَّبه على وجهه.

كان السوق يعُجُّ بالباعة والمشترين، إقبالٌ كبيرٌ على الأعضاء المتكدِّسة على المحلات والبسطات، وأصوات مكبرات الصوت المزعجة في كل شارع وزقاق تروج للسلع:

- واحراجاه وارواجاه، (باكت) عيون صينية بألفين وخمسمائة ريال.

ولأن أمي أوصتني بألا أشتري من الغشاشين الذين يروجون لسلعهم الرديئة بالصراخ لدرجة إزعاج الناس؛ فقد قصدتُ متجراً محترماً بعيداً عن كل تلك الضوضاء الصاخبة، واشتريتُ منه كل ما يلزمني، رأساً متكاملاً تقريباً مع رقبة قصيرة لي، وأنفاً كبيراً لأخي، وزوجين من الركبة: واحداً لأمي والآخر لجدتي، بالإضافة إلى عينين جيدتين، وأذنين مختلفتين عن بعضهما - بسبب نقص النقود - لجدتي أيضاً.

ألْقَتْ جدتي بعكازها بعيداً، ورَكَّبَتْ كلَّ ما أحضرته لها بحماس وفرح كبيرين، رأيتها تجري - كطفلةٍ - إلى القبو غير مستوعبة، وتلقي بأعضائها البالية في كيس الخردوات القديمة التي تدَّخرها لأوقات الحاجة، كنت سأنتظرها حتى تعود لتراني على وجهي الحقيقي لأول مرة منذ أن فقدَتْ بصرها قبل عشرين سنة، إلا أنني كنتُ مستعجلاً جداً، فالمحاضرة التي على إثرها سألتقي بريناد ستبدأ بعد نصف ساعة.

صعدتُ إلى غرفتي بسرعة، أغلقتُ الباب من الداخل، ونزعتُ عينيَّ القديمتين، ووضعتُ الجديدتين في مكانهما، أصلحتُ أنفي أيضاً، ورقبتي حتى لا تكون مائلة (كبرج بيزا) وكذلك شعري السلس، وركلتُ ما تبقى من الرأس إلى تحت السرير، ألقيتُ نظرة سريعة إلى المرآة، وقلت في غبطة:

- ما شاء الله، وسامة لا تقاوم، لا مجال للتنمر والعنصرية بعد الآن.

هرولت خارجاً لا ألوي على شيء، فرحة غامرة تستأثر بي عن كل ما عداها من مشاعر، لم أنتبه إلى أنّي كنت أمشي

إلا عندما صرخ بي سائق باص مرَّ من جانبي وتوقف غير بعيد:

- الجامعة..؟

- نعم.. لو سمحت.

ركبتُ بسرعة إلى جانب السائق في مقدمة الباص، كان الباص يسرع هو أيضاً ولا يلوي على شيء، يدوس على الأشياء التي أمامه دون مبالاة، أعضاء بشرية متناثرة على الشوارع والأرصفة، ألسنٌ وأصابعٌ، أدمغةٌ وقلوبٌ، وأحياناً أجساداً كاملة تركلها الإطارات بعيداً.

فكّرتُ بأسى: إنها كارثة، هذا الإسراف كارثة كبيرة.

ولكن عندما تذكّرتُ ريناد نسيتُ كل ذلك.

دخلتُ القاعة مزهواً، سألتني الدكتورة عن إسمي فأخبرتها، لم يُبدِ أحدٌ ممن في القاعة أي استغراب أو ذهول كما كنت أتوقع، كل من في القاعة كان قد غير ولو عضواً واحداً منه على الأقل، الدكتورة (ريم) بنهدين بارزين لأول مرة منذ أن التهم السرطان ثديها الأيسر قبل سنوات (جمانة) ذات البشرة السوداء بدت بارعة الجمال بجبينها الأبيض كما بدا من خلف اللثام، زميلي (إلياس الأعرج) أختفى عَرْجُه، و(سالم) الغبي بدماغه الجديدة صرَّح متحمساً بأنه سينافس على المرتبة الأولى هذا العام، والأسوأ من ذلك - وهو أكثر ما أقلقني - أن زميلي (أياد الضعيف) الذي طالما تشاجرت معه وأبرحته ضرباً، دخل بعضلات مفتولة وعضُدين مشدودين، وجلس بجانبي - على غير عادته - وهو ينفخ.

في البداية عللت ذلك لعدم تعرفه علي، ولكن عندما سمعته يهمس في أذني مهدداً: "سترى كيف سأبرحك ضرباً عندما نخرج" تيقنت أن أحداً ما دله علي.

تجاهلته وأنا ألعن التكنولوجيا في داخلي، لأول مرة ألعن التكنولوجيا، صحيح أنها سنحت لي أن أكون أوسم من إبراهيم، ولكنها سنحت أيضاً لأياد أن يكون أقوى مني.

نظرتُ إلى ساعتي بعفوية، تذكرت موعدي مع ريناد:

- لابدَّ وأنها في انتظاري الآن.

غادرتُ قاعتي بعد أن استأذنت الدكتورة ريم، لم أجدها في الخارج، جلستُ في فناء الكلية - المكان المتفق عليه - أنتظرها، تارة ألتفت نحو باب الكلية الداخلي، وتارة صوب بوابة الحوش، إما أنها لم تأتِ إلى الكلية بعد، أو أنها لازالت في قاعتها لم تغادرها، لا أدري أي البابين سيتمخض بها، متشوق جداً لرؤيتها تمرُّ من جانبي من دون أن تتعرف عليّ، ستتفاجأ بالطبع عندما أناديها باسمها وأعرّفها على (أنا الجديد الوسيم)

تمخضت بوابة الحوش بفتاة جميلة، تمعنتها، لم تكن ريناد، رمقتني بريبة، ظننت بأنها تودّ الجلوس على الكرسي؛ فتخليت عنه ووقفت بعيداً، غير أن الفتاة استمرت بالمشي حتى التهمتها بوابة الكلية الداخلية.

جلست مرة أخرى ونظري لم يبرح بوابة الكلية الداخلية، لفظت فتاة تختلف في ملامحها عن تلك التي ابتلعتها، نظرت إليّ بعينين ثاقبتين، ومضت خارجة، فتيات أخريات داخلات خارجات، مررن بي ولم تكن بينهن ريناد.

نظرت إلى ساعتي في خيبة ويأس، الوقت يمر، وريناد لم تأتِ بعد، لم تعد الكلية تلتهم أحد، دقائق وبدأت تتقيأ الجميع على دفعات، دكاترة وطلاب، فتيات وفتيان، بما فيهم أياد الحقود الذي خبأت وجهي عنه وأعرته ظهري، فمر دون أن ينتبه إلي، ولكنها لم تتقيأ ريناد..؟!

شعرت بالملل، نظرت إلى ساعتي لآخر مرة، ثم إلى بوابة الحوش الخارجية، حيث وقف باص يراودني (بزنارته) المزعجة، همَّ بي وهممت به، تأبطت حقيبتي واسترسلت نحوه، جلست في الكرسي الشاغر بمحاذاة الباب الأوسط، وقبل أن يتحرك الباص؛ ثمة فكرة كنت غافلاً عنها منذ الصباح طرأت علي فجأة: ماذا لو كانت ريناد أيضاً قد استبدلت أعضاءها فلم يتسنَ لي التعرف عليها..؟

كان الباص قد تحرك عندما أرسلتُ نظرة خاطفة إلى فناء الكلية المقفر إلا من فتاة واحدة غريبة، لم يسبق لي أن رأيتها من قبل تجلس على الكرسي ذاته الذي كنت جالساً عليه قبل قليل، وتنظر إلى ساعة معصمها بقلقٍ بادٍ، ربما كانت ريناد.. من يدري..؟

امرأة تحترف الانتظار

قصة للكاتبة
لبنى الطيبي

في إحدى أَمْسِيَات فرنسا الباردة، وأنا أمشي شريدة الذهن في الشارع المزين بالأضواء الكثيرة، حينها كنا في أيام أعياد الميلاد، وكنت قد وصلت لتوي إلى ذلك البلد الهادئ.

مدينة صغيرة في الجنوب، وأنا وحدي في شوارعها تتراقص بقلبي رعشة فرح لذيذ، هذه إحدى اكتشافاتي الصغيرة، مُغَامَرَةٌ وبُطُولَةٌ جديدة، أن أعيش وحدي في بلد جديد لا أعرفه.

وبينما أنا في غمرة فرحي؛ ظَهَرَتْ أمامي امرأة تتحدث بسرعة، لم أفهم ماذا تقول..؟

فلم تكن تتكلم الفرنسية ولا أي لغة أفهمها، لا تظهر عليها ملامح التسول أو التشرد، ولم يكن يبدو أنها حمقاء، بالعكس تماماً لقد كانت امرأة تسكن

عينيها الحكمة.

حاولت أن أعتذر منها وأغادر، فأخبرتها أنني لا أفهم من كلامها شيئاً، لكنها استوقفتني وحاولت هذه المرة أن تستخدم بعض الكلمات الإنجليزية لكن دون جدوى، لغتها مبعثرة لا أفهم منها شيئاً.

ثم فجأة -وقد تملكني الخوف قليلاً- أَخْرَجَتْ من جيبها ورقة وقلماً، وشَرَعَتْ تكتب وأنا أمامها أنظر إليها بِعَيْنَيَّ الواسعتين، وبعد أن أَكْمَلَتْ خطابها الطويل؛ دَسَّتْ الورقة في جيبي وغادرت دون أن تنبس بكلمة.

أَخْرَجْتُ الورقة ولم أفهم منها شيئاً، لغة لا أعرفها، يا لهذه الورطة..!

تَمَلَّكَنِي الفضول، ولكنني كنت خائفة أيضاً، عُدْتُ أدراجي إلى البيت وأنا أفكر في تلك المرأة الغريبة وفي الورقة الغامضة التي في جيبي.

ما إن وصلت؛ حتى فتحت الأنترنت أحاول أن أجد ترجمة لما بالورقة من كلمات.

وأخيراً، عثرت على تلك اللغة، إنها اللغة الأرمينية، وبدأت أعيد كتابة تلك الرسالة كلمة، كلمة؛ حتى حصلت على ترجمة واضحة، تقول الرسالة: مساء الخير، أولاً أنا آسفة، يبدو أنني أخفتك، أنا (آنة) من أرمينيا، وأنا هنا منذ عدة أعوام، جئت بحثاً عن طفلي الصغير الذي جاء إلى هذه المدينة في رحلة مع والده لكنهما لم يعودا.

لقد انقطع الاتصال مع زوجي الذي عرفت أنه غادر هذا البلد إلى بلد لا أعرفه، هكذا أخبرني بعض أفراد عائلته بعد أن أشفقوا علي من كثرة إلحاحي، لكنني بقيت هنا في انتظار أن يعود ابني، لابد أن يعود يوماً ما، ماذا عنك..؟ ما الذي جاء بك إلى هذه المدينة..؟

أراكِ ضائعة ووحيدة، لابد أنك تبحثين أيضاً عن أحد، أنا أعرف المدينة جيداً، إذا احتجت إلى المساعدة اتصلي بي، هذا رقمي...

نعم يا سيدة آنة، أنا كما رأيتني ضائعة وحائرة، لكنني لست مثلك أبحث عن أحد، أنا في مرحلة صغيرة من رحلتي الكبيرة في البحث عن نفسي وكشف أسرارها، أنا دائماً أفتش عن دهشة جديدة وعن معاني مُلْهِمَة.

أفتح ذراعي للتجارب لأعرف حقاً من أنا، أَتَعَلَّمُ أن أحتفظ بنقاء قلبي لكن دون سذاجة مُكَلِّفَة، وأتعلم الفرق بين الممسكين بيدي ومن يطوقون أُفُقِي وحريتي، بين من يحبونني ومن يقتربون من نوري ليطفؤوه.

أتعلمين يا سيدتي معنى القُبَلِ التي تتحول في الفم إلى قنابل، وأتعلم أن أتقبل هزائمي وانكساراتي بنضج امرأة قوية وليس طفلة..؟ وأتعلم.. وأتعلم.. وأتعلم ....

أما أنتِ سيدتي، فأتمنى لكِ أن تلتقي مجدداً بطفلك، لكن في الانتظار لا تنسي أن تعيشي حياتك، لا تقبلي أن تبقي في الهامش فقط، لأن أحداً قرر أن يبتعد عنك وأن يتركك.

حياتك تمضي، فلا تقضيها في الانتظار والبكاء وراء من رحلوا، توقعي دائماً وداع من تحبينه، شيعيه وابكي بعده قدر ما شئتِ، اصنعي له الجنائز بقدر ما بقلبك من ألم، لكن لا تسمحي لحياتك أن تتوقف عند تلك الجنازة.

عيشي حياتكِ هادئة وتعلمي ألا تتعلقي بأحد، حتى لو كان أقرب الناس لك، تصالحي مع وحدتك وأحبيها واصنعي لك عالماً لا يتوقف فيه الجمال مهما حصل، كوني مثلي يا سيدتي، حُرَّةً من كل التوقعات والاعتقادات البالية، فلا ضير أن تكوني نرجسية قليلاً إذا لزم الأمر.

ترجمت كلماتي إلى اللغة الأرمينية ونقلتها على ورقة بيضاء، ثم وضعتها في حقيبة يدي، سأدسها في جيب تلك المرأة إذا عدت والتقيتها يوماً ما، وفي جيب كل امرأة تحترف الانتظار..!

الحوض المرصود

قصة للكاتب

طارق الشناوي

لم أكن أرى أبي إلا في المساء، يأتي بملابسه المتسخة، فيجلس بجانبي على أريكة الصالة التي أنام عليها، يسألني عن أحوالي، وعن دراستي، ويمنحني ابتسامة راضية، ويطلب من أمي إعداد الطعام، قبل أن يستحم، ويبدل ثيابه، ويأكل، ثم ينام.

عندما كنت أسأل أمي عن عمل أبي، كانت تقول لي إنه (على باب الله)

في إحدى ليالي الصيف الحارة، وعندما عاد أبي من عمله، لم يكن هناك شيئاً ليأكله، وبعد مشادة جديدة مع أمي، عنيفة هذه المرة، لم أميز منها سوى كلمات متفرقة من أمي؛ مصروف البيت، سجائر، مقهى، أصحاب، وكلمتين من أبي؛ طالق بالثلاثة، خرج أبي بعدها وهو يصفق الباب بقوة، ولم أره بعدها أبداً.

في المدرسة، أجلس في الصف الأول، أمام السبورة الخشبية السوداء، أسمع التعليقات الساخرة التي تأتي من الأولاد الذين يجلسون في الخلف، أتجاهلها، وأعود للتركيز في الدرس، حتى كانت الخطيئة الكبرى، عندما سألت المعلمة زميلي عمرو، الشهير بـ (كامبا) سؤالاً لم يعرف إجابته، وعندما تساءلت المعلمة هل هناك من يعرف الجواب..؟ رفعت يدي بكل سذاجة، وأجبت.

صفقت لي المعلمة، وطلبت من تلاميذ الفصل أن يصفقوا لي.

بعد انتهاء اليوم الدراسي، فوجئت بعمرو (كامبا) ينتظرني خارج المدرسة، وبدون إنذار ولا مقدمات، انقض عليّ مطوقاً بذراعه الضخمة رقبتي النحيلة، وطارحاً إياي على الأرض المتربة، وهو يجثم فوق صدري حتى كدت أختنق.

انشقت الأرض عن عدد من الأولاد، لا أعرف من أين جاءوا، أمسك أحدهم بحقيبتي المدرسية، وفتحها بعنف، وألقى بكل ما فيها على الأرض، ثم أخذ يمزق الكتب والكراسات، أما الباقون، فقد انهالوا عليّ بالركلات واللكمات، ولم يتركونني إلا ممزق الملابس، أغالب دموعي، ومحاطاً بنظرات التعاطف الصامت من الأولاد المتفرجين.

في اليوم التالي، قررت الانضمام لمجموعة من الأولاد في المدرسة، أو (شلة) كما يطلقون عليها، من أجل الحماية والمؤازرة في مواجهة مجموعة (كامبا)

فقط، ثمة شرط بسيط للانضمام للمجموعة الجديدة؛ عليّ أن أثبت لهم أنني قد أصبحت رجلاً حتى يقبلوا بي عضواً في مجموعتهم، وذلك بأن أقضي الليل في الحوض المرصود.

لم أكن أعرف ما هو هذا الحوض، ولا لماذا هو مرصود، ولا مرصود ممن..؟!

تطوع أحدهم بشرح التجربة التي يقول إنه قد خاضها من قبل؛ سأقضي ليلة كاملة، وحدي، داخل تابوت رخامي، موجود في حديقة الكنيسة القريبة.

ساعتها، وساعتها فقط، يمكنهم أن يقبلوني بينهم.

حاولت التراجع، وقلت لهم إنه يمكنني أن أدخن معهم السجائر، أو أن أشترك معهم في معارك ضد المجموعات الأخرى، فقالوا لي إن كل هذا سيحدث،

ولكن بعد أن أنجح في الاختبار.

قالوا لي إنني إذا تراجعت الآن، فسيسمونني الطفل الجبان، ابن أمه، وسيلتصق بي هذا اللقب، ولن أستطيع بعد ذلك، مهما فعلت، أن أزيل هذا العار.

في المساء، انتظرت حتى نامت أمي، أعددت لنفسي بعض الشطائر، وزجاجة ماء، كشاف صغير، وراديو ترانزستور، ثم تسللت ببطء، وأغلقت الباب ورائي، بدون صوت، تقريباً، ولم أنسَ أن أضع المفتاح في جيبي.

اتخذت طريقي إلى الكنيسة، وأنا أشعر بحبات العرق الباردة تتكاثف على مؤخرة عنقي، وزاد من توتري، نباح كلاب الشارع باتجاهي.

أخيراً، وصلت للمكان المتفق عليه، حيث وجدت مجموعتي الجديدة بانتظاري.

وبدون كلام، قفز اثنان منهم فوق السور في خفة ورشاقة، وساعداني حتى أصبحنا في الداخل، وتبعنا الباقون.

كانت تماثيل العذراء البيضاء المنتشرة في الحديقة تنير بعضاً من ظلام الليل، مع الضوء القادم من نصف قمر.

ها هو التابوت، كان أضخم مما توقعت، ومرسوم عليه بعض النقوش الفرعونية.

تعاون الأولاد على رفع غطائه الثقيل، بالتأكيد لن أستطيع أن أزحزحه حتى من مكانه.

ترددت قليلاً ثم فوجئت بمن يحملني بقوة ويلقي بي إلى الداخل، ثم انطبق الغطاء علي، وعرفت ساعتها معنى الظلام الدامس.

همس لي أحدهم من الخارج بأنهم سيكونون عندي قبل الشروق، ليفتحوا لي غطاء التابوت، وليعلنوا للجميع أنني قد أصبحت رجلاً.

مرت لحظات حتى اعتادت عيناي الظلمة، وتسرب بصيص من الضوء بين التابوت وغطائه.

وعندما وجدت صوتي أخيراً، ناشدتهم ألا يتأخروا، فجاوبني الصمت المطبق.

تحسستُ المكان زاحفاً، ثم تذكرت الكشاف الصغير، كان التابوت من الداخل خالياً من النقوش، حاولت زحزحة الغطاء، بلا جدوى.

فكرت في أن أصرخ طالباً النجدة، ثم تذكرت وصمة العار.

تذكرت أمي المسكينة، وأبي، وعمرو (كامبا) وحاولت أن أتذكر وجوه أصدقائي الجدد، من الرجال الصغار، ففشلت.

خلعت حذائي، وصنعت منه وسادة، وقررت أن أنام.

تركت الكشاف الصغير مضاء، وقمت بتشغيل الراديو، فلم تخرج منه سوى ضوضاء.

ثم فجأة، سمعت موسيقى شيطانية صاخبة.

هل تنبعث فعلاً من هذا الراديو الصغير..؟

وبين اليقظة والمنام، أحسستُ بالتابوت يهبط لأسفل، لأسفل، حتى توقف فجأة، ثم انفتح التابوت من الجانب، وامتدت عدة أيادي مشوهة، تحاول أن تمسك بي، زحفت إلى أبعد ركن في التابوت، قبل أن تمسك بي الأيدي، وتخرجني من فتحة التابوت الجانبية إلى قاعة فسيحة، نصف مظلمة، مضاءة بالمشاعل، ورأيت عدداً من الشياطين ينقضون عليّ، وعمرو (كامبا) يقف خلفهم مبتسماً، وهو يشير لهم باتجاهي.

في البداية، تسمرت للحظات، ثم بدأت في التراجع للخلف، حتى اصطدمت بشيء، وندت مني صرخة، والتفت، لأجد عدداً من الرجال الصغار، يرتدون دروعاً وخوذاتٍ معدنية، ويتصدون للشياطين.

اختبأت وراءهم، وأخذت أبحث عن مهرب، فلم أجد إلا التابوت، فدخلت فيه، وأنا أتابع المعركة المحتدمة.

وفجأة، انغلق باب التابوت مرة أخرى، وعدت إلى الظلمة الشديدة، وحاولت أن أرفع الغطاء لأعلى، ولدهشتي، وجدت الغطاء يرتفع، وميزت السماء السوداء، وعدد من النجوم اللامعة، ونصف القمر، وبعض الوجوه البشرية، لرجال ذوي لحى كثيفة، وعمائم سوداء، يطلون عليّ من علٍ، وهم يمدون أيديهم باتجاهي، ورأيت من بين الأيدي والوجوه، وجه أمي، فصرخت صرخة واحدة، ولم أشعر بعدها بشيء.

يوم آخر في حياتي

قصة للكاتبة
ميسون سعيد

دائماً في كلّ الكتب وَالمقالات التي قرأتُها، وخلال نشأتي في المدرسة وفي الجامعة أيضاً، وكذلك في أحاديث ولقاءات تلفزيونية شتّى، كانوا يحدثوننا عن الأمل، ذلكَ النور المتعثّر في نهاية النفق..!

لطالما كنتُ أتشبثُ به في كلّ المواقفِ الصعبة والمطبّاتِ، أو المهاتراتِ السخيفةِ، التي تقذف بها الحياة إليّ.

لكنني في هذه اللحظات بالذات، لم يعد يعنيني ذلك الكائن الذي يُسمّى (أمل)

بدَت أيامي تشبهُ بعضها في هذا البلد، كنتُ أخيط ذلكَ الجانبَ المهترئ في داخلي؛ لكنه كان عصيّاً..!

حاولتُ مراراً أن أجدَ شيئاً أجدفُ به لأصلَ لضفةٍ أخرى جديدة، في هذا الوقتِ الممتدِّ المسمّى (عمري) وَلكن عبثاً، وباءَت كلُّ محاولاتي بالفشل.

تركتُ الشرفةَ التي أجلس فيها عادةً وأحتسي كوباً من الشاي، أو أقرأ كتاباً أو روايةً ظريفة.

وقررتُ أن أعتزلَ عاداتي المتهادية بلا أي هدف.

نزلتُ إلى الشارع وَمشيتُ وحيدةً، لا ألوي على شيء.

كان الوقتُ مغيباً، وكذلك كانت مشاعري.

رأيتُ أطفالاً يلعبون بشراسةٍ، مستخدمينَ ألعاباً على شكل أسلحة.

كان تأثير الحرب جليّاً حتى في نظراتهم..!

خرجتُ من تلكَ الحرب لا رابحةً وَلا خاسرة، خرجتُ داكنةً مستكينةً لفكرةِ أنهم أصبحوا بعيدينَ عنّي.

بعدَ أن مشيتُ بسرعة؛ ظهرَ في وجهي رجلٌ فجأةً، كانَت قسماتُه تحمل النكدَ والتعبَ بطريقة ما؛ فابتعدتُ عن طريقِه، حيثُ كان يحمل جرةَ غاز بكلتا يديهِ بصعوبة.

كانَت عبثيةُ الحياة تتهادى أمامي، وَكنتُ أشعر بأنه يومٌ عاديّ آخر.

سألتُ نفسي مراراً وَتكراراً: ما المغزى من حياتي يا ترى..؟!

يا لهُ من سؤالٍ سخيف راودَني في تلك اللحظة بالذات.

تخليتُ عن كلّ شيء جدليٍّ يدور في رأسي، وجلستُ في حديقةٍ عامّة.

وضعتُ سماعاتِ الخليويّ، وبحثتُ في جهازي عن أغانٍ مبهجة لـ عمرو دياب... وَرحتُ أدندن معها.

الشيءُ الأهمّ في نهاية اليوم، أنّي لم أعد أحتاج للأمل، وَلم أعد أنتظر بارقةً منه، أو أبحثُ عنه.

لقد تذكرتُ فجأةً؛ أنّ ساعتي تعطّلتْ منذ أيام، وَأنني لم أعدْ أحملُها، وَلا أريد إصلاحَها، على عكس العادة..!

صاحب المنزل

قصة للكاتب

م. مهاب حسين

ضيق ذات اليد.. كان هو الباعث على موافقتي تأجير حجرة في شقتي المكونة من ثلاث حجرات وصالة.. ثم حجرة أخرى، وكانت دورة المياه مشتركة.

الحقيقة.. أنه كان يدفع بلا أدنى تأخير، في البداية كان لطيفاً ورقيقا، لكن.. عندما استحوذ على الحجرتين، باتت معاملته خشنة بعض الشيء، وقد عزوت ذلك، ربما لدورة المياه المشتركة!

تطورت معاملته، حتى صار كأنه صاحب المنزل، بت أحس كأنني ضيف غير مرغوب فيه، أستأذنه في كل حركة أو خطوة؛ بل في إحدى المرات، قال لي عقب انصراف بعض أصدقائي في صرامة:

- استقبل أصدقائك خارج المنزل، فلا أحتمل الضجيج.

وعندما حضر إليه بعض أقاربه النازحين من قرى مختلفة، تركت لهم المنزل حتى يستطيع استضافتهم.

والحقيقة أني لم أفعل ذلك حباً في الخير، إنما طمعاً في إيجار الصالة والحجرة الثالثة، بعد أن رفع الإيجار للضعف.

فكيف يكون كريماً معي وأكون ناكرا للجميل..؟

عدت للمنزل بعد الفترة المتفق عليها، لم يسمح لي بالدخول، وعرفت أن أقاربه، هم سكان البيت الجدد؛ بل أخبرني علنا في وقاحة سافرة:

- عليك أن تبحث عن سكن أخر.

والأمرّ من ذلك قوله:

- ليس لك عندي إيجار بعد الآن.

وقبل أن أفيق من ذهولي، أردف وهو يصفق الباب في وجهي:

- إنني صاحب البيت الأصلي.

وعندما حثثت السكان والجيران على معاونتي، تقاعسوا.. قال جاري في الشقة المقابلة:

- عندي من المشاكل ما يكفيني.

وقال آخر، طالما شددت أزره في محنه:

-لماذا أعاديه.. ولم نر منه غير الجود والطيبة، ألم يتم كل

شيء برضاك..؟

أما مالك العقار.. فرجل ولي صالح، حين صعدت إليه في خلوته شاكيا، تمتم:

- الله هو المنتقم الجبار.

- لكن يجب عليك ردعه.

فذهب عني في إغمائة صوفية، والمسبحة لا تبرح أصابعه، مترنماً بتراتيل لم أفهمها، ثم أفاق وعيناه مضيئتان:

- ما تفعله في أمسك تلقاه في غدك.. فإياك والنسيان.

لكني لم أفعل سوى الخير، فلم كل هذا الذي ألاقيه..؟

أما أخي.. فكانت بيني وبينه خصومة، جعلتني لا أطلب مساعدته، حتى عندما نصحني أهل الخير باللجوء إلى ساحة القضاء، لم يكن عندي من المستندات ما يكفي، وأعرف أن مثل تلك الأمور تطول، وأن مستأجري رجل ذو نفوذ وبسطة، حيله عديدة، لذا فقد أخبرني المحامي عقب فحصه المستندات:

- ليس أمامك سوى الحل السلمي، أن تقيم معه في نفس الشقة - عن طيب خاطر - أما طردك إياه.. فهذا ما لا أنصحك به أبداً.

كيف الكرم والتسامح يُقابل بمثل هذا الجحود والنكران..؟

بعض أقاربي.. عندما استشعروا سوء حالي، أبدوا استعدادهم منحي مبلغاً من المال شهريا، يعينني على وضعي الجديد.

الحقيقة.. أقولها لكم.. هذا المبلغ كان كبيراً بالدرجة التي جعلتني أحيا حياة ترف، لم أشهدها من قبل، زيادة على العطف والاستحسان.

وباتت المساعدات تنهال علي بلا انقطاع من رجال الجود والخير.

صارت منازل أقاربي سكناً لي، استحوذت على اهتمامهم وأحاديثهم، فالناس مغرمون بالحديث، ليعوضوا عجزهم عن الفعل.

بعض أقاربي.. أهمل شؤونه بحجة انشغاله بأمري..!

زارني خالي وهو رجل معروف عنه الاعتدال ورجاحة العقل، أنبأني بأنه قد توسط بيننا، بعد جهد جهيد قائلاً:

- إنه يقبل أن تقيم معه في المنزل ولكن بشروط، فهو لا يأمن غدرك.

فغرت فاهي في دهشة:

- غدري أنا الضعيف، وهو رجل ذو بطش.

- وعليك أن تقبل شروطه.. تدفع الإيجار الذي يحدده، لا تستخدم دورة المياه، تكون إقامتك مبيتاً فقط، أي لا يسمح لك البقاء في ساعات النهار.

- وتظنني أوافق على هذا..!

- وهل تملك غير ذلك..؟

- نعم سأطرده شر طردة.

- اسمع.. إياك وضياع الفرصة، فقد لا تتكرر.

أيكون العقار عقاري.. وأصبح فيه كالغريب..!

لمَ أوافق.. وأنا كالعصفور الطليق، ألقى العطف والرعاية أنى نزلت.

انتابتني السعادة كلما تناهى إلى سمعي أخبار إيذاءاته المستمرة لجيراني السابقين.

فأقاربه بدأوا يتوافدن بلا انقطاع، حتى باتت الشقة غير كافية، فتحولت أنظارهم نحو الشقق المجاورة.

وكانت البداية.. استقطع جزءاً من ممر السلم لحسابه الخاص، رغم أنف الجميع، مستغلاً غفلة مالك البيت ودروشته.. فارضاً سطوته.

قلت في نفسي: لا بأس.. اللعنة ستحيق بالجميع، فماذا يحدث لو اجتمع سكان البيت كلهم، وانقضوا عليه دفعة واحدة..!

ورددت في نشوة، قول المالك في إغفاءته الصوفية:

- ما تفعله في أمسك.. تلقاه في غدك.. فإياك والنسيان.

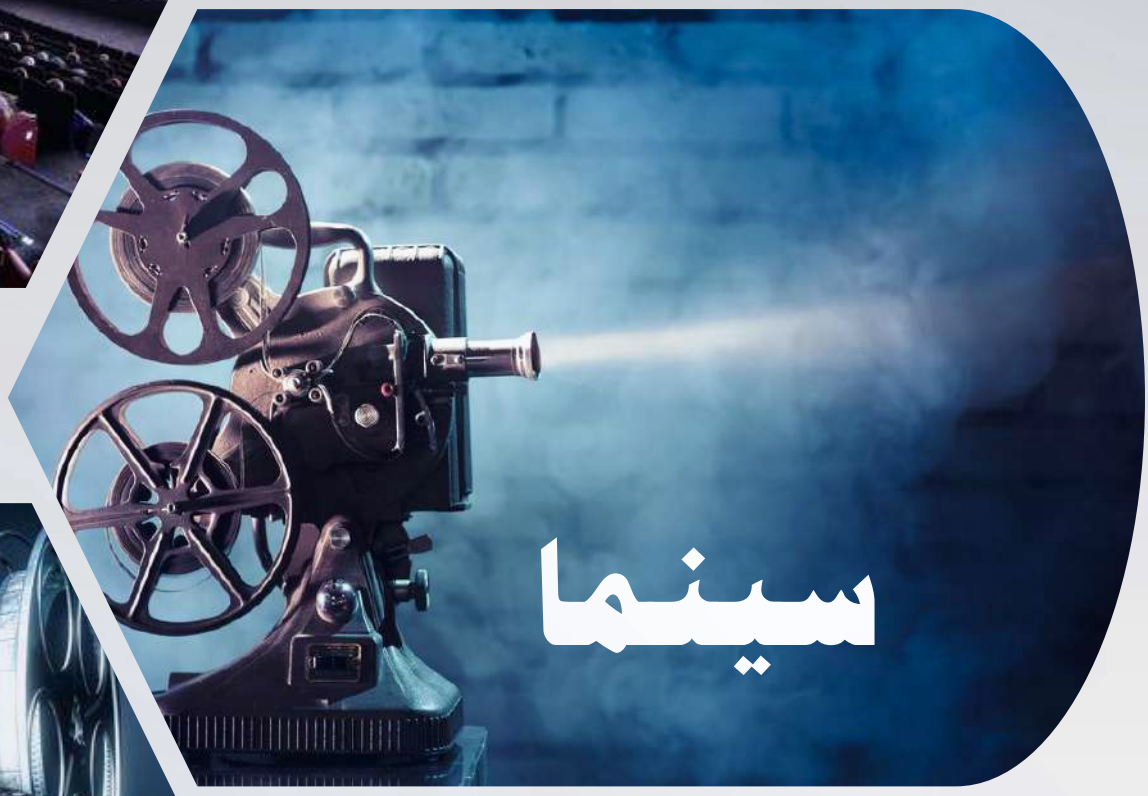

سينما

إعداد
زينب الجهني

2025
EXTERRITORIAL

تدور الأحداث حول جندية سابقة في القوات الخاصة، تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة، وهي عازمة على العثور على ابنها الصغير بعد اختفائه بشكل غامض داخل القنصلية الأمريكية في ألمانيا.

تصنيف الفلم: إثارة، أكشن.

2025
HAVOC

يضطر محقق لأن يبدأ رحلة صعبة بعد فشل صفقة مخدرات، حيث يكافح في طريقه إلى عالم الجريمة لإنقاذ ابن أحد السياسيين، والكشف عن شبكة كبيرة من الفساد، والمؤامرة التي تحاصر المدينة بأكملها.

تصنيف الفيلم: أكشن، إثارة.

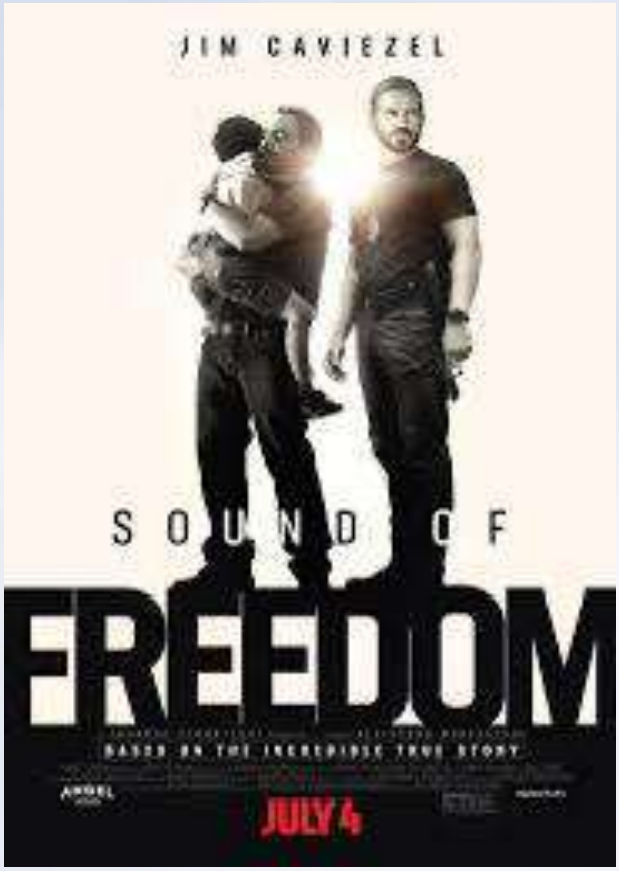

2023
SOUND OF FREEDOM

القصة الحقيقية المذهلة لموظف حكومي سابق، تحول إلى حارس شرعي في مهمة خطيرة لإنقاذ مئات الأطفال من براثين الاتجار بالبشر.

تصنيف الفيلم: إثارة، جريمة، دراما.

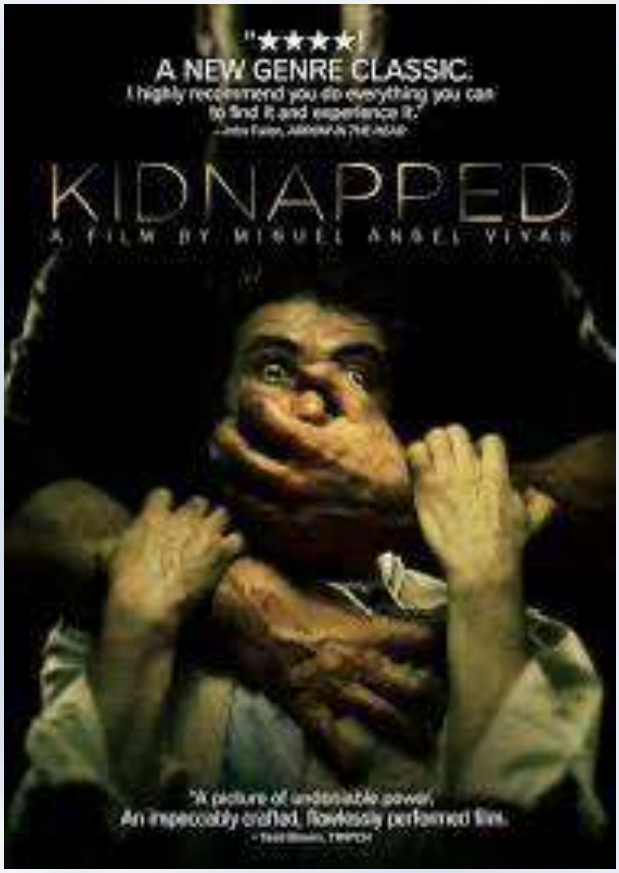

2010
KIDNAPPED

عائلة من مدريد تتعرض للسطو في منزلهم من قبل مجرمين، فماذا سيحدث..؟

تصنيف الفيلم: أكشن، إثارة، جريمة، رعب.

أخبار ثقافية

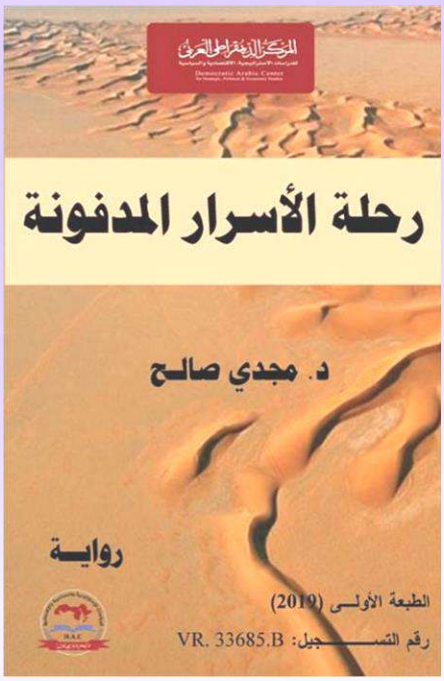

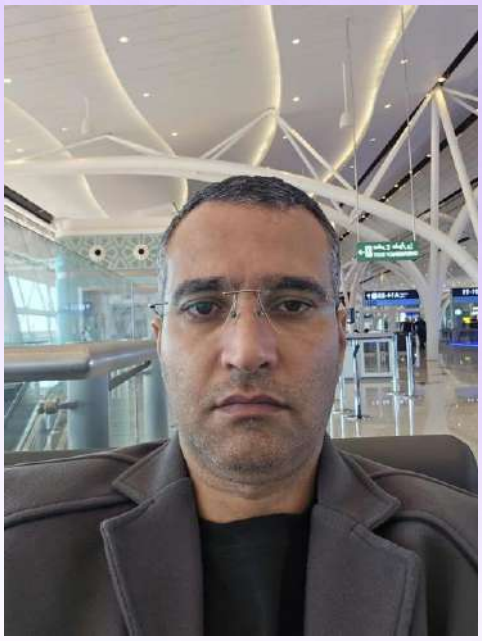

د. مجدي صالح

رحلة الأسرار المدفونة: رواية تاريخية يمنية تعيد تشكيل فهم التعايش وتستقطب الاهتمام الأكاديمي الجزائري

في عالم تتشابك فيه خيوط التاريخ بالخيال الروائي، تبرز أعمال أدبية تُسهم في إثراء الذاكرة وتصحيح المفاهيم السائدة.

ومن هذه الأعمال، تتقدم رواية (رحلة الأسرار المدفونة) للأديب الدكتور مجدي صالح، التي استحقت مؤخراً اهتماماً أكاديمياً رفيعاً، تمثل في أطروحة دكتوراه نوقشت في رحاب جامعة محمد لمين دباغين - سطيف ٢ بالجمهورية الجزائرية.

تنطلق الرواية في سردها من أعماق القرن الثامن عشر في اليمن، لتقدم للقارئ رحلة فريدة عبر عيني المستشرق الفرنسي اليهودي (جوزيف هاليفي) الذي يتنكر بصفة متسول.

يُعرف هذا العمل الأدبي ببراعته في بناء عالم متكامل، مستنداً إلى وثائق تاريخية حقيقية ومتعددة؛ تمنحه مصداقية استثنائية. فالرواية لا تكتفي بالسرد؛ بل تُشكل مسحاً دقيقاً للحياة اليمنية في تلك الحقبة، من طبيعتها الساحرة وعمارتها الأصيلة، إلى أزقتها وودیانها وأسماء شخصياتها التي تُعيد إحياء جزء مهم من التراث اليمني.

أحد أبرز المحاور التي تناولتها الأطروحة، التي أعدها الدكتور بيبي نذير بإشراف الأستاذة الدكتورة زهيرة بارش، هو التحليل العميق لـ (صورة اليهودي) ضمن سياق الرواية العربية المعاصرة.

وقد كشفت الدراسة أن (رحلة الأسرار المدفونة) تتجاوز التصورات النمطية، مُقدمةً عرضاً معقداً للعلاقات بين (الذات) العربية- الإسلامية و(الآخر) اليهودي، سواء كان محلياً (يهود اليمن) أو غربياً (المستشرق) وأظهرت الأطروحة كيف تُبرز الرواية جانباً نبيلاً من التعايش التاريخي العميق الذي كان قائماً بين يهود اليمن والقبائل اليمنية، وكيف كانت هذه القبائل تُقدم الحماية لهذه الأقلية ضمن إطار العرف اليمني العريق، وذلك قبل ظهور التحولات السياسية التي غيرت المشهد.

إن هذا الاهتمام الأكاديمي الجزائري، الذي توج بتوصية بطبع الأطروحة ونشرها، يُعد تأكيداً على القيمة المعرفية لرواية الدكتور مجدي صالح، الذي يُعرف أيضاً بدوره كرئيس للاتحاد العالمي للمثقفين العرب.

فمثل هذه الدراسات لا تُثري المكتبة النقدية فحسب؛ بل تُسهم أيضاً في تعميق فهم الأجيال للتاريخ المشترك، وتُقدم رؤى جديدة لقضايا التعايش والهوية، مؤكدةً الدور المحوري للأدب في بناء الوعي الثقافي والحضاري.

الكلمة جسر الإبداع نحو العالم

د. آمال بوحرب رئيس الهيئة الإعلامية

رسم الاتحاد العالمي للمثقفين العرب منذ انطلاقه في السويد عام ٢٠٢١، ملامح مشروع ثقافي واسع الأفق هدفه الأساس جمع المبدعين العرب في فضاء مستقل يعزز حضور الهوية الأدبية والفكرية العربية، ويمنحها مكاناً فاعلاً في الساحة العالمية.

لقد أراد الاتحاد أن يكون بيتاً يلتقي فيه الأدباء والنقاد والباحثون، حيث تتبادل الخبرات وتتلاقى الرؤى في سبيل إبداع يعبّر عن الذات وينفتح على الآخر.

وتحت إشراف الدكتور مجدي صالح رئيس الاتحاد، عمل الاتحاد على تطوير أنشطة أدبية متعددة من برامج للقراءة والنقد إلى مبادرات ثقافية تربط الإبداع العربي بالحوار العالمي، كما أولى أهمية خاصة للتغطية الإعلامية قصد إبراز منجزات الأعضاء مع متابعة دقيقة من المجلس الاستشاري لضمان جودة الأعمال ومهنيتها.

وفي سعيه إلى الانفتاح؛ حرص الاتحاد على توسيع شبكة علاقاته الدولية عبر توقيع اتفاقيات تعاون مع أدباء ورؤساء تحرير من ثقافات مختلفة، إلى جانب تنظيم ندوات وحوارات أدبية تفاعلية، وإطلاق مسابقات تهدف لاكتشاف المواهب الجديدة ورعايتها.

وقد كان الهدف الأسمى؛ بناء بيئة ثقافية متكاملة تشجع الكتابة، وتفتح المجال أمام النقد الجاد، وتعزز التفاعل بين المبدع والجمهور العربي والدولي.

أما لجان الاتحاد المختصة بالقراءة والنقد والمسابقات، فقد اضطلعت بدور بارز في دعم النصوص الجادة وتقديم قراءات وتحليلات معمقة، فضلاً عن تنظيم فعاليات ثقافية تثري المشهد الأدبي وتفتح حواراً بين الكاتب والقارئ والناقد؛ بما يعيد للأدب العربي قيمته الحضارية.

وهكذا يؤكد الاتحاد العالمي للمثقفين العرب، أن الأدب ليس مجرد نصوص تقرأ أو تكتب؛ بل هو مشروع حضاري إنساني يربط بين الأجيال ويعبر الحدود، ويجعل من المثقف العربي شريكاً فاعلاً في بناء حوار عالمي متجدد.

إنه جسر ثقافي متين، يحمل الإبداع المحلي نحو آفاق كونية، ويجعل من الكلمة قوة للتواصل والبناء والتجدد.

مؤسسة عبدالحميد شومان تعلن عن أسماء الفائزين في القصة القصيرة

أعلنت مؤسسة عبدالحميد شومان، عن الفائزين بالمراكز الثلاثة الأولى بجائزتها لأدب الأطفال لعام ٢٠٢٥، والتي اختصت في (مجال القصة القصيرة في موضوع أدب الرحلات) والموجهة للأطفال في الفئة العمرية ٩ سنوات فأكثر.

ووفق بيان المؤسسة، فقد فاز بالمرتبة الأولى الكاتبة العمانية رقية عبدالله سعيد البادي، عن عملها بعنوان (مدينة الحجارة الناطقة)

بينما جاء في المرتبة الثانية (مغامرة في وادي القمر) للكاتب عبد الحكيم أحمد من مصر، وكانت الجائزة الثالثة من نصيب الكاتبة المصرية شيرين سامي فهمي رزق، عن (من أجل جنّة)

وأشارت إلى أن أدب الرحلات يأخذ الأطفال في رحلات متخيلة إلى أماكن جديدة ومناظر طبيعية خلابة، وهو ما يساعد على تنمية خيالهم وقدرتهم على الإبداع، مما يسهم في تطوير المهارات اللغوية والتعبيرية، ويلهمهم التعلم من تجارب الآخرين، ويمنحهم فرصة التعرف على تجارب ووجهات نظر مختلفة، ويعزز لديهم قيمة التعاطف وفهم الآخر.

وأكدت الهيئة العلمية للجائزة أن إدخال أدب الرحلة في مكتبة الطفل لا يثري مخيلته فحسب؛ بل يمنحه فرصة لاكتشاف العالم من زاوية إنسانية ممتعة، تحملها الحبكة القصصيّة، لتتجدد الأسئلة والاكتشافات الفردية، بين الطفل والنص، وتمنحه الشجاعة ليتفرد، والرغبة ليخرج من حدود المكان، وربّما من حدود الأجهزة الإلكترونيّة، ووسائل التواصل الرقميّة.

مكتبة الإسكندرية تعلن عن تنظيم مسابقة كتابة سيناريو فيلم روائي قصير

أعلن نادي القصة وجمعية أصدقاء مكتبة الإسكندرية، عن تنظيم مسابقة لكتابة سيناريو فيلم روائي قصير يهدف إلى دعم الإبداع الأدبي والسينمائي وتشجيع التفاعل الخلاق بين الفنون المكتوبة والفنون المرئية.

وعن شروط المشاركة والتقديم جاءت كالتالي:

-يجب أن تكون فكرة السيناريو مستوحاة من قصة قصيرة لأحد الكتاب المصريين، كما يجب الالتزام بالحقوق الأدبية للكاتب الأصلي والإشارة إلى المصدر.

-ويُشترط أن يُقدم الكاتب إقراراً بأنه المؤلف الأول للسيناريو، وأن العمل لم يتم تنفيذه من قبل، كما يجب ألا تزيد مدة الفيلم عن ٢٠ دقيقة.

وتقرر أن يكون باب المشاركة مفتوح لجميع المهتمين بالكتابة الأدبية السينمائية، على أن يكون آخر موعد للتقديم للمسابقة هو ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٥.

تبلغ قيمة الجائزة الأولى تبلغ ٧٠٠٠ جنيه، والجائزة الثانية تبلغ ٥٠٠٠ جنيه، والجائزة الثالثة ٣٠٠٠ جنيه.

كما سيتم منح شهادات تقدير للفائزين من المركز الرابع إلى المركز العاشر، على أن توزع الجوائز في شهر نوفمبر ٢٠٢٥ خلال افتتاح مؤتمر (الرواية والدراما المرئية) كما سيتم نشر السيناريوهات الثلاثة الفائزة في مجلة القصة.

وستتاح الفرصة لمناقشة الأعمال المتميزة ضمن أنشطة نادي القصة، كما يمكن للمهتمين الحصول على مزيد من المعلومات من خلال متابعة صفحات نادي القصة وجمعية أصدقاء مكتبة الإسكندرية.

وتقام المسابقة برعاية رئيس نادي القصة الكاتب والسيناريست الكبير محمد السيد عيد، ومنسق الأنشطة بجمعية أصدقاء مكتبة الإسكندرية وأمين عام المؤتمر د. زينب فرغلي، والمدير التنفيذي الأستاذ حمدان القاضي، ويتولى مسئولية المسابقة، سكرتير عام نادي القصة، ورئيس شعبة أدب الطفل بالنادي الكاتب والشاعر الكبير عبده الزراع.

سياسة النشر في مجلة القلم الثقافية

مجلة القلم، مجلة ثقافية، وتهتم بنشر المقالات والمواضيع الثقافية والفكرية والاجتماعية والأدبية فقط، وترفض نشر أي مادة تحمل أي نوع من الإساءة لمعتقدات الأخرين، أو جنسياتهم أو انتماءاتهم.

واللغة الوحيدة المعتمدة في النشر؛ هي اللغة العربية الفصحى، والخالية من الأخطاء الإملائية واللغوية بحدها المقبول، وأن تتمتع بمستوى أدبي معتبر، وأن تكون أصيلة من تأليف الكاتب وغير منسوخة من مصدر آخر.

وكافة المواد المرسلة للنشر تخضع للمراجعة والتدقيق، ويحق للمجلة رفض نشر أي مادة لا تلبي معايير النشر المعمول بها، ونعتذر عن إمكانية قبول أكثر من مشاركة واحدة لكل كاتب في ذات القسم.

- **المقالات**
- أن يتضمن المقال فكرة ووجهة نظر خاصة بالكاتب.
- ألا يقل متوسط عدد كلمات المقال عن ١٥٠ كلمة، ولا يتجاوز ٥٠٠ كلمة.
- تحديد عنوان للمقال.
- تحديد الاسم الثنائي للكاتب.
- صورة شخصية لائقة وبجودة عالية للنشر مع المقال (مطلوبة للرجال وحسب الرغبة للسيدات)

- **القصة القصيرة**
- ألا يقل متوسط عدد كلمات القصة عن ٣٠٠ كلمة، ولا تتجاوز ١٥٠٠ كلمة.
- تحديد عنوان للقصة.
- تحديد الاسم الثنائي للكاتب.

- **القصائد والنصوص الأدبية**
- ألا يقل متوسط عدد الكلمات عن ٤٠ كلمة، ولا تتجاوز ١٠٠ كلمة بحد أقصى للنصوص الأدبية.
- ألا تتجاوز عدد أبيات القصيدة الشعرية ٨ أبيات.
- تحديد عنوان للنص.
- تحديد الاسم الثنائي للكاتب.

يتم استقبال كافة طلبات النشر من خلال البريد الإلكتروني للمجلة فقط

Alqalam.mag@gmail.com

كافة ما يرد في المقالات المنشورة تمثل رأي شخصي للكاتب.

القلم

مجلة

إقلم

جميع الحقوق محفوظة
٢٠٢٥

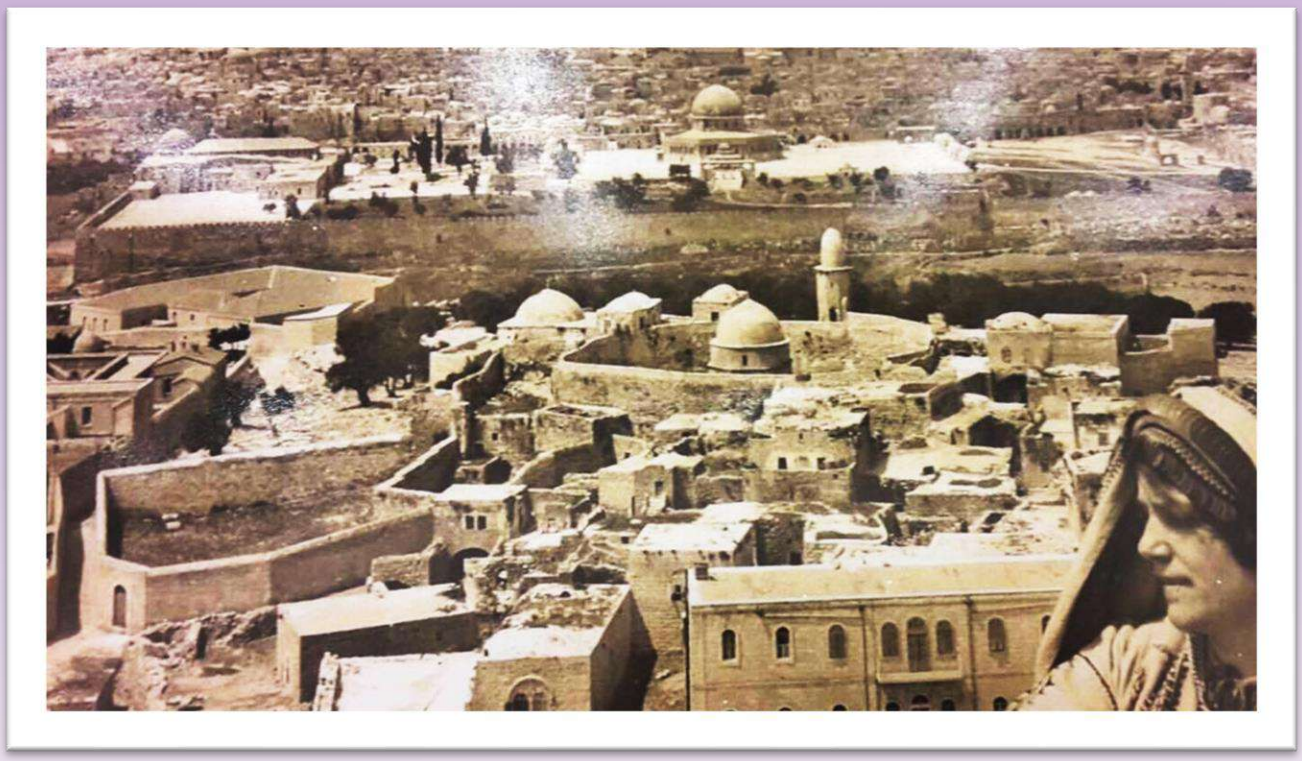

صورة قديمة لباحات المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف ويظهر المسجد القبلي في الجانب الأيسر من الصورة، بينما تتوسط قبة الصخرة الصورة.